

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٢٥٥
التاريخ / / ١٤

أصول التفسير
بيت

شيخ الإسلام ابن تيمية
وغیره من المفسرين

رسالة أعدها: عبد الله بن عبد الوهاب

لنيل درجة الماجستير

بإسناد الشيخ أبي بكر جابر الجزائري

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات العليا بالجامعة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

وین
نستغفر

شكرو وتقدير

فان مما جاء به شريعتنا الكاملة السمحة الشكر على من قدم اليك معروفًا فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من لم يشكر الناس لا يشكر الله " (١)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله " (٢)

وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (٣)

وعلا على هذه النصوص فاني أتقدم بخالص شكرى الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة برئاسة نائبيها فضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد على ما قامت وتقوم من خدمة لطلاب العلم الوافدين عليها من أقطار العالم الاسلامي ، ومن تقدميها اليهم كل ما يحتاجون اليه من العون المادي والمعنوي ..

فلقد هيئت لطلابها نخبة ممتازة من العلماء ذوي الكفاءة والقدرة على اخراج جيل يتحمل رسالة الاسلام ويقوم بالدعوة الى الله في أنحاء

(١) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣٢

(٢) " " " " ج ٤ ص ٢٧٨

(٣) " " " " ج ٥ ص ٢١١

العالم ، كما هيئت لهم كل ما يعينهم على انجاز بحوثهم العلمية من المصادر والمراجع :

كما أتقدم بخالص شكرى وامتنانى الى شيخى وأستاذى وأستاذ الجيل الشيخ أبى بكر جابر الجزائرى المشرف على هذه الرسالة لما اسداه الى من نصائح وارشادات وتوجيهات وتببيها ت خلال اشرافه على هذا البحث تلك التببيها ت التى لم تقتصر على الرسالة بل تعدت الى ازالة ما كان بلسانى من عجمة فى بعض الحروف ،

فقد كان يمرن لسانى على النطق الصحيح فى حرف الخين وترقيق الراء المكسورة ،

فجزاه الله عنى خيرا الجزاء ..

كما أشكر كل من ساعدنى وأعانى على انجاز هذا البحث من الاخوة الذين نسخوه على الآلة الكاتبة ، والاخوة الذين ساعدونى فى جمعه وترتيبه • وكل من ساهم معى وتعاون فى انجازها ...

وأخرد عوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل
فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
وخليله وصفوته من خلقه صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه وأتباعه الى
يوم الدين ...

أما بعد :

فان الله سبحانه وتعالى أنعم على الأمة المحمدية بانزال
كتابه الكريم الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد ، على أفضل رسله وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم ، فهدى به من الضلالة وأخرج به من الظلمات الى النور
فسعادة الناس فى دنياهم وأخراهم متوقفة على اتباعه والايان به والعمل
بمقتضى أحكامه وهو كتاب الاله الذى هو الفصل ليس بالهزل من تركه من
جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله
المتين ، وهو الذكر الحكيم • وهو الصراط المستقيم هو الذى لا ترهب به
الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة
الرد ولا تنقض عجائبه ، هو الذى لم تلتك الجن اذ سمعته حتى قالوا :
" انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشده فأما به ^(١) من قال به صدق

(١) سورة الجن آية ١ ، ٢

(١) ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا الله هدى الى صراط مستقيم"
وقد قال الله سبحانه وتعالى " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهdy به
الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
ويهدyهم الى صراط مستقيم" (٢)

(٣) وقوله تعالى " لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون"
وقال جل شأنه " فاما يا تيكم فبني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى
ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب
لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتها فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى" (٤)

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ..

ومدايعة القرآن التى هى الغاية من انزاله والتى تضمن الله لمن
اتبعها الاستقامة وعدم الضلال والشقاء فى هذه الآيات لا تتحقق
الا بفهم معانيه ، وتعقل أسرارها ، وتشريحاته الجليلة وقصصه الحكيمه
وحكمه البالغة التى تبهر الألباب وتهذب النفوس وتقوى الايمان واليقين
اذا كان المرکز لكفان أولى ما صرف اليه الانسان همته وينفق به نفائس أوقاته

(١) رواه الترمذى فى جامعهه انظر تحفة الأحمذى ج١ ص ٢١٩ - ٢٢١ قال

الترمذى فيه " هذا حديث غريب لا نعرفه الا من ص حديث حمزة لزيات
واسناده مجهول " ولكن معناه صحيح

(٢) المائدة / ١٥ - ١٦

(٣) الانبياء / ١٠

(٤) سورة " طه " الآيات ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦

ما كان أصلاً لفهم كتاب الله ومرجعاً إلى الامتداء، بهدى القرآن ألا وهو علم أصول التفسير الذى هو أعظم العلوم قد را وأرفعها شأنًا إذ هو الأساس الذى يبنى عليه قواعد الشرع . .

قال اياس بل معاوية^(١) " مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما فى الكتاب ومثل الذى يعرف التفسير رجال جاءهم المصباح وقرأوا ، ما فى الكتاب ، وقال ابن عباس الذى لا يقرأ ولا يفسر كالأعرابى الذى يهذى بالشعر .

وقال الحسن البصرى^(٢) " والله ما أنزل الله آية الا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعنى بها "^(٣)

ولهذا كله فقد عنى المسلمون منذ فجر الاسلام بالقرآن الكريم عناية كبيرة ، شملت جميع نواحيه ، على حفظه وتجويده وتفسيره ، ودراسته فى شتى النواحي .

وكان القسط الأوفر من هذه العناية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يتسابقون فى حفظ القرآن الكريم واستظهاره يهجرون

(١) هو اياس بن معاوية بن قره بن اياس المزنى أبووائل البصرى القاض المشهور بالذكاء ثقة توفى سنة ١٢٢ من الهجرة تقريب ص ٤٠ الطبعة الباكستانية .

(٢) هو التابعى الجليل الحسن بن أبى الحسن البصرى واسم أبيه يسار بالتحتمانية والمهملة مولا هم ثقة فقيه فاضل مشهور توفى سنة ١١٠ من الهجرة تقريب التهذيب ص ٦٩ طبعة باكستانية .

(٣) مقدمة ابن عطية مع مقدمة المبانى ص ٢٦١

من أجل تلاوته في الأُسْحار نومهم وراحتهم حتى ليمر الشخص ببيوت
الصحابة رضوان الله عليهم في غسق الليل يسمع فيه دوى كدوى النحل
بالقرآن فكان شغفهم بحفظ القرآن عظيما . .

روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم " انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين
بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل
وان كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار " (١)

أما شغفهم بفهم معناه فشىء يتجاوز الوصف . قال أبو عبد الرحمن
السلمى رحمه الله حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن كعثمان بن عفان
وعلى بن أبى طالب أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم
عشر آيات لا يجاوزونها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فتعلمنا العلم
والعمل جميعا " (٢)

وكان أحدهم يمكث على حفظ السورة الواحدة سنين كما روى عن
ابن عمر أنه أقام على حفظ سورة البقرة ثمانى سنين ولا يعقل أنه مكث
على حفظ ألفاظها بهذه المدة وانما الذى يستدعى هذه المدة هو فهم
معانيها واستنباط أحكامها وحكمها . .

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ج٩ ص ٢١٧

(٢) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٨

وقد طقى التابعون القرآن الكريم عن الصحابة بمثل هذا الاهتمام

يدل على ذلك قول مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات

ألف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت" (١)

ومكذا كان القرآن يتلقى بهذا الاهتمام فى مر العصور يأخذه كل

جهل عن الجهل الذى سبقه ..

وقد كان من أهم النواحي التى استأثرت بعناية العلماء فى مرور

العصور الناحية التفسيرية التى كان يتوقف عليها العمل بكتاب الله .

ولكون كتاب الله مرجع المسلمين على اختلاف مشاربهم فـ

استشهدت به كل فئة من الفئات المنحرفة المنتسبة الى الاسلام فحاولت

أن تستميل آيات القرآن نحوها وتوه يد بها رأيا ولو كان معنى الآية ضد

ما ذهب اليه ، تحرف الكلم عن مواضعه وتتحل لها التأويلات الباطلة

لا يمنعها من ذلك خوف من الله ولا هيبة من النصوص ..

وحتى لا يكون كتاب الله عرضة للعبث ، والتحريف والتلاعب ، فقد

قرر العلماء قواعد أساسية لتفسيره وفهم معانيه يعتبر الخروج عنها انحرافا

وسمة للضلال ، والتمسك بها سمة الاستقامة والهدى فمن أراد أن يفهم

معانيه ويستخرج كنوزه وأسراره ويرتوى من معانيه التى لا تنضب ، والسوى

لا يظما من شرب منها رجع الى هذه القواعد والأصول وجعلها نصب عينيه

وفهمه على ضوءها " وهذه الأصول التى يعتمد عليها فى فهم القرآن

(١) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٣

والتي تعتبر أصولاً صحيحة وحجة متتبعة لا تسوغ مخالفتها والالتفات إلى ما عداها من فضول الكلام هي تفسير القرآن بما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثم تفاسير الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقتها وجلها . .

أما تفاسير غيرهم من التابعين ، ومن بعدهم فإن كان من طريق الرواية نظرنا في صحتها سواء كان المروي عنه الشارع أو أصل اللغة ، وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك بشيء ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة " (١) ثم بعد استيفاء التفسير المأثور يرجع إلى اللغة العربية التي نزل بها الكتاب . فيما غمض من المعاني شريطة أن يقدم عليها التفسير المأثور . .

سبب اختيار الموضوع:

لما كانت مكانة علم أصول التفسير كما وصفت وجهود العلماء في تيسير سبيل فهم القرآن الكريم كما ذكرت حملتني الرغبة في الاستفادة من بحوثهم في علم أصول التفسير ومعرفة اتجاهاتهم ومذاهبهم فيه على اختيار هذا الموضوع الذي تدور أبحاثه على أهم علم أصول التفسير ومناهج المفسرين

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٤ ص ١٤

مع عناية منهج أهم شخصية في علم التفسير في العصور المتأخرة وهو شيخ
الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله الذي ظل يناضل طيلة حياته في ارجاع
الأمة الى منهج سلفها الصالح وتقية الاسلام مما شابه وتطرق اليه من
البدع والخرافات والمصطلحات الأجنبية . وقد كانت استفادتي من منهج
هذا الامام التي تجلت بالدراسة والمقارنة عظيمة بحمد الله . .

ولست أدعى بأنى أعطيت الموضوع حقه أو أتيت فيه بجديد
أو أثريت المكتبة الاسلامية بشيء فيه جدة وطفرة ، لا أدعى بشيء من ذلك
كما هي عادة الباحثين ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه . . .
فمن أين لمثلى أن يأتي بجديد أو بما فيه جدة وطفرة ؟

وقد جاء في ذيل القافلة يتكلم في موضوع كان محل اهتمام العلماء
الفظاحل في القديم والحديث .

وكل ما يمكن لى أن ادعيه هو أنى استفدت من هذا البحث فائدة
عظيمة أرجو أن تؤهلى فى المستقبل القريب ان شاء الله أن أنهل من
معين القرآن الصافى ، وأتجنب السواقى والجداول التى قد عكرت صفوفها
أيدى العابثين والدناسين من الملاحدة والفلاسفة ومن تأثر بهم من أهل
الكلام المذموم على مر العصور .

منهج البحث:

قسمت البحث الى اربعة أبواب وخاتمة

أما الباب الأول : فقد جعلته للكلام عن نشأة أصول التفسير

وكيف تطور ؟

وقد رتبت هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول فى تعريف كلمتى أصول و تفسير من حيث اللغة

والاصطلاح ، والفرق بينه وبين التأويل ..

وتحتة مباحث :

المبحث الأول تعريف كل من كلمتى أصول و تفسير من حيث اللغة

والاصطلاح بانفرادها .

المبحث الثانى تعريفهما بالاعتبار الاضافى .

المبحث الثالث معنى التفسير والتأويل وهل بعينهما فرق أو لا ؟

الفصل الثانى فى الكلام عن أصول التفسير عند الصحابة والتابعين

وتحتة مباحث :

المبحث الأول حرر النبى صلى الله عليه وسلم على حفظ

القرآن الكريم وفهمه وتبليغه .

المبحث الثانى فهم الصحابة للقرآن الكريم والأصول التى كانوا

يرجعون اليها فى تفسيره مع ذكر أشهر المفسرين

لهم ..

المبحث الثالث أصول التفسير عند التابعين

الفصل الثالث أصول التفسير فى عصر التدوين

وتحتة مباحث :

المبحث الأول فى بداية تدوين العلوم الاسلامية

المبحث الثانى تدوين علم التفسير

المبحث الثالث التفسير الموضوعي وظهور الاسم الاصطلاحي

المبحث الرابع الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير •

وأما الباب الثاني فقد جعلته للكلام عن مذاهب المفسرين

في أصول التفسير وقد رتبته على ثلاثة فصول :

الفصل الأول تكلمت فيه عن تفسير القرآن الكريم

وتحتها المباحث الآتية :

المبحث الأول العموم والخصوص

المبحث الثاني المجمل والمبين

المبحث الثالث المطلق والمقيد

الفصل الثاني في تفسير القرآن والسنة

وفيه مباحث :

المبحث الأول في ارشاد الله تعالى عباده الى بيان

النبي صلى الله عليه وسلم وأنه واجب الاتباع

المبحث الثاني بيان السنة لمجمل القرآن

المبحث الثالث في تفسير القرآن بأقوال الصحابة

المبحث الرابع تفسير القرآن بأقوال التابعين

المبحث الخامس ميزة التفسير بالمأثور وتطرق الضعف اليه •

الفصل الثالث تفسير القرآن بالرأى

وفيه مباحث :

المبحث الأول المقصود من تفسير القرآن بالرأى وماورد من

الأحاديث والآثار في التحذير منه ••

| | |
|-------------------|--|
| المبحث الثاني | أقسام تفسير القرآن بالرأى |
| المبحث الثالث | المصادر التي يعتمد عليها التفسير بالرأى الجائز • |
| المبحث الرابع | تفسير القرآن بالرأى المذموم وتعريف الفرق الضالة |
| وأما الباب الثالث | فقد جعلته للكلام عن أصول التفسير عند شيخ الاسلام ابن تيمية، وقد رتبت هذا الباب على فصلين : |
| الفصل الأول | بترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أصوله |
| المبحث الأول | وتحته مباحث: كلمة موجزة عن أصول التفسير عند شيخ الاسلام •• |
| المبحث الثاني | تفصيل الأصول التي يعتمد عليها شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسيره |
| المبحث الثالث | مراتب أصول التفسير عند شيخ الاسلام ابن تيمية • |
| المبحث الرابع | بيان ما يمتاز به منهج السلف عند شيخ الاسلام ابن تيمية • |

أما الباب الرابع

فقد جعلته للمقارنة بين شيخ الاسلام

ابن تيمية وغيره من المفسرين وقد رتبت

هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول

شيخ الاسلام مع بعض علماء التفسير بالمأثور

وفيه مباحث :

المبحث الأول

مقارنة عامة بين شيخ الاسلام وعلماء

التفسير بالمأثور .

المبحث الثاني

شيخ الاسلام مع امام المفسرين ابن جرير

الطبري .

المبحث الثالث

شيخ الاسلام مع الثعلبي

الفصل الثاني

في المقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية

وبين فخر الدين الرازي

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول

في تعريف الامام الرازي

المبحث الثاني

في المقارنة بين منهج السلف والخلف

المبحث الثالث

في المقارنة بين منهج الرازي في التفسير

وبين منهج شيخ الاسلام

- ١ -
الباب الأول

بشيأة أصول التفسير وكيف تطوّر ؟

وفيه فصول :

الفصل الأول : تعريف أصول التفسير لغة واصطلاحاً والفرق بينهما

ومن التأهيل .

الفصل الثاني : أصول التفسير عند الصحابة والتابعين

الفصل الثالث : أصول التفسير في عصر التدوين

الفصل الأول

فى تعريف أصول التفسير

وقيه المباحث التالية:

المبحث الأول : فى تعريف كلمة أصول التفسير باعتبار جزئيتها

• لغة واصطلاحاً

المبحث الثانى : فى بيان المراد من أصول التفسير باعتباره

• مركباً اضافياً

المبحث الثالث : فى الفرق بين التأويل والتفسير

المبحث الأول

في تعريف أصول التفسير باعتبار جزئية لفظة واصطلاحا

تصهيد :

إذا لم يعرف حد الشيء وما هيته وخصائصه التي يتميز بها عن غيره
أولا فمن العسير أن يفهم فهما صحيحا • وعلم أصول التفسير له من الحد والمهمة
ما يتميز به عن غيره من سائر العلوم المجانسة له •
وللوقوف على هذا الحد الذي يتميز به علم أصول التفسير عن غيره نبدأ
أولا بتعريف الجزئين الذين تتكون منهما كلمة أصول التفسير • ونفرد كل كلمة
من الكلمتين بتعريفها الخاص من حيث اللغة والاصطلاح حتى يتضح معناهما
لغويا ثم نعود إليهما فنعرف بهما باعتبار تركيبهما الاضافي ••

تعريف "الأصول" من حيث اللغة

الأصول في اللغة : جمع أصل ، والأصل هو أسفل كل شيء وقاعدته التي يقوم

عليها ، وما يبني عليه غيره أو يستند إليه وجود الشيء ويطلق أيضا على السرسوخ
والثبوت قال في القاموس "الأصل أسفل الشيء كالأصول والجمع أصول وأصل

وأصل ككرم صار إذا أصل إذا ثبت وورسخ أصله كتأصل والرأي جاد" (٢)

ويقال استأصلت هذه الشجرة ثبت أصلها ، واستأصل

إذا لم يدع لهن أصلا واستأصلته أي قلعته من أصله .

وفي حديث الأضحية أنه صلى الله عليه وسلم "نهى عن

المستأصلة وهي التي أخذ قرنبا من أصله" (٣)

وأصل الشيء قتله علما فعرف أصله" (٤) والأصل جنس من

الحيات هو أخبثها قتال يهلك بنفسه ، والأصول هو العشى وهو ما بعد العصر

إلى الغروب" (٥) ، قال ابن فارس "أصل : الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول

(١) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٨

(٢) ذكر ابن منظور في لسان العرب أن جمع التكسير "أصل ، لا يأتي على أصل

وذكر صاحب متن اللغة أن جمعها يأتي على أصل نادرا ، ولعل الأ خير هو

الأوجه لأنه يجمع بين الرأيين قبله .

(٣) رواه الامام أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه انظر بيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٢

(٤) لسان العرب ج ١١ ص ١٦

(٥) متن اللغة ص ١٨٢ ج ١ للشيخ أحمد رضا

متباعد بعضها من بعض أحدهما أساس الشيء والثاني الحية ، والثالث ما كان من
النهار بعد العشي " (١)

وفى المفردات للراغب " أصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة

(٢) (٣)

لا يرتفع بارتفاعه سائرته لذلك قال تعالى " أصلها ثابت وفرعها في السماء "

وأشار أبو هلال العسكري بأن الأصل اسم مشترك بين هذه المعاني الستى

ذكرتها في بداية التعريف فقال " والأصل اسم مشترك يقال أصل الحائط وأصل

الجبل وأصل الانسان ، وأصل العداوة بيدك وبين فلان كذا والأصل في هذه

المسئلة كذا وهو فى ذلك مجاز ، وفى الجبل والحائط حقيقة ، وحقيقة الأصل للشيء

ما كان معتمده عليه ومن ثم يسمى العقل أصالة لأن معتمد صاحبه عليه . .

ورجل أصيل أى عاقل ، وحقيقة أصل الشيء عندى ما بد منه ومن ثم

يقال ان أصل الانسان التراب ، وأصل هذا الحائط حجر وأجر لأنه بدى فى بنائه

بالحجر والاجر " (٤) هذه من المعانى اللغوية التى ذكرها العلماء لكلمة الأصل

وقد ذكروا لها معان أخرى مثل أصل بالماء اذا تفرير بالكسر ومثل الأصيل

بمعنى الهلاك . كما قال أوس ابن حجر : خافوا الأصيلة واعتلت ملوكهم

وحملوا من أذى عزم بأثقال " (٥)

ومثل ما سبق من استعمالها بالعشى والحية، ولكن هذه المعانى

لا تعلق لها ببحثنا . .

(١) معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ١٠٩

(٢) ص ١٩

(٣) سورة ابراهيم آية ٢٤

(٤) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص ١٣٢ - ١٣٤

(٥) تاج العروس ج ٧ ص ٢٠٨

وهذا المقدار من أقوال علماء اللغة يكفي في معرفة معنى الأصل من جهة اللغة ، وقد عرفنا منه أن معنى الكلمة يدور على الأُسَان أو ما يبنى عليه غيره أو يتفرع منه الشيء ، وهو ما يهمننا في بحثنا هذا ، فلنتقل الى البحث في معنى الكلمة اصطلاحاً . . .

تعريف الأصل اصطلاحاً : لم يتفق العلماء في تعريفهم الاصطلاحى للكلمة "الأصل" على تعريف واحد فقد عرف بعضهم وهم أكثر علماء الفقه والأصول بأنه محل الحكم المنصوص عليه .

وعرف آخرون وهم علماء الكلام أنه الدليل الدال على الحكم المنصوص عليه من نص أو اجماع . فأصل القياس عند أصحاب الرأى الأول هو محل الحكم المنصوص عليه كما اذا قيس الأرز على البر في تحريم بيعه بجنسه متفاضلاً كان الأصل هو البر ، لأن الأصل هو ما كان حكم الفرع مقيساً عليه ومردوداً اليه وذلك هو البر في هذا المثال . . .

وعند الفريق الآخر فالأصل هو الدليل الدال على الحكم المنصوص عليه من نص أو اجماع كقوله صلى الله عليه وسلم "الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل" (١) فالأصل عند هذا الفريق هو نص هذا الحديث الدال على حرمة بيع الحنطة بالحنطة متفاضلاً وذلك لأن الأصل هو ما يتفرع عليه غيره والحكم المنصوص عليه متفرع على النص فكان النص هو الأصل .

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١ ص ١٥ وتمامه "التمر بالتمر والحنط بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاف أو استزاد فُقد إلا ما اختلفت ألوانه"

وهناك طائفة ثالثة ذميت الى أن الأصل هو الحكم في المحل المنصوص عليه ، والعلة عندهم أن الأصل ما انبنى عليه غيره فكان العلم به موصلا الى العلم أو الظن بغيره وهذه الخاصية موجودة في الحكم لا في المحل لأن حكم الفرع لا يتفرع على المحل ، ولا في النص ، والاجماع ، اذ لو تصور العلم بالحكم في المحل دونها بدليل عقلي أو ضرورة أمكن القياس فلم يكن النص أصلا للقياس أيضا . . .

والحق أن هذا النزاع لفظي وليس نزاعا أصليا ولا جوهريا لا يمكن اطلاق الأصل على كل واحد منها ، لبناء حكم الفرع على الحكم في المحل المنصوص عليه ، وعلى المحل وعلى النص ، لأن أصل كل واحد أصله وأصل الأصل^(١) " ويشهد أن الخلاف لفظي ما سبق لنا من معنى الكلمة من حيث اللغة، حيث ذكرنا أن معنى الكلمة مشترك بين هذه المعاني كلها ، فلتكن كذلك مشتركة من ناحية الاصطلاح كما أشار ذلك ، صاحب فتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت حيث ذكر أن كلمة الأصل تطلق في اصطلاح علماء الأصول على أربعة معان :

أحدها الراجح ، يقال الكتاب بالنسبة الى القياس أي راجح^(٢)

(١) من بداية تعريف الكلمة اصطلاحا الى هنا منقول من كشاف اصطلاحات

الفنون لهما نوى مع التصرف ج ١ ص ١٢٤

(٢) القياس مع وجود النص ليس بشيء اذ لا قياس مع النص فلا راجح

ولا مرجوح هنا بل النص وكفى . . .

- والثاني : المستصحب كما يقال الطهارة أصل^(١) .
- والثالث : القاعدة كما يقال الظاعل مرفوع أصل من أصول النحو .
- الرابع : الدليل كما يقال أقيموا الصلاة أصل وجوب الصلاة .
- (٢)
فلفظ الأصل مشترك اصطلاحاً في الأربعة . .

(١) الاستصحاب في اللغة الدعوة إلى الصحبة والملازمة وقد عرفه الأصوليون بتعريفات كثيرة وترجع في جملتها إلى معنى استبقاء حكم في الزمن الماضي على ما كان واعتباره موجوداً ومستمر إلى أن يوجد دليل يغيره ، فكل أمر علم وجوده ثم حصل شك في عدم وجوده حكم ببقائه استصحاباً للأصل والعكس ، فمن علم أنه متوضئ ثم شك في طروء الحدث على وضوئه فاداه يحكم بطهارته وبقائه وضوئه استصحاباً للأصل إذ اليقين لا يزول بالشك "

انظر أصول الفقه الاسلامي للاستاذ محمد سلام مذكور ص ١٨٢

(٢) انظر ج ١ ص ٨ على هامش كتاب المستصحب للامام الفيزالي . .

معنى التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير فى اللغة : يدور معنى التفسير فى اللغة على البيان والايضاح والكشف

ولا يكاد معنى الكلمة يخرج عن هذا المعنى فى كتب اللغة * واليك أقوال علماء اللغة فى ذلك ..

قال ابن فارس " فسر " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان

الشيء وايضاحه من ذلك الفسر يقال فسر الشيء - بالتخفيف - وفسرته - بالتشديد والتفسر نظراً للطبيب الى الماء وحكمه فيه " (١)

وفى اللسان " الفسر : البيان فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره

بالضم فسراً وفسر - بالتشديد - أبانه والتفسير مثله ..

والفسر نظراً للطبيب الى الماء وكذلك التفسر ، قال الجوهرى وأظنه (٢)

مولداً ، وقيل التفسر البول يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل ، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسيرته " (٣)

وفى القاموس " الفسر " الا بانه وكشف المعطى كالتفسير والفعل كضرب

ونصر ، ونظر الطبيب الى الماء كالتفسر أو هى البول كما يستدل به على المرض أو هى مولدة " (٤) (٥)

(١) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٥٠٤

(٢) هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى الامام اللغوى الأديب الفاضل صاحب الصحاح فى اللغة أخذ عن أبى على الفارسى وعن خاله أبى ابراهيم الفارابى صاحب ديوان الأدب ما تسعة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وقيل فى حدود الأربعمائة نزهة الألباء ص ٣٤٤

(٣) لسان العرب ج ٦ ص ٣٦١

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ١١٤

(٥) قول صاحب القاموس "أوهى مولدة" وقول الجوهرى قبله كذلك يعنى ان به أنها ليست عربية ، وإنما هى معربة ، وقد جزم بذلك الجوهرى وتردد صاحب القاموس ولم يجزم

اشتقاق كلمة التفسير : اختلف العلماء في اشتقاقها فقال بعضهم اشتقاقها من

التفسرة وهي نظر الطبيب في البول ، وقال آخرون اشتقاقها من قول العرب فسرت
الفرس ، وفسرته - بالتشديد - أى أجرته وأعديته وذهب آخرون الى أنها
مأخوذة من مقلوبها "سفر" قال مجد الدين الفيروز آبادى • أما التفسير فمن
طريق اللغة الايضاح والتبيين يقال فسرت الحديث أى بينته وأوضحته ، واختلف
في اشتقاقه فقيل من لفظ التفسرة وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلة والداء
واستخراج ذلك فكذلك المفسر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها •

وقيل اشتقاقه من قول العرب : فسرت الفرس وفسرته أى أجرته

وأعديته اذا كان به حصر ، لتستطلق بطئه ، وكأن المفسر يجرى فرس فكرة فى
ميادين المعانى ليستخرج شرح الآية ويحل اشكاليها وقيل هو مأخوذ من مقلوبه
(١)

تقول العرب : سفرت المرأة اذا كشفت قناعها عن وجهها ، وسفرت البيت اذا كنسته
ويقال للسفر سفر لأنه يسفر ويكشف عن أخلاق الرجال ، ويقال للسفرة سفرة لأنها
تسفر فيظهر ما فيها ، قال تعالى " والصبح اذا اسفر " (٢) أى أضاء فعلى هذا يكون
أصل التفسير التفسير على قياس صعق وصفح وجذب وجبذ وما أطيبه وما أيطبه

ونظائره ونقلوه من الثلاثى الى باب التفعيل للمبالغة وكان المفسر يتتبع القرآن -

سورة سورة وآية آية وكلمة كلمة لاستخراج المعنى •

(١) انتقد الألوسى المفسر هذا القول فقال " والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر

له وجه " روح المعانى ج ١ ص ٥

(٢) سورة المدثر آية ٢٤

(١)
وحقيقته كشف المستغلق عن المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن الفهم به
وذكر أبو حيان أن التعرّية ترجع إلى معنى الكشف فقال وينطلق التفسير على
التعرّية أيضا للإطلاق قال فعلم : تقول العرب فسرت الفرس عريته لينطلق
في حصرة وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريد منه من
الجرى (٢)

والحاصل أن التفسير يستعمل لغة في الكشف سواء كان حسيا ككشف ظهر
الفرس وأمثاله أو كان معنويا كالكشف عن المعاني المعقولة ، واستعماله في الثاني أكثر
من استعماله في الأول كما قال الدكتور الذهبي رحمه الله (٣) كما أنه
يستعمل في معاني الألفاظ القريبة والمعاني البعيدة المستتبطة من تركيب
الكلام وسياقه بالتأمل ومعاناة الفكر ، ومن هنا يعلم أن معنى هذه الكلمة يلتقى مع
معنى كلمة التأويل كما سيأتينا شرحه إن شاء الله ، ولهذا قال الراغب في
المفردات " الفسر اظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبي عنه الجول تفسرة
وسمى بها قارورة الماء والتفسير في المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيما يختص
بمفردات الألفاظ و غريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الروء يسا
وتأويل الروء يا ، قال تعالى " ولا تأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (٤) (٥)

(١) بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ٧٨ - ٧٩

(٢) تفسير البحر المحيط ج ١ ص ١٣

(٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٣

(٤) سورة الفرقان آية ٢٣

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٠

عرف العلماء التفسير بتعاريف كثيرة ، منهم المطول ومنهم المختصر ومنهم المتوسط ، فمن المطول قول بعضهم " وهو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيها وحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وأمثالها وغيرها " (١)

وعرفه أبو حيان رحمه الله فقال " بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمتات لذلك " ثم قال فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم ، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات ، وقولنا ومدلولاتها أى مدلولات تلك الالفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذى يحتاج اليه فى هذا العلم وقولنا ، وأحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب ، وعلم البيان وعلم البديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالة عليه بالحقيقة ، وما دلالة عليه بالمجاز فان التركيب يقتضى بظاهرة شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز .

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص ٢٤

(٢) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسى الأغرناطى صاحب البحر والنهر فى التفسير وكان ثبتا صدوقا سالم العقيدة من البدع والفلسفة والاعتزال والتجسيم ومال الى مذهب أهل الظاهر ، ولد عام ٦٥٤ هـ وتوفى سنة ٧٤٥ هـ انظر ترجمته فى طبقات المفسرين للداودى ج٢ ص ٢٨٦

وقولنا وتتمت لذلك هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض

(١) ما انبهم في القرآن ونحو ذلك "

وعرف بعضهم بأنه علم باحث عن نظم القرآن وآيات سور الفرقان بحسب

(٢) الطاقة البشرية وبوفيق ما تقتضيه القواعد العربية "

وعرفه الفسارى فقال : الأولى أن يقال علم التفسير معرفة أحوال

كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالة على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله

بقدر الطاقة البشرية ، قال الصديق حسن خان وهذا يتناول أقسام البيان بأسرها

ولا يرد عليه ما يرد على سائر الحدود " (٤)

وعرفه الزركشى بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد صلى الله

(٥) عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه "

وعرفه ابن جريء في التسهيل فقال : معنى التفسير شرح الآية

(٦) وبيان معناها والافصاح بما يقتضيه بنصه أو اشارته أو فحواه "

(١) البحر المحيط ج ١ ص ١٢ - ١٤

(٢) فتح البيان ج ١ ص ٧

(٣) هو محمد بن حمزة بن محمد شمس الدين الفسارى عالم بالمنطق والأصول

ولد سنة ٧٥١ هـ - ١٢٥٠ م وتوفي سنة ٨٣٤ هـ - ٤٢١ م الأعلام

للزركلى ج ٦ ص ٣٤٢

(٤) فتح البيان ج ١ ص ٧

(٥) الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٤

(٦) ج ١ ص ١٢

وعرفه صاحب مفتاح السعادة فقال " هو علم باحث عن معنى نظم

(١)

القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية "

وهناك تعريفات كثيرة يطول البحث باستقصائها وبالقدر المذكور غنى

عن المتروك ، ويبدو أن بعض أصحاب هذه التعاريف قصدوا شمول تعريفاتهم

كل أنواع علوم القرآن كلبى حيان فان تعريفه يشمل سائر أنواع علوم القرآن

وكذلك التعريف الأول .

ومنهم من قصد الاقتصار على مدلول كلمة التفسير كما بن الجزى ، فان

تعريفه لم يتعد مدلول الكلمة ، وهو أوفق هذه التعاريف لمعنى التفسير

عندى وایاه أختار و به أرتضى ، أما التعاريف الأخرى فهى تشمل سائر علوم

القرآن التى تستعان بها على فهم القرآن الكريم وهى لا تبعد عن هذا التعريف

الذى اخترناه الا أن هذا يحدد معنى الكلمة أكثر . والله أعلم .

(١) علوم الدين الاسلامى لعمر رضا كحالة ص ٦١

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى أبو القاسم الامام المفسر

المتقن ، كان مشاركا فى فنون كثيرة من عربية وفقه وأصول وأدب وحدث

توفى سنة احدى وأربعين وسبعمائة .

انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ج ٢ ص ٤٤٦ وطبقات

المفسرين للداودى ج ٢ ص ٨١ - ٨٢

المبحث الثاني

بيان المراد من أصول التفسير باعتباره مركبا اضافيا

يتضح الطريق أمامنا لمعرفة تعريف المركب الاضافى (أصول، وتفسير) من خلال تعريفنا السابق لجزئى المركب من حيث اللغة والاصطلاح ، وبهذا يمكن أن نقول فى تعريفه ..

أصول التفسير هو عبارة عن القواعد التى يمكن بواسطتها الكشف عن معانى القرآن وشرح آياته والابانة عن دقة أساليبه وجمال تركيبه ويمكن بواسطتها التفريق بين ما هو الحق وخلافه مما جاء فى أقوال المفسرين وسبيل ذلك معرفة مجموعة من الابحاث تتعلق بالقرآن من حيث نزوله وأسباب هذا النزول ولا يكون ذلك الا بمعرفة السنة النبوية الصحيحة ، ومن حيث معرفة عامه وخاصه ومطلقة ومقيدة ومجملة ومبينة الى غير ذلك مما يكون قواعد تجب معرفتها لمن أراد أن يتصدى لتفسير القرآن العظيم .. والله أعلم ،

المبحث الثالث

معنى التأويل والتفسير وهل بينهما فرق أم لا ؟

يتبغى لنا وقد فرغنا من معنى التفسير في اللغة والاصطلاح أن نخرج التأويل ، ثم نخرج على ما قيل من الفرق بينه وبين التفسير ، وذلك لأن الدخيل قد دخل على الاسلام من بابها وحمل هذا اللفظ على ما لا يحتمله من المعاني حتى توافق النصوص أهواء قوم ارادوا تحكيم آرائهم في الاسلام ، وجعلوا نصوص الكتاب والسنة تبعاً لأهوائهم وعلى ضوء تخيلاتهم ونزعاتهم وعقائدهم الزائفة كأهل الأهواء من الفرق الضالة من المعتزلة والرافضة والخوارج (١) (٢) (٣) ، وغيرهم من فرق الأهواء ومن تأثر بهم ممن ينتسب إلى أهل السنة .

(١) المعتزلة فرقة ظهرت في زمن الحسن البصرى التابعى الجليل ، وتزعما واصل بن العطاء ولهم أصول خمسة فارقوا بها جماعة أهل السنة وهي :
أ - التوحيد ويعنون به نفى الصفات عن الله
ب - العدل ويعنون به وجوب اثابة المطيح وعقاب العاصى على الله سبحانه وتعالى
ج - وانفاذ الوعد والوعيد .
د - والمتمثلة بين المتزلتين ، ويعنون بذلك أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين الايمان والكفر فلا يسمى مؤمناً ولا كافراً وهو مخلص فى النار .
هـ - الدعوة يعنى الدعوة الى مذهبهم والنوب بالقوة ، هذا خلاصة مذهبهم .

(٢) هم فرقة من الفرق الضالة القائلين بامامة على بالنص ولهذا سمو الامامية وسموا الرافضة لأن زيد بن على بن الحسين بن على حين امتنع من لعن أبى بكر وعمر ورضى الله عنهما وقال انهما وزيرى جدى محمد صلى الله عليه وسلم رفضوه ورفضوا رأيه .

(٣) والخوارج فرقة من الفرق الاسلامية الضالة سموا بذلك لأنهم خرجوا على على بن أبى طالب فى صفين عند اقامة الحكمين ، انظرا لاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم المجلد الأول ص ٨٦ على الهامش .

التأويل هي اللغة

ذكر العلماء للتأويل معان ثلاثة الأول حقيقة الشيء وما يؤمّل اليه

أمره الثاني هو التفسير والبيان ، والثالث هو صرف اللفظ عن ظاهره الذي

محتمل مرجوح لدليل يدل على ذلك .

والمعنيان الأولان هما المعروفان عند علماء السلف وأما المعنى

الأخير فهو اصطلاح المتأخرين كما سيتبين ان شاء الله . . .

قال ابن فارس " يقال أول الحكم الى أهله أى أرجعه ورده

اليهم . . .

قال الخليل آل اللبب أولاً وأوولاً وكذلك النبات . . . والاياله

السياسة. من هذا الباب لأن مرجع الرعية الى راعيها قال الأصمعي : آل الرجل

رعيته يوه ولها اذا أحسن سياستها . . . وآل الرجل أهل بيته من هذا أيضاً

لأنه اليه مآلهم واليه مآله . . . ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته

وما يؤمّل اليه وذلك قوله تعالى " هل ينظرون الا تأويله " (١) يقول ما يؤمّل اليه

فى وقت بعثهم ونشورهم " (٢)

وفى القاموس " آل اليه أولاً ومآلاً رجح وعنه ارتد . . . وألته

أنا لازم ومتعد والملك رعيته ايالا ساسهم ثم قال : وأول الكلام تأويلاً وتأوله دبره

وقدره وفسره والتأويل عبارة الروميا " (٣)

(١) الأعراف آية ٥٣

(٢) معجم مقاييس اللغة ج١ ص ١٥٩ - ١٦٢

(٣) ج٣ ص ٣٤١

وفى تاج العروس نقلا عن جمع الجوامع هو " حمل الظاهر على المحتمل
المرجوح فان حمل الدليل فصحح أو لما يظن دليلا ففاسد " أو لا لشيء فلع ب
لا تأويل ونقل عن ابن الكمال أيضا " التأويل صرف الآلية عن معناها الظاهر الى
تحتمله اذا كان المحتمل الذي تصرف اليه موافقا للكتاب والسنة كقوله " يخرج
الحى من الميت " (١) ان أراد به اخراج الطير من البيضة كان تأويلا أو اخراج
المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلا " (٢)

وهذا التعريف الأخير هو تعريف المتأخرين قال شيخ الاسلام
ابن تيمية رحمه الله تعالى " ان التأويل فى عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة
والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح
لدليل يقتن به ، وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل
الخلافة فاذا قال أحدهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا
قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل ، والمتأول عليه وظيفتان
بيان احتمال اللفظ للمعنى الذى ادعاه ، وبينان الدليل الموجب للصرف اليه عن
المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذى يتنازعون فيه فى مسائل الصفات اذا
صنف بعضهم فى ابطال التأويل أو ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول
وقال الآخر يجب تأويلها .

(١) الروم آية ١٩

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ج ٧ ص ٢١٥

وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة

أو يصلح للعلماء دون غيرهم الى غير ذلك من المقالات والتنازع ^(١)

وأما الاستعمالان الباقيان للكلمة فهما المعروفان عند علماء السلف

قال شيخ الاسلام رحمه الله " وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان

أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل

والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا والله أعلم هو الذي عنده مجاهد ^(٢) بقوله أن

العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره " القول في تأويل

قوله كذا وكذا •

اختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير ••

والمعنى الثاني في لفظ السلف هو نفس المراد من معنى الكلام فان الكلام ان كان

طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وان كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به

وبين هذا المعنى والمعنى الذي قبله بون فان الذي قبله يكون التأويل فيه من

باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان

له الوجود الذهني والرسمي ، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في

الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة ، فاذا ما قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ١٣ ص ٢٨٨

(٢) هو مجاهد بن جبر التابعي الكبير المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي

مولي السائب بن أبي السائب كان أحد الأعلام الأثبات تتلمذ على ابن عباس

وتخرج عليه وكان رأسا في التفسير حتى قال الثوري فيه " اذا جاءك التفسير

عن مجاهد فحسبك به ، ولد سنة احدى وعشرين من الهجرة وتوفى بمكة وهو ساجد

سنة اربع ومائة على الأشهر وعصره ثلاث وثمانون سنة •

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٠٤

طلوعها ويكون التأويل من باب الوجود العيني الخارجي . .

فتأويل الكلام هو الحقائق الثابتة في الخارج بما هي عليه من

صفاتهما وشؤونهما وأحوالهما وتلك الحقائق لا تعرف على ما هي عليه بمجرد الكلام

والاخبار الا أن يكون المستمع قد تصورهما أو تصور نظيرهما بغير كلام واخبار^(١) .

هذا وقد ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم على معان مختلفة وهي

كلها تعود الى هذين المعنيين اللذين حكاهما شيخ الاسلام رحمه الله عن السلف

فقد ورد :

أ - في معنى التفسير والتبيين كما في قوله تعالى " فأما الذين في قلوبهم زيغ

فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله^(٢) "

فهو في هذه الآية بمعنى التفسير والتعيين .

ب - وورد بمعنى العاقبة والمصير كما في قوله تعالى " فان تنازعتم في شئ فردوه

الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً^(٣) "

ج - وورد بمعنى مدلول الشئ وما يؤول اليه كما في الآيات الآتية " وكذلك

يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك^(٤) "

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ١٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠

(٢) آية ٧ من سورة آل عمران

(٣) آية ٥٩ من سورة النساء

(٤) آية ٦ من سورة يوسف

وقوله تعالى " ودخل معه السجن فتيان قذال أحدهما انى أراى أعصر
خمرا وقال الآخرانى أراى أحصل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا
بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتىكما طعام ترزقانه الا نبئكما
بتأويله قبل أن يأتوكما " (١) وكذلك قوله تعالى " أفضثت أحلام وما نحن
بتأويل الآحلام بعالمين " (٢) وقوله " وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة
أنا أنبئكم بتأويله فاسلونى " (٣)

وقوله تعالى حكاية عن يوسف لما دخل أهله مصر " فلما دخلوا على يوسف
آوى اليه أبويه وقالادخلوا مصر ان شاء الله آمنين " ورفع أبويه على العرش
وخرواله سجدا وقال يا أبنت هذا تأويل رؤىماى من قبل قد جعلها ربهى حقا " (٤)

فتأويل الآحادىث التى هى رؤى يا المنام هى نفس مدلولها الذى توهم اليه
كما قال يوسف عليه السلام " هذا تأويل رؤىماى من قبل " والعالم بتأويلها
هو الذى يخبر به كما قال يوسف عليه السلام " لا يأتىكما طعام ترزقانه أى فى
المنام الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتىكما أى قبل أن يأتىكما التأويل .

د - ويرد أيضا بمعنى تأويل الأفعال كما فى قوله تعالى " هذا فراق بينى وبينك
سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا " (٥) وقوله " وما فعلته عن أمرى ذلك
تأويل ما لم تستطع عليه صبورا " (٦) فالتأويل هنا تأويل الأفعال التى فعلها
من خرق السفينة بغير إذن صاحبها ومن قتل الغلام ومن أقامه لجدار فهو
تأويل عمل لا تأويل قول " (٧)

(١) الآياتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة يوسف
(٢) آية ٤٤ من يوسف أيضا
(٣) آية ٤٥ من سورة يوسف
(٤) الآياتان ٩٩ ، ١٠٠ من سورة يوسف
(٥) آية ٧٨ من سورة الكهف
(٦) آية ٨٢ من سورة الكهف أيضا
(٧) هذه الآيات كلها استشهد بها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى تقرير معنى التأويل
وهذه التفسيرات التى فسرن بها ما أخذوا انظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٩١ م ص ٢٩٠

الفرق بين التأويل والتفسير

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التأويل والتفسير ،

قال السيوطي رحمه الله "اختلفوا لتفسير والتأويل فقال أبو عبيد^(١) وطائفة هما بمعنى

وقد أكرز لك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال قد نبغ في زماننا مفسرون

لو سئلوا الفرق بين التأويل والتفسير ما امتدوا إليه "

وقال الوراق^(٢) "التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها

وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية

والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها ، وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها

واحد والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من

الأدلة"^(٣)

وفي الفروق اللغوية أن التفسير هو الأخبار عن أفراد آحاد الجملة

والتأويل الأخبار بمعنى الكلام ، وقيل التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل

والتأويل الأخبار بفرض المتكلم بكلامه ، وقيل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره

بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة ومنه يقال تأويل المتشابه ، وتفسير الكلام

(١) هو القاسم بن سلام بالتشديد اللام التركي البغدادي مولى الأزد الإمام الفقيه

المحدث الحافظ الحجة اللغوي الأديب توفي بمكة سنة اثنتين وعشرين ومائتين

وقيل ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين عن سبع وستين سنة •

انظر طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٣٢ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣١٥

(٢) هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني المعروف بالوراق صاحب

المفردات في غريب القرآن كان في أوائل المائة الخامسة تذاكر المصاحف والسنن

اطلعت عليها سنة ولادته ولا وفاته انظر طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٣٢٦

(٣) الاتقان ج ٢ ص ١٧٣

أفراد آحاد الجملة ووضح كل شئ منها موضعه " (١)

وقال الماتريدي " التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله

أنه عنى باللفظ هذا فان قام دليل عقوطع به فصحيح والا فتفسير بالرأى وهو

المنهى عنه والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله " (٢)

وقال أبو طالب الثعلبي التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازا كتفسير المصراط

بالطريق والصيب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو

الرجوع لحاقبة الأمر .

فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف

عن المراد والكشاف دليل مثاله قوله تعالى " ان ربك لبالمرصاد " (٣)

تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير

من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهمية والاستعداد للعرض عليه وقواطع الأدلة

تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللفظة . .

وقال الأصبهاني " اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معانى القرآن وبيان

المراد أم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره

والتأويل أكثره في الجمل ، والتفسير اما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة

والنسائية والوسيلة أو في جزئيين الشرح نحو " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " واعافى

كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله انما النسي زيادة في الكفر " (٥)

(١) الفروق اللغوية ص ٤٢

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٧٣

(٣) آية ١٤ من سورة الفجر

(٤) الاتقان ج ٢ ص ١٧٣

(٥) سورة التوبة آية ٣٧

وقوله " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " (١)

وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عامومرة خاصة نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة او الايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى ، واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود "

وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراسة .

وقال أبو نصر القشيري التفسير مقصور على الاتباع والسمع ، والاستنباط مما يتعلق بالتأويل ، وقال قوم ما وقع مبيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح ، وليس لأحد أن يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون لمعاني الخطاب الماهرون في الآلات .

وقال قوم منهم الكواشي والبغوي التأويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط (٢) الى غير ذلك عن الفروق التي ذكرها العلماء .

قلت ويمكن ارجاع كل هذه الأقوال مع كثرتها الى خمسة أقوال الأول أن التفسير والتأويل بمعنى واحد .

والثاني أن التفسير هو ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراسة

(١) سورة البقرة آية ١٨٩

(٢) الاطنان ج٢ ص ١٧٣

والثالث أن التفسير يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل في المعاني والجملة
وأن استعمال التأويل في الكتب الإلهية أكثر واستعمال التفسير يكون فيها وفي غيرها
فيكون معناه أعم .

والرابع أن التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتأويل توجيه لفظ متوجه
إلى معان كثيرة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

والخامس أن التفسير ما يقطع أن المراد من اللفظ كذا والشهادة على الله بأنه عنى
باللفظ كذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه .

والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله ، هذا حاصل
الخلاف في هذه المسئلة ، ويمكن الرجوع هذه الأقوال الخمسة أيضاً إلى قولين هما :

١ - أن التفسير والتأويل بمعنى واحد

٢ - أن التفسير ما يتعلق بالألفاظ الظاهرة والتأويل ما يتعلق بالمعاني الباطنة

وقد علمت فيما سبق رأى السلف الصالح وأنهم لا يفرقون بين التأويل

والتفسير بل هما بمعنى واحد عندهم ورأيهم أولى بالاتباع من آراء المتأخرين

المختلفة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " فأما قد ما المفسرون فلفظ التأويل

والتفسير عندهم سواء كما يقول ابن جرير : القول في تأويل الآية أى تفسيرها

ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد وهو إمام التفسير جعل الوقف على قوله

(الراسخون في العلم) ^(١) فان الراسخين في العلم يعلمون تفسيره ، وهذا القول

(١) آل عمران آية ٧

اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة وأما متأخروا المفسرين كالتعلبي
فيفرقون بين التفسير والتأويل قال فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المغلق من
المراد بلفظه ، والتأويل صرف الآلية الى معنى تحصله يوافق ما قبلها وما بعدها . .
وأبو الفرج ابن الجوزي يقول : اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد ؟
أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون الى العربية الى أنهما بمعنى ، وهذا قول
جمهور المفسرين المتقدمين .

وذهب قوم يميلون الى الفقه الى اختلافهما فقالوا التفسير اخراج الشيء عن مقام
الخفاء الى مقام التجلي ، والتأويل نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته
الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ " (١)

(١) مجموع الفتاوى ج ١٧ ص ٢٦٧ - ٢٦٨

الفصل الثاني

فـى أصول التفسير عند الصحابة والتابعين

وفيه مباحث:

المبحث الأول : حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ

القرآن الكريم وفهمه وتبليغه .

المبحث الثاني : فهم الصحابة للقرآن والأصول التي كانوا يرجعون

إليها في تفسيره ، مع ذكر أشهر المفسرين منهم .

المبحث الثالث : أصول التفسير عند التابعين

المبحث الأول

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ القرآن الكريم
وفهمه وتبليغه

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد ملك مشاعر سلفنا الصالح والتأثر
بعنايتهم التي لم يحظ بمثلها كتاب منزل من قبله فالسلف الصالح ابتداءً من
النبي صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن وصحابته الكرام قد وجهوا كل
عنايتهم بحفظ هذا الكتاب بضبط الفاظه وحفظ منتهه أولاً ثم فهم معانيه والعمل
بأحكامه فانها .

وقد صور لنا القرآن الكريم مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ
القرآن الكريم حيث كان ينزل عليه جبريل يوحى القرآن فيستعجل حفظ ما يوحى اليه
قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من القائه اليه مخافة أن يتفقت شيء منه فنهاه
الله عن ذلك . وضمن له جمعه وحفظه .

قال تعالى " ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه وقل ربى زدنى علماً " (١)
وقال جل من قائل " لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه " فاذا
قرآناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه " (٢)

وكان حرصه صلى الله عليه وسلم شديداً الى هذا الحد مخافة أن
تضيع منه بعض الآيات من صدره ، فيحرص على متابعة جبريل عليه السلام

(١) سورة طه آية ١١٤

(٢) سورة القيامة الآيات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩

فى كل حرف يدارسه اياه حتى يسر الله عليه حفظه ، وأمره بالتأنى والاستماع حتى يفرغ جبريل من تلاوته عليه ووعد به حفظه وجمعه فى صدره وعدم ضياع شىء منه .

وقد بيّدت الآثار الواردة فى سبب نزول هذه الآيات مدى هذا الحرص .

• أوضح بيان

فقد روى الامام أحمد فى مسنده فى رواية ابنه عبد الله قال حدثنى أبى ثنا سفهان قال وقال موسى بن أبى عائشة سمعت سعيد بن جبيرة يقول قال ابن عباس : كان اذا نزل على النبى صلى الله عليه وسلم قرآن يريد أن يحفظه فقال الله عز وجل " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرآناه فاتبع قرآنه " ^{(١)(٢)} وقال أيضا بسنده الى ابن عباس " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه .

قال فقال لى ابن عباس أنا أحر ك شفثى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثيه ، وقال لى سعيد : وأنا أحر ك شفثى كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه ، فأنزل الله عز وجل " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه " ^(٣) وفى صحيح البخارى رحمه الله قال حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبى عائشة قال حدثنا سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فى قوله تعالى " لا تحرك به لسانك لتعجل به قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفثيه فقال ابن عباس

(١) سورة القيامة الآيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨

(٢) المسند ج ١ ص ٢٢٠

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٩

فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما . وقال سعيد
أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفثيه ، فأنزل الله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه له في صدرك
وتقرأه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " قال فاستمع له وأنصت ، ثم ان علينا بيانه
ثم علينا أن تقرأه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل
استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه " (١)
وروى ابن أبي حاتم بسنده الى ابن عباس قال حدثنا أبو سعيد الأشج
حدثنا أبو يحيى التميمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحي يلقى منه شدة وكان اذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه ينطقى أوله ويحرك
شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل لا تحرك به لسانك
لتعجل به " (٢)

وبعد أن نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن استعجال حفظ القرآن
وأمره بانتظار نهاية قراءة ملك الوحي = جبريل عليه السلام = كان يستمع
وينصت الى ما يوحى اليه ثم بعد فراغ الملك من القراءة كان يبدأ القراءة امتثالاً
لامر الله عز وجل واطمئناناً لوعده له بعدم الضياع شيء منه .

فهمه صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم :

كان من الطبيعي أن يفهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم لفظاً
ومعنى وجملته وتفصيلاً بعد أن تكفل الله له بالحفظ والبيان في قوله تعالى "ان علينا
جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه " (٣)

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٤

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٩

(٣) سورة القيامة الآيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

كما أنه من الطبيعي أن حفظ النبي صلى الله عليه وسلم وفهمه
للقرآن الكريم ليس مبنيا على الاجتهاد والكسب ، وإنما هو وحي وهبة من الله
أوحى الله اليه ووجهه اياه ثم أمره باتباعه وتبليغه الى الناس، ومن هنا فلم يكن
من النبي صلى الله عليه وسلم الا انتظاره للوحى ثم تلقيه اياه من الملك الموكل به
ثم قيامه بالتبليغ والبيان للناس ، فما كان له أن يزيد شيئا من عند نفسه لا فى
لفظ القرآن ولا فى معناه ، قال الله تعالى " واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا أتت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من
تلقاء نفس ان اتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم" (١)
وقال تعالى " واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا" (٢)
وقال جل من قائل " واتبع ما يوحى اليك من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين" (٣) وقال " واتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن
المشركين" (٤) وقال تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام " قل ما كنت بدعا
من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير
مبين" (٥)

قيامه صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة ، وبيان القرآن للناس :

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بتبليغ الدعوة الى الناس وأسند اليه

بيان القرآن بوحي منه وارشاد فقال جل من قائل " يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك
من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته " وقال جل وعلا " وأنزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يفكرون" (٦) فامتثل أمر الله فقام
(٧)

(١) سورة يونس آية ١٥

(٢) سورة الاحزاب آية ٢

(٣) سورة يونس آية ١٠٩

(٤) سورة الانعام آية ١٠٦

(٥) سورة الاحقاف آية ٩

(٦) سورة المائدة آية ٦٧

(٧) سورة الفحل آية ٤٤

بالدعوة وبيان الكتاب خير قيام وعلى أم وجه قال ابن القيم رحمه الله " وأكمل
الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون في منازلهم عند
الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم
أنبيائه ورسله - صلى الله عليه وسلم - فإنه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد في
الله حق جهاده ، وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل
فانه لما نزل عليه : يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر" ^(١) شمر
عن ساق الدعوة وقام في ذات الله أتم قيام ودعا إلى الله ليلا ونهارا ، سرا وجهارا
ولما نزل عليه " فاصدع بما تؤمر " ^(٢) فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم
فدعا إلى الله الصغير والكبير ، والحر والعبد والذكر والانثى والأحر والأسيود
والجن والانس ^(٣)

هكذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على حفظ
القرآن الكريم ، وبيانه للناس ما أنزل إليهم واهتماعه وتبليغه الدعوة إلى الله
وسبحانه حتى بلغ في ذلك كله الغاية التي لا يرام فوقها ..

(١) سورة المدثر الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

(٢) سورة الحجر آية ٩٤

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ج ٢ ص ١٢ تحقيق

شعيب وعبد القادر الأرنؤوط

المبحث الثالث

أصول التفسير عند الصحابة ، ومن أشتهر منهم بتفسير القرآن الكريم

كان الصحابة رضوان الله عليهم على جانب كبير من الاهتمام بالقرآن الكريم وكانوا يحرصون على حفظ ألفاظه وفهم معانيه والعمل على أحكامه قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن كعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(١) وكان الواحد منهم يحفظ السورة الواحدة فى عدة سنين كما نقل عن ابن عمر أنه أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين قيل انها ثمانى سنين^(٢) .

وكان أكبر اهتمامهم فهم معناه حتى يتيسر لهم العمل بما فيه من الأحكام وقد نزل القرآن بلغتهم وعلى أساليبهم فى الكلام من الإيجاز والاطناب والتصريح والكناية والعام والخاص ، والمطلق والمقيد وغير ذلك من أساليبهم فى الخطاب قال ابن جرير واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذى أنزل له الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم وإذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً فبين أن القرآن عربى وبذلك أيضاً نطق محكم تنزله ربنا فقال جل ذكره " انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون " ^(٣) وقال " وانه لتزِيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين " ^(٤)

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١ ص ٢٨ وعلى هامشه تفسير النيسابورى

(٢) انظر الموطأ ج ١ ص ٢٠٥ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) سورة يوسف آية ٢

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا بما عليه استشهدنا من الشواهد ودلنا عليه من الدلائل فالواجب أن تكون معانى كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعانى كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامها ملاما وان بايده كتاب الله بالفضيلة التى فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفنا فاذا كان ذلك كذلك فبين ان كان موجودا فى كلام العرب الايجاز والاختصار والاجتزاء بالاخفاء من الاظهار وبالقلة من الاكثار فى بعض الأحوال واستعمال الاطالسة والاكثرار والترداد والتكرار واظهار المعانى بالاسماء دون الكناية عنها والاسرار فى بعض الأوقات والخبر عن الخاص فى المراد بالعام والظاهر وعن العام فى المراد بالخاص الظاهر وعن الكناية والمراد منه المصرح وعن الصفة والمراد الموصوف وعن الموصوف والمراد الصفة وتقديم ما هو فى المعنى مؤخر وتأخير ما هو فى المعنى مقدم والاكتفاء ببعض من بعض ونما يظهر عما يحذف ، واظهار ما حظه الحذف أن يكون ما فى كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك فى كل ذلك له نظيرا وله مثيلا وشبيها " (١)

وإذا ثبتت بذلك عربية القرآن الكريم فمن الطبيعى أن يفهمه الصحابة الكرام فيما يتوقف فهمه على فهم أساليب العربية ، لأن العربية لغتهم وسجيتهم والفصحى محل تنافسهم وتفاخرهم ، وأما ما لا يتوقف فهمه على فهم اللغة فكانوا يرجعون فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما سنبين قريبا ان شاء الله كما أنهم كانوا يستعملون فى فهم القرآن الى الأشعار العربية .

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٥ - ٦ وعلى هامشه تغيير النيسابورى

أمثلة فى رجوع الصحابة الى الاشعار العربية :

ومن الأمثلة فى ذلك ما روى عن عمر رضى الله عنه من أنه كان على المنبر فقرأ قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف " (١) ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا التقصير ثم أنشده :

تخوف الترحل منها قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم " (٢) وقال ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتسنا منه معرفة ذلك وعن ابن عباس أيضا " اذا سألتونى عن غريب القرآن فالتسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب "

وعنه أيضا أنه كان يسأل عن القرآن فيشد فيه الشعر " قال أبو عبيد يعنى كان يستشهد به على التفسير " وقد ساق هذه الآثار كلها السيوطى رحمه الله فى الاتقان ثم قال " قلت قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك ، وأوعب ما روينا عن مسائل نافع بن الأزرق وقد أخرج بعضها ابن الأنبارى فى كتاب الوقوف والطبرانى فى معجمه الكبير وقد رأيت أن أسوقها هنا بتامها ليستفاد ثم ساق بسنده الى عبد الله بن أبى بكر بن محمد عن أبيه قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتف الناس لهسئله عن تفسير القرآن فقال نافع ابن الأزرق لئجده ابن العويمر قربنا الى هذا الذى يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما اليه فقالا انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ونأتيننا بمصادق

(١) سورة النحل الآية ٤٧

(٢) تفسير فتح البیان ج ٥ ص ٢٤٨

من كلام العرب فان الله تعالى انزل كتابه بلسان عربى مبين فقال ابن عباس
(١) (٢) سلاى عما بدا لكما فقال نافع عن قول الله " عن اليمين وعن الشمال عزين"
قال العزون حلق الرفاق ، قال وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم أما سمعت
عبيد بن الأبرص وهو يقول جاءوا بهرون حتى - يكونوا حول منبره عزينا
قال أخبرنى عن قوله تعالى " وابتغوا اليه الوسيلة " (٣) قال الوسيلة
الحاجة ، قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت عنزة وهو يقول :
ان الرجال لهم اليك وسيلة * ان يأخذوك تكحلى وتخضسى
الى آخر ما ذكر السيوطى رحمه الله من الأمثلة الكثيرة فى نحو ثمانية أوراق من
كتابه الاتقان (٤) وكلها على هذا النمط من السوء ال والجواب ، مما يدل على أنهم
رضى الله عنهم كانوا يستعينون باللغة العربية على فهم القرآن الكريم وأن ذلك
أصل مساعد من الأصول التى كانوا يرجعون اليها فى فهمه .
رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم :

قد نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم فلذلك كان
الصحابة يفهمونه ويعلمون معانيه كما ذكرنا فى مفرداته وتراكيبه ، ويرجعون فى ذلك
الى ديوانهم أى الشعر العربى الجاهلى ، وكان القرآن الكريم ينزل منجما جملا
جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع مما كان عاملا

(١) الاتقان ج ١ ص ١١٩

(٢) سورة المعارج آية ٢٧

(٣) سورة المائدة آية ٣٥

مساعدًا لحفظهم واثقائهم الذي لم يعرف له نظير ، هذا هو العامل الأول الذي يستعينون به في فهم القرآن الكريم .

أما العامل الثاني الذي يعتبر الأصل الأول في فهمهم للقرآن فهو رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يبسبب لهم المفضل ويقيدهم المطلق ويميز لهم بين الناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما كان يشكل عليهم والأمثلة في ذلك كثيرة منها رجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم في تفسير الظلم في قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " (١) فقد شق ذلك عليهم وقالوا يا رسول الله وأين لا يظلم نفسه ؟ فقال : انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح " ان الشرك لظلم عظيم " (٢) اما هو الشرك ومنها تفسيره صلى الله عليه وسلم القوة بالرسم في قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (٣) حيث قال عليه الصلاة والسلام " ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ، وألا ان القوة الرمي " (٤)

وكتفسيره المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى ، الى غير ذلك من

الأمثلة والوقائع التي تثبت رجوع الصحابة إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم في بيان

القرآن الكريم .

وقد كانت علوم القرآن في وقتهم تنطق شفها حيث لا كتابة ولا ديوان عند هم وكانت

عند هم مميزات كثيرة لم تكن لغيرهم كما أن لتفسيرهم مميزات لا توجد في غيره من التفاسير

(١) سورة الانعام آية ٨٢

(٢) سورة لقمان آية ١٣

(٣) سورة الأ نفال آية ٦٠

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٦٤ وسنن أبي داود ٣/٣ وابن ماجه ٢/٢/ ٩٤٠ رقم الحديث ٢٨١٢

(٥) جامع الترمذي بشرح المباركفوري ٨/٢٨٧

مميزات التفسير في عهد الصحابة

الصحابة رضوان الله عليهم عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا
عنه القرآن الكريم وعرفوا أسباب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه
عليه الصلاة والسلام بالإضافة إلى أنهم كانوا في غنى عن العلوم المستحدثة
المدونة بعد قرنتهم كالنحو والصرف والبلاغة وغيرهما من العلوم التي أخذت جزء
كبيراً من اهتمام من جاء بعد قرنتهم إذ كانوا في عصر خلوص العربية عن
العجمة فكان تفسيرهم يعتمد على التلقى والأخذ من منبعه الصافي الأصيل
من النبي صلى الله عليه وسلم يستلونه إذا أشكل عليهم تفسير شيء من القرآن الكريم
فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ببيان وإيضاح ذلك لهم كسوء الظنم
حين أشكل عليهم في قوله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك
لهم الأمان وهم مهتدون" (١)

وقد توفر فيهم عن الأوصاف ما لم يتوفر لغيرهم إذ كانوا كما وصفهم
الحسن البصرى رحمه الله "أبرهذه الأمة قلوباً وأعقبا علماً" (٢) وروى عن
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال "من كان متأسباً فليتأسس بأصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فإنهم أبرهذه الأمة قلوباً وأعقبا علماً وأقلها تكلفاً وأقومها
هدياً وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقامه
دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (٣)

(١) الانعام آية ٨٢

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢، ص ١١٩

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢، ص ١١٩، وجامع الأصول في أحاديث الرسول

لابن الأثير ج ١، ص ٢٩٢

وقد وصف الامام ابن القيم رحمه الله بما امتاز به تفسيرهم فقال "أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والاقبيسة فلا ريب أنهم كانوا أبرد قلوبا وأعمق علما وأقل تكلفا . وأقرب أن يوفقوا لما لم يوفق له نحن لما خصهم الله تعالى بهم من هوقد الأذمان وفصاحة اللسان وقلة المعارض وأعدمه وحسن القصد ، وتقوى الرب ، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركززة في فطرتهم وعقولهم ولا حاجة بهم الى النظر في الاسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولا الى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين بل قد أغنوا عن ذلك كله فليس في حقهم الا أمران أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسوله كذا ، والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الأمة بهما فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما (١)

هذا حال الصحابة وتلك هي ميزة تفسيرهم لكلام الله وقد كانت علوم القرآن كما أشرنا من قبل تتلقى بالتلقين والمشاهدة في عهدهم حيث لم يبدأ تدوين العلوم الاسلامية ، الا بدايات طفيفة سدشيرا اليها ان شاء الله . .

ففي خلافة عثمان رضى الله عنه بدأ اختلاط العرب بالعجم واتسعت الامصار الاسلامية ، وتفرق القراء فيها واختلف الناس في قراءة القرآن كل واحد يخطئ الآخر ، فأمر عثمان أن يجتمعوا على مصحف امام ، وأن تسيخ منه مصاحف للأمصار وأن يحرق الناس كل ما عداها فأصبح عثمان بذلك واضع الاساس لما عرف فيما بعد بعلم الرسم ، واشتهر ايضا عندما ظهر اللحن في القواعد العربية أن عليا رضى الله عنه أمرأبا الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية فكان على بذلك واضع الاساس

لما عرف فيها بعد بعلم اعراب القرآن ..

وقد كان سبب ذلك فيما ذكره أبو الأُسود نفسه قال " دخلت على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فوجدت في يده رقعة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال انى تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعنى الأعاجم - فأردت أن أضح لهم شيئاً يرجعون اليه ويعتدون عليه ثم ألقى الى الرقعة وفيها مكتوب " الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبأ عن المسمى ، والفعل ما انبأ به ، والحرف ما جاء لمعنى وقال لى أنح هذا النحو، وأضف اليه ما وقع اليك . واعلم يا أبا الأُسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وأسم لا ظاهر ولا مضمر ، واردة بذلك الاسم المبهم ..

قال أبو الأُسود فكان ما وقع الى وان واخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على علي رضي الله عنه قال لى : " وأين لكن " ؟ فقال ما حسبتها منها فقال هى منها فالحقها ، ثم قال ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فلذلك سمى النحو نحواً " (١) ..

كانت تلك الوقائع وأمثالها بدايات أولية لظهور تلك البحوث التى عرفت فيما بعد " بعلم القرآن " ولم يظهر هذه العلوم على شكلها المعهود المتعارف عليه فى عهد الصحابة ولا فى عهد التابعين كما ستعرف ان شاء الله .

وقد اشتهر تفسير الصحابة رضي الله عنهم بالبساطة والوضوح وسهولة الأخذ وقرب التناول وذلك لأن الفلسفة وعلم المنطق لم تختلط بعلمهم كما كان خالياً مما تطرق الى التفسير من المصطلحات .

(١) نزعة الألباء فى طبقات الأديباء لابن الانبارى ص ٤ - ٥

أشهر المفسرين من الصحابة

—

الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا على مرتبة واحدة في التفسير فان منهم من لم يوء ثر عنه شيء من التفسير ، ومنهم من أدر عنه القليل ، ومنهم من اشتهر به وبرز فيه فمن المفسرين المشهورين في الصحابة عشرة هم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير ، وبين هؤلاء أنفسهم تفاوت في الكمية المنقولة عنهم من حيث القلة والكثرة ، فأما الخلفاء الأربعة فأكثر من روى منهم على بن أبي طالب ، والرواية عن الثلاثة الباقية قليلة جدا والسبب في ذلك تقدم وفاتهم ، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث .

قال السيوطي رحمه الله " ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تتجاوز العشرة (١) "

وأما على رضي الله عنه فقد روى عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب ابن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول : سلوني : فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنها ر ٢٠ ؟ أم في سهل أم في جبل ؟ وأخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر ابن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي قال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فهم أنزلت وأين نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سئولا (٢) "

(١) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٨٧

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٧

عبد الله بن مسعود :

أما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فإنه كان من احفظ الصحابة
لكتاب الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع منه القرآن وكفى
به ذلك شرفا ورفعة ، وقد أخبر هو بنفسه ذلك فقال قال لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرأ على سورة النساء قال قلت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال انى أحب
أن أسمع من غيرى فقرأت عليه حتى بلغت " فكيف اذا جئنا من كل أمة
بشاهد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " ^(١) ففاضت عيناه ^(٢)

وقد روى من التفسير أكثر مما روى عن على رضى الله عنه وأخرج
ابن جرير وغيره عنه أنه قال " والذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله
الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تتألمه
المطايا لا تيته " ^(٣)

ابن عباس رضى الله عنه :

أما عبد الله بن عباس رضى الله عنهما المتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ
فهو ترجمان القرآن وخبير الأمة وامام المفسرين دعا له النبي صلى الله عليه وسلم
بالفقه فى الدين فقال عليه الصلاة والسلام " اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " ^(٤)
فقد كانت مقدرته فى التفسير عجيبة وعلمه وفيه واسعا بسبب هذه الدعوة النبوية
المباركة وكان يستشهد بالشعر العربى فى معانى القرآن كما ذكرنا سابقا ^(٥)

(١) النساء آية ٤١

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٩٨

(٣) الاثنان ج ٢ ص ١٨٧

(٤) رواه الامام أحمد فى المسند ٦٧١ والبخارى فى صحيحه ٤٧٥ بلفظ " اللهم علمه "

(٥) انظر ص ٤١

وقد وردت عنه فى التفسير مالا يدخل تحت حصر من الروايات وتنوعت الطرق عنه فيه ، وما من آية من كتاب الله الا وتجد له فيها قولاً أو أقوالاً الاً من الذى جعل نقاد الحديث ورواة الأثر يقفون ازاء هذه الروايات التى جاوزت الحد موقف المتراب ، فتتبعوا الرواة فعدلوا العدول وجرحوا ساقطى العدالة منهم وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفاً ، وقد انتهى بحث علماء الحديث الى أن أحسن الطرق عنه طريق على بن أبى طلحة الهاشمى المتوفى سنة ٤٢ هـ وقد اعتمد عليها البخارى رحمه الله فى صحيحه فيها يعلقه عن ابن عباس س وروى عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : ان بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة " عن ابن عباس " لو رحل رجل فيها الى مصر قاصداً ما كان كثيراً أسنده أبو جعفر النحاس فى ناسخه ، قال ابن حجر : وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وهى عند البخارى عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس " (١)

ومن جيد الطرق عنه طريق قيس بن مسلم الكوفى المتوفى سنة ١٢٠ هـ عن عطاء بن السائب قال السيوطى رحمه الله " وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين وكثيراً ما يخرج منها الخريانى والحاكم فى مستدركه " (٢) ومن جيد الطرق عنه كذلك طريق محمد بن اسحاق صاحب السيرة المتوفى سنة خمسين ومائة عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عنه ، قال السيوطى رحمه الله " وهى طريق جيدة واسنادها

(١) الاتقان ج٢ ص ١٨٨

(٢) الاتقان ١٨٨/٢

حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا وفي معجم الطبراني الكبير
عنها أشياء " (١)

أوهى الطرق عنه :

كما أن من أوهى الطرق عنه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مراون السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيرا
ما يخرج الثعلبي والواحدى لكن قال ابن عدى فى الكامل للكلبي أحاديث صالحه
وخاصة عن أبي صالح وهو معروف بالفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع
وبعدده مقاتل ابن سليمان الا أن الكلبي يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب
الردية" (٢)

ومن الطرق الواهية طريق الضحاک بن مزاحم عن ابن عباس وهى منقطة
وان الضحاک لم يلق ابن عباس ، فان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه
ضعيفة لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبي حاتم .
وان كان رواية جوير عن الضحاک فأشد ضعفا لأن جويرا شديد
الضعف متروك ، ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئا انما
أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان . ومنها طريق عطية العوفى عن
ابن عباس ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا والعوفى ضعيف وليس
بواه ، وربما حسن له الترمذى " (٤)

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

(٣) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان بفتح المهملة بعد ما تحتانية الامام
الحافظ مسند زمانه أبو محمد المعروف بابى الشيخ الأصبهاني المولود سنة ٢٧٤ هـ
والمتوفى سنة ٣٦٩ هـ طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٢٤٠

(٤) الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٨٩

أبي بن كعب رضى الله عنه :

ومن المشهورين بالتفسير من الصحابة أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي ، وهو من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد القراء بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال " أقومهم أبي بن كعب " وليس أدل على جودة حفظه لكتاب الله تعالى من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، فقد أخرج الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال " ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك " لم يكن الذين كفروا " قال أبي آله سمانى لك ؟ قال نعم فجعل أبي يبكى ^(١) " من شدة الفرح .
مكانته فى التفسير :

قال الأستاذ الدكتور الذهبى رحمه الله " كان أبي بن كعب من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى ولعل من أهم عوامل معرفته بمعانى كتاب الله هو أنه كان حبرا من أحبار اليهود ، العارفين بأسرار الكتب القديمة وماورد فيها وكونه من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بالضرورة يجعله على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول ومواضعه ، ومقدم القرآن وموءخه وناسخه ومنسوخه ثم لا يعقل بعد ذلك أن صر عليه آية من القرآن يشكل معناها عليه دون أن يسئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا كله عد أبي بن كعب من المكثرين فى التفسير الذين يعتد بما صح عنهم ويعول على تفسيرهم " ^(٢)

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى أنظر جامع الأصول ج٩ ص ٧٢

(٢) التفسير والمفسرون ج١ ص ٩٢

أصح الطرق عنه فى التفسير :

أصح طريق عنه فى التفسير هى طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع
ابن أنس عن أبى العالية عن أبى رضى الله عنه وهذه طريق صحيحة، وقد ورد عن
أبى نسخة كبيرة فى التفسير ، يروها أبو جعفر الرازى بهذا الاسناد الى أبى
وقد خرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنها كثيرا ، وأخرج الحاكم منها أيضا فى مستدركه
والامام أحمد فى مسنده " . . .

ومن الطرق الحسنة عنه طريق وكيع عن سفيان ، عن عبد الله بن محمد
ابن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبىه ، وهذه يخرج منها الامام أحمد فى
مسنده وفى على شرط الحسن ، لأن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وان كان صدوقا
تكلم فيه من جهة حفظه قال الترمذى فى سننه : عبد الله بن محمد بن عقيل هو
صدوقا ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه وسمعت محمد بن اسماعيل
البخارى يقول كان أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم والحميدى يحتجون بحديث
عبد الله بن محمد بن عقيل قال محمد يعنى البخارى وهو مقارب الحديث ونصه
الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد على أن حديثه حسن " (٢)

أما الثلاثة الباقية من العشرة وهم زيد بن ثابت وأبو عوسى الأشعرى
وعبد الله بن الزبير فلم تكن الرواية عنهم منتشرة كهؤلاء ،

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء التفسير من التفسير كانس بن
مالك وأبى هريرة وابن عمرو جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنهم أجمعين " (٣)

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٢

(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٢

(٣) الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

المبحث الثالث

أصول التفسير عن التابعين

من المعلوم أن التابعين أخذوا التفسير عن الصحابة ولم يكن بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا الصحابة الذين تتلمذوا عليهم ولهذا كان لتفسيرهم مكانته الخاصة ومنزلته الرفيعة لدى العلماء الذين جاءوا بعدهم، وإن كان ما يفسرون به القرآن من اجتهاداتهم لا يساوى بتفسير الصحابة .

" وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه ، وعلى ما روه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما روه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم ، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم ، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله " (٢)

أشهر علماء التابعين في علم التفسير :

وقد أشتهر بعلم التفسير عدد غير قليل من التابعين من أشهر هؤلاء تلاميذ عبد الله بن عباس كمجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ قال الفضل بن عييون سمعت مجاهدا يقول " وعرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وعنه أيضا قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيما نزلت وكهف كانت . .

ولهذا كان العلماء يثنون على تفسيره ويعتدون عليه ، قال الثوري

(١) علماء السلف ما كانوا يروون الاسرائيليات على سبيل الاعهاد والاعتقاد بصحتها وإنما على سبيل الأخذ بالأذن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في روايتها ما لم تشتمل على ما يناقض شرعنا .
(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٩

" اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به " وقال خصيف " كان أعلمهم بالتفسير مجاهد " وكان الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم يعتمدون على تفسيره .
ومنهم سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ قال فيه وفي غيره سفيان الثوري خذ التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك " .
ومنهم عكرمة مولى ابن عباس وطاوس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة ١٠٦ هـ وعطاء بن أبي رباح المكي المتوفى سنة ١١٤ هـ
وكذلك تلاميذ عبد الله بن مسعود بالعراق :

كعلقمة بن قيس المتوفى سنة ١٠٢ هـ ، ومسروق بن الأجدع المتوفى سنة ٦٣ هـ ، والأُسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ ، وأبراهيم النخعي المتوفى سنة ٩٥ هـ ، وعامر الشعبي المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، ومرة ابن شراحيل الهمداني المتوفى سنة ٧٦ هـ
تلاميذ أبي بن كعب بالمدينة :
وكذلك تلاميذ أبي بن كعب بالمدينة

ومن أشهرهم زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب المتوفى سنة ١٣٦ هـ
ومحمد بن كعب القرظي المتوفى سنة ١١٨ هـ ، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة ٩٠ هـ ،

وكان التفسير في هذه الحقبة محتفظا ببساطته ووضوحه حيث لم تتسرب اليه مصطلحات العلوم الأجنبية كعلم المنطق والفلسفة

وكذلك كان متمسكا بالاجاز وعدم التوسع لأن الناس لم يكونوا بحاجة الى ذلك ، ولم تغط معالمه العلوم العربية الاصطلاحية الحادثة كالنحو والصرف والبلاغة إذ لم تر اللغة العربية محفوظة على السجية ولم تر في أوج حياتها

وحيويتها وان بدأ تسرب اللحن اليها قليلا ، كما أن تدوين العلوم الشرعية
لم يأخذ طريقه بشكل كامل ، وعلم أصول التفسير ضمن العلوم الشرعية الأخرى لم
يأخذ طريقه الى التدوين ولم تظهر معالمه على صورته المعهودة المعروفة .
اذ لم يزل هذا العهد كما قلنا سابقا على صفات عهد الصحابة في الأغلب، لهذا
لم تظهر العلوم الصناعية كالنحو والصرف والبلاغة، وكلما بعد الناس عن عصر
النبوة والصحابة الكرام ازداد جهلهم بلغة القرآن التي كانت في عهد الصحابة
ملكات للعرب لا يرجعون فيها الى نقل ولا كتاب ، فاحتاج الناس الى تدوينها
وتدريسها فيما بينهم لحاجتهم اليها في فهم كتاب الله لأنه نزل وعلى منهاج
بلاغتها جاء من عند الله .

كما أن الناس احتاجوا بسبب هذا الجهل الى تفسير ألفاظ
القرآن الكريم لفظة لفظة وجملة جملة مما كان سببا في تضخم حجم التفسير في
العصور المتأخرة . . .

الفصل الثالث

-

أصول التفسير في عصر التدوين

-

وفيه مباحث:

- ١ - بداية تدوين العلوم الإسلامية
- ٢ - تدوين علم التفسير
- ٣ - التفسير الموضوعي وظهور الاسم الاصطلاحي
- ٤ - الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير

-

المبحث الأول

في بداية تدوين العلوم الإسلامية

كانت الأمة الإسلامية في عهد النبوة والصحابة الكرام وعهد كبار التابعين تعتمد على الذاكرة والحفظ في غالب أحوالها ولم تكن عمدتها على الكتابة والتدوين بل لم يعرف أن أحدا من الصحابة دون شيئا من العلوم الإسلامية سوى القرآن الكريم والأوقائع يسيرة لبعض الصحابة .

ولم يعرف شيء من العلوم الإسلامية حظى بالكتابة والتدوين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة سوى القرآن الكريم إلا تلك الوقائع الفادرة المشار إليها قريبا ، ومن تلك الوقائع قوله صلى الله عليه وسلم " أكتبوا لأبي شاه " رجل من الصحابة ، وكذلك كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والديات " وغير ذلك من الوقائع ، ومع ذلك فقد ثبت النهي عنه عليه الصلاة والسلام في كتابة غير القرآن ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب على - قال همام أحسبه قال متعمدا - فليبوء مقعده من النار" (١) وقد جمع العلماء بين الأحاديث الناهية عن كتابة غير القرآن والأحاديث الدالة على الجواز ، فقال الإمام النووي نقلا عن القاضي عياض رحمهما الله " قد كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف ، واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي فقليل هو من يثق بحفظه ويخاف

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٢٩

اتكاله على الكتابة اذا كتب ، ويحمل على الأحاديث الواردة بلا باحة على من لا يثق بحفظه ، كحديث اكتبوا لأبي شاه ^(١) " وكحديث صحيفة على رضى الله عنه ^(٢) "

وكحديث عمرو بن حزم الذى فيه الفرائض والسنن والديات ^(٣) "

وحديث " كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذى بعث به أبو بكر رضى الله عنه أنسا

حين وجهه الى البحرين . ^(٤) وحديث أبى هريرة أن عمرو بن العاص كان

يكتب ولا اكتب ^(٥) " وغير ذلك من الأحاديث الدالة على الاذن والاباحة —

وقيل ان حديث النهى منسوخ بهذه الأحاديث وكان النهى حسين

خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن فى الكتابة .

وقيل انما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة

لكلا يخطئ فيشتبه على القارىء فى صحيفة واحدة ^(٦) " وقال ابن الاثير رحمه الله

" الجمع بين قوله " لا تكتبوا على غير القرآن " بين اذنه فى الكتابة أن الاذن فى

الكتابة ناسخ للمنوع منه باجماع الأمة على جوازه ولا يجمعون الا على أمر صحيح

وقيل انما نهى عن الكتابة : أن يكتب الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة فيخطئ

به فيشتبه على القارىء ^(٧) " وقد عقد البخارى رحمه الله بابا فى كتابة العلم "

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٦٥ فى كتاب

المباركفورى ج ٧ ص ٤٢٩

(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ٣٨

(٣) موطأ الامام مالك مع شرح الزرقانى ج ٤ ص ١٧٥ والنسائى فى سننه ج ٨ ص ٥٧

(٤) صحيح البخارى كتاب الزكاة ج ٢ ص ١٤٥

(٥) " " العلم ج ١ ص ٣٩

(٦) شرح صحيح مسلم للنووى ج ١ ص ١٢٩ — ١٣٠

(٧) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ٨ ص ٣٣

فقال الحافظ فى شرح هذه الترجمة " طريقة البخارى فى الأحكام التى يقع فيها الاختلاف أن لا يجزم فيها بشئ بل يورد ما على الاحتمال وهذه الترجمة من ذلك لأن السلف اختلفوا فى ذلك عملاً وتركاً ، وان كان الأمر مستقروا لاجتماع انعقد على جواز كتابة العلم بل على استحبابه ، بل لا يبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يهتمون عليه تبليغ العلم " (١)

والحاصل أن العلوم كانت غير مدونة فى عهد النبى والصحابة وما ورد فى الأحاديث السابقة من الوقائع التى تدل على وجود بعض من دون بعض الأحاديث لا يعدو وقائع نادرة وقد عرفت مع ذلك وجود النهى عن النبى صلى الله عليه وسلم و تحرج كثير من السلف بكتابة الحديث لاجل هذا النهى وقد استمر هذا التحرج من البعض فى عهد الصحابة ، يدل ذلك أن زيد بن ثابت دخل على معاوية فسأله معاوية عن حديث فأخبره فأمر معاوية انساباً يكتبه فقال له زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمناه (٢) ولما قصرت همم الناس وقل الحفظ وظهرت الفتن ووضع الحديث

على النبى صلى الله عليه وسلم وخشى الائمة ضياع العلم بدأ تدين الحديث وكان ذلك بيد الامام الزهرى بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكان ذلك على رأس المائة واعتبر بذلك ابن شهاب أول مدون للحديث فلذلك قال الامام السيوطى فى ألفيته " أول جامع الحديث والأثر ابن شهاب أمراً له عمر " (٣) وكانوا

(١) فتح البارى ج ١ ص ٢١٤

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب العلم ج ٣ ص ٢١٩ وقال الشيخ عبدالقادر

الارناوعموط فى تعليقه على جامع الأصول اسناده ضعيف وكثير بن زيد فيه مقال والمطلب بن عبد الله بن حنطب روايته عن زيد برسلة " جامع الأصوب ج ٢ ص ٢٢

(٣) ألفيته السيوطى فى علم الحديث ص ١٠

قبل ظهور الفتن لا يسئلون عن يأخذون عنه الحديث لأن الناس كانوا ثقات عدولا
وما كان أحد منهم يتصور تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
ظهرت الفتن ، وأهل البدع انتبه أهل الخيرة على الاسلام والسنة ، فبدأوا
ينظرون في الاسناد ولا يأخذون الا من ثبتت عندهم عدالته ، وبدأوا بجمع الحديث
وتدوينه ليسهل عليهم حفظه ، ومن هنا بدأ علم الجرح والتعديل ذكر الامام مسلم
رحمه الله في مقدمة صحيحه بسنده الى ابن سيرين قال ابن سيرين " لم يكونوا
يسئلون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة
فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٤

المبحث الثاني

تدوين علم التفسير

تم تدوين علم الحديث كما ذكر بهد الامام الزهري رحمه الله بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ثم كثير التدوين والتصنيف بعد ذلك، ودون التفسير في أول الأمر مع الحديث غير مستقل عنه كباب من أبوابه ثم دون مستقلاً عنه، وكان مدونوا التفاسير من أهل هذه الطبقة من أئمة الحديث وحفاظه ومدونييه، فضمن تدوينهم للأحاديث النبوية ماورد من الأحاديث أو أقوال الصحابة والتابعين تفسيراً لآي القرآن الكريم، وكانت كل هذه التفاسير مروية بالاسناد السلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الصحابة والتابعين، وقد اقتصرت هذه الطبقة على التفسير المأثور ولم تضيف إلى تفاسيرها شيئاً من الاستنباط أو المعالجات اللغوية، كما أن بعضهم ألف تفاسير مستقلة تجمع بين الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين الواردة في تفسير القرآن الكريم.

ومن أقدم هؤلاء ابن جريج (١) وابن اسحاق، ومعمار اليماني (٢)

(١) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المتوفى سنة ١٥٠ هـ وهو ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل من العبادسة كما قال الحافظ في التقریب ص ٢١٩ الطبعة الباكستانية •

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار أبو بكر المطلبى المدني نزيل العراق امام المغازى قال الحافظ في التقریب صدوق يدللس ورمى بالتشيع والقدر توفى سنة ١٥٠ هـ انظر التقریب ص ٢٩٠ من الطبعة الباكستانية •

(٣) هو معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عمرة البصرى نزيل اليمن وهو ثقة ثبت فاضل توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة أو أربع وخمسين ومائة • انظر التقریب ص ٣٤٤ الطبعة السابقة •

- (١) وسعيد بن أبي عروبة (٢) وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، (٣) وربيع بن صبيح (٤)
والليث بن سعد ، (٥) وعبد الله بن المبارك ، (٦)

(٧) ثم جاء بعد هم علماء الحديث الذين ألفوا التفسير المسندة المستقلة
كسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح (٨) ، وشعبة بن الحجاج (٩)

- (١) هو سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولا هم أبو النضر البصرى الثقة
الحافظ لكنه كثير التدليس ، وقد اختلط توفى سنة ١٥٦ هـ تقريباً ص ١٢٤
- (٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي الثقة الحافظ الفقيه
العابد الامام الحجة المتوفى سنة ١٦١ هـ تقريباً ص ١٢٨ / الباكستانية
- (٣) هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الاصبحى أبو عبد الله المدنى
الفقيه امام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المثبتين حتى قال البخارى
رحمه الله أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر ، توفى سنة ١٧٩
تقريباً ص ٣٢٦
- (٤) هو الربيع بن صبيح بفتح المهملة السعدى البصرى الصدوق العابد
المجاهد أول من صنف الكتب بالبصرة توفى سنة ١٦٠ هـ .
- (٥) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث المصرى الثقة
الثبت الفقيه الامام المشهور توفى سنة ١٧٥ هـ تقريباً ص ٢٨٧
- (٦) هو عبد الله بن المبارك المرزى مولى بنى حنظلة الثقة الثبت الفقيه
العالم الجواد المجاهد ، جمعت فيه خصال الخير توفى سنة أحدى
وثمانين ومائة (١٨١) تقريباً ص ١٨٧ باكستانية .
- (٧) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالى أبو محمد الكوفى ثم المدنى
الثقة الحافظ الفقيه الامام الحجة توفى سنة ١٩٨ هـ .
- (٨) هو وكيع ابن الجراح بن مريح الرواس بضم الراء ومهزة ثم مهملة أبو سفيان
الكوفى الثقة الحافظ العابد توفى سنة ١٩٦ تقريباً ص ٣٦٩ / باكستانية .
- (٩) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتقى مولا هم أبو سظام الواسطى ثم البصرى
ثقة حافظ متقن توفى سنة ١٦٠ هـ . . .

- (١) وعبد الرزق بن الهمام ، وآدم بن أبي اياس ، واسحاق بن راهوية ، وعبد بن حميد
(٢) وأبي بكر بن أبي شيبة والامام أحمد بن حنبل ، وابن ماجه ، ومحمد بن جرير الطبري
(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

-
- (١) هو عبد الرزق بن همام بن نافع الحميري مولا هم أبو بكر الحافظ الثقة صاحب
التفسير المشهور توفي سنة ٢١١ هـ طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ٢٩٦
- (٢) هو آدم بن أبي اياس واسم أبيه ناهية بن شعيب الامام الحافظ القدوة شيخ
الشام أبو الحسن الخراساني المروزي ثم البغدادي ثم العسقلاني محدث
عسقلان المولود سنة ١٣٢ هـ والمتوفى سنة ٢٢٠ هـ انظر سير اعلام النبلاء
للذهي ج ١٠ ص ٣٣٥ طبع مؤسسة الرسالة .
- (٣) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهوية المروزي
الثقة الحافظ المجتهد قرين أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٢٨ هـ / تقريب
- (٤) هو عبد بن حميد بن نصر الامام الحافظ الكشي بالكسر وتشديد المهملة
صاحب التفسير والمسند المتوفى سنة ٢٤٩ هـ طبقات المفسرين للداودي
ج ١ ص ٣٦٨
- (٥) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي الأصل أبو بكر
ابن أبي شيبة الكوفي الثقة الحافظ صاحب التصانيف توفي سنة ٢٣٥ هـ
تقريب
- (٦) هو أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني المروزي نزيل بغداد
أبو عبد الله أحد الأئمة الثقة الحافظ الحجة الفقيه توفي سنة ٢٤١ هـ تقريب
- (٧) هو محمد بن يزيد بن ماجه مولى ربيعة أبو عبد الله القروي الحافظ
الحجة الامام صاحب السنن والتفسير المسند المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ثلاث
وسبعين واثنتين ، طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٢٧٢
- (٨) تأتي ترجمته في ص

(١) وأبو بكر بن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ابن حبان ، والحاكم النيسابوري (٢)
(٣) وأبو بكر بن مردويه وغيرهم من الأئمة . (٤)

" وكل هذه التفسير مروية بالاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى الصحابة والتابعين ، وليس فيها شئ أكثر من التفسير المأثور اللهم الا تفسير
ابن جرير فانه ذكر الأُقوال ثم وجهها ورجح بعضها على بعض وزاد على ذلك
الاعراب ان دعت اليه حاجة واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات
القرآنية " (٥)

كما أنه رحمه الله صدر تفسيره بمقدمة طويلة تكلم فيها بأسباب غن
اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، ومطابقة معاني القرآن الكريم لمعاني اللغة
العربية وأن القرآن عربي وليس فيه شئ من اللغات الأجنبية ، ورد ما قيل فيه
من وجود ألفاظ عجمية وقال انها من توافق اللغات ثم تكلم عن الأُحرف السبعة
التي نزل عليها القرآن ، وأطال الكلام في معنى انزل القرآن على سبعة أحرف

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري الامام الفقيه المجتهد
الحافظ الورع أوجد الأعلام المتوفى سنة ٣١٨ انظر طبقات المفسرين
لداودي ج ٢ ص ٥٠

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران
أبو محمد التميمي الحنظلي الامام الثبت بن الامام الثبت حافظ الثرى وابن
حافظها ، توفي سنة ٣٢٧ هـ طبقات المفسرين لداودي / ١ / ٢٧٩

(٣) هو الامام الحافظ مسند زمانه عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان بفتح
المهملة بعدها تحتانية أبو محمد المعروف بابي الشيخ احد الأعلام الثقة
توفى سنة ٣٦٩ هـ طبقات الداودي ج ١ ص ٢٤٠

(٤)

(٥) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني الحافظ الكبير الثبت العلامة المفسر
توفى سنة ٤١٠ هـ

وأورد أقوال العلماء فى ذلك وناقشها ثم أنتهى الى القول الذى ارتضاه

وأقام عليه الأدلة والبراهين ورد جميع ما سواه من الأقوال .

ثم تكلم عن التفسير وقسمه الى ثلاثة أقسام القسم الأول ما يمكن ادراكه

بمعرفة اللغة العربية والثانى ما لا يمكن فهمه الا ببيان من النبى صلى الله عليه

وسلم أو بنصبه الدلالة عليه ، وهذا القسم لا يجوز لأحد أن يقول فيه برأيه

وأما القسم الأول فيجوز فيه القول بالرأى لمن عده معرفة باللغة .

والثالث ما لا سبيل لأحد الى معرفته وهو ما اختص الله بعلمه من الاخبار عن

آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ فى الصور ونزول عيسى ابن مريم

وما اشبه ذلك تحدث عن كل ذلك بأسهاب وضح أدلة واضحة ، وبراهين ساطعة

ما يجعلنى أعتبره ووضع أسس " علم أصول التفسير " ومرس قواعده وان كان

هذا الاسم غير معروف فى ذلك الوقت ، ويؤيد ذلك طريقته رحمه الله فى

تفسيره فانه كما قال الأئمة الذين هم من أصحابنا " يفسر الآية ويستشهد على

ماقاله بما يرويه بسنده الى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم فى هذه

الآية ، واذا كان فى الآية قولان أو أكثر فانه يعرض لكل ما قيل فيها ويستشهد

على كل قول بما يرويه فى ذلك عن الصحابة أو التابعين ، ثم هو لا يقتصر على مجرد

الرواية بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ويرجح بعضها على بعض كما نجده

يتعرض لناحية الاعراب ان دعت الحال الى ذلك كما أنه يستتبط الأحكام التى

يمكن أن تؤخذ من الآية مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار " (١)

ثم هو رحمه الله - يخاصم بشدة أصحاب الرأى المستقلين فى التفكير

ولا يزال يشدد فى ضرورة الرجوع الى العلم الراجع الى الصحابة أو التابعين

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢١٠

والمنقول عنهم نقلا صحيحا مستفيضا ، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح " (١) كما أنه اعتبر الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة وجعلها مرجعا موثوقا به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها ، وترجيح بعض الأُقوال على بعض " (٢)

وهذا ما لم يسبق إليه أحد من تقدمه ولم يلحق به أحد ممن

جاء بعده . . .

تفاسير علماء اللغة :

كان العلماء اللغاة العربية بجانب علماء التفسير بالمأثور تفاسير تهتمم بالجوانب اللغوية من القرآن الكريم ، وتسمى كتب معانى القرآن ، وأول من صنف فى معانى القرآن من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة / ٢١٠ هـ ويسمى كتابه مجاز القرآن ثم أبو على محمد بن المستير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ثم الأُخفش المتوفى سنة / ٢١٥ هـ وصنف من الكوفيين الكسائسى

(١) ملاحظة : معانى القرآن ومجاز القرآن عند علماء اللغة القدامى واحد وكذلك

غريب القرآن فالكل معناه واحد عندهم ولذلك نجد أبا عبيدة فى كتابه مجاز القرآن يردد بهذه الكلمات فيقول مرة " مجاز الآية كذا " وطارة تفسيره كذا وأحيانا "معناه كذا" وأحيانا " غريبه كذا " وتقديره كذا "على أن معانيها واحدة أو تكاد ، ومعنى ذلك أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التى يسلكها القرآن فى تعبيراته " وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذى حدده علماء البلاغة لكلمة "المجاز" فيما بعد ، ولعل ابن قتيبة قد تأثر فى كتابه مشكل القرآن بأبى عبيدة فى استخدام المجاز بهذا المعنى العام " انظر مقدمة المحقق فى كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة للدكتور فؤاد سسكين ص ١٨ - ١٩ ولهذا السبب عد " كتاب مجاز القرآن من كتب معانى القرآن " .

المتوفى سنة ١٨٩ هـ ثم الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ بعدهم " فجمع ما فى كتبهم وجاء فيها بالأثر والاسانيد وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء " (١)

وكان جل اعهاد هؤلاء فى تفاسيرهم على اللغة ، وبهذا

يمكن اعتبار تفاسيرهم هذه من قبيل تفسير القرآن بالرأى الا أنه من البرأى الجائز المحمود المقبول وليس من القسم المردود لأنه ليس رأيا مجردا تعلق

على صاحبه أمداؤه ، ومذاهبه التى انتحلها ، ثم تلتهم طائفة من المفسرين صنفوا تفاسير مخدوفة الاسانيد كأبى اسحاق الزجاج ، وأبى على الفارسي ، وأبى بكر

النقاش وأبى جعفر النحاس وغيرهم من علماء النحو واللغة ونقلوا أقوال بستراء (٢) (٣) (٤)

فد هل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسدح له قول

(١) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢٦ وانظر أيضا كلام محقق كتاب معانى القرآن للأخفش ج ١ ص ١٥

(٢) هو ابراهيم ابن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج قال الخطيب كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد جميل المذهب ، وكان تلميذا للمبرد عالما بالنحو من تصانيفه كتاب معانى القرآن توفى سنة ٣١١ هـ ببغداد .

انظر ترجمته فى طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٧

(٣) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلى ثم البغدادي

أبو بكر النقاش المقرئ المفسر امام أهل العراق فى القراءات والتفسير ، كتاب التفسير الذى سماه " شفاء الصدور " قال حنبلا لله اللالكائى : تفسير النقاش ا شفاء الصدور وليس بشفاء الصدور ، وهو فى الحديث متروك توفى سنة ٣٥١ هـ طبقات المفسرين للسيوطى ص ٩٤

(٤) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل الصفار المعروف بالنحاس أبو جعفر كان نحويًا فاضلا وله كتاب اعراب القرآن ، أخذ عن أبى العباس المبرد ، وتوفى بمصر سنة ٣٢٧ هـ انظر ترجمته فى طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٦٧ ونزهة الألباء فى طبقات الأُدباء ص ٣٩١

يورده ، ومن خطر بهاله شىء يعتمده ، ثم ينقل ذلك خلف عن سلف ظانا أن له أصلا

(١)

غير ملتفت الى تحريره ما ورد عن السلف الصالح ومن هم القدوة فى هذا الباب .

قال السيوطى رحمه الله (رأيت فى تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم

ولا الضالين " نحو عشرة أقوال مع أن الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم وجميع

المصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصارى حتى قال ابن أبى حاتم لا أعلم فى

ذلك خلافا من المفسرين . (٢)

ثم صنف فى التفسير قوم برعوا فى شىء من العلوم فملاء كل واحد منهم كتابه

بما غلب على طبيعه من الفن ، واقتصر على ما تهره هو فيه . كأن القرآن أنزل لأجل

هذا العلم لا غير مع أن فيه تبيان كل شىء فالنحوى تراه ليس له هم الا الاعراب

وتكثير الأوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومساائله وفروعه

وخلافاته كالزجاج والواحدى فى الجسيط وأبى حيان فى البحر والنهر ، والخبارى

ليس له شغل الا القصص واستيفاءهما والخبار عن سلف سواء كانت صحيحة

أو باطلة ومنهم الثعلبى (٣) والفقير يكاد يسرد الفقه جميعا وربما استنجد الى

اقامة أدلة الفروع الفقهية التى لا تعلق لها بالآية أصلا ، والا جابة عن أدلة

المخالفين كالقرطبى .

وصاحب العلوم العقلية خصوصا الامام الرازى قد ملاء تفسيره بأقوال الحكماء

(١) علوم الدين الاسلامى لعمر رضا كحالة ص ٦٥

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٩٠

(٣) هو أبو اسحاق أحمد بن ابراهيم الثعلبى النيسابورى المقرئ المفسر ، كان

حافظا واعظا رأسا فى التفسير والعربية ، متين الديانة قال ابن خلكان " كان

أوحد زمانه فى علم التفسير ، وصنف التفسير الكبير الذى فات غيره من التفسير .

حدث عن أبى طاهر بن خزيمة والامام أبى بكر بن مهران المقرئ ، وعنه أخذ أبو الحسن

الواحدى التفسير وأثنى عليه ، توفي رحمه الله سنة ٢٧٤ هـ التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٢٧

والفلاسفة وخرج من شىء إلى شىء حتى يقضى الناظر العجب .

قال أبو حيان فى البحر جمع الامام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة

بها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شىء إلا التفسير والمبتدع

ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه لولا ح له

شاردة من بعيد اقتصرها^(١) ، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه كما نقل

عن البلقينى أنه قال أستخرجت من الكشاف اعتزلاً بالمناقش ، منها أنه قال^(٢)

فى قوله تعالى " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ^(٣) أى فوز عظيم

من دخول الجنة ؟ أشار به الى عدم الروئية . "

والملاحظ لا تسأل عن كفره والحاده فى آيات الله تعالى وافترائه على الله تعالى

مالم يقله كقول بعضهم " ان هى الافتك " ما على العباد أضر من ربهم

وينسب ذلك القول الى صاحب قوت القلوب أبى طالب المكى ، ومن ذلك القبيل الذين

يتكلمون فى القرآن بلا سند ولا نقل عن السلف ولا رعاية للأصول الشرعية والقواعد

العربية كتفسير محمود بن حمزة الكرمانى فى مجلدين سماه العجائب والغرائب

ضممه أقوالاً هى عجائب غدا العوام وغرائب عما عهد عن السلف بل هى أقوال منكورة

لا يحل الا اعتماد عليها ولا ذكرها الا للتحذير " من ذلك قول من قال فى " ربنا

ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " انه الحب والعشق ومن ذلك قولهم فى " ومن شر غاسق

إذا وقب " ^(٤) انه الذكر إذا قام ، وقولهم " من ذا الذى يشفع عنده " ^(٥) من ذل أى من الذل

(١) الاقتصاص هو الاصطياح يقال " قنصه يقنصه : صاده فهو قانص وقنيص وقناص والقنيص والقنصر محرقة المصيد ، القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٢٧

(٢) المناقش هو ما يخرج به الشوك قال فى القاموس " النقش " أستخرج الشوك يوماً يخرج به مناقش ومنقش . . . والمنقوشة الشجة تنقش منها العظام أى تستخرج . . . وأنقش اخرج الشوك من رجله " قاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٥

(٤) سورة الفلق آية ٣

(٥) سورة البقرة آية ٢٥٥

وذى اشارة الى النفس ، ويشف عن الشفاء جواب من ، وع أمر من الوعى ، وسئل
الشيخ البلقينى عن فسر بهذا فأفتى بأنه ملحد " (١)

هكذا كانت بداية تدوين التفسير ثم تسلسلت خطواته كما رأيت
واختلفت أغراض المفسرين فيها وتباينت عناهمهم ، وقد قال السيوطى رحمه الله
فى آخر حديثه عن تدرج خطوات التفسير هذه " فان قلت فأى التفسير ترشد
اليه وتأمرا الناظر أن يعول عليه قلت تفسير الامام أبى جعفر محمد بن جرير
الطبرى الذى أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يوء لف مثله فى التفسير
قال النسوى فى تهذيبه كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنف أحد مثله " (٢)

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ج١ ص ٤٣٢ ، وما قبلها والاتقان ج٢ ص ١٩٠

(٢) الاتقان ج٢ ص ١٩٠

المبحث الثالث

التفسير الموضوعى وظهور الاسم الاصطلاحى

قام كثير من العلماء بتأليف كتب فى موضوع يتصل بالقرآن الكريم أفردته بالتأليف لما يرى من الأهمية فى تخصيص البحث والتأليف فيه والقصد من ذلك خدمة كتاب الله وتيسير السبل لفهمه حتى تتحقق الغاية التى أنزل من أجلها القرآن ، فألف على بن المدينى شيخ الامام البخارى المتوفى سنة ٢٣٤ هـ فى أسباب النزول وهو أول من ألف فيه ، وألف أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فى النسخ والمنسوخ وفى معانى القرآن وألف ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٠ هـ فى غريب القرآن ، وفى مشكله ، واعرابه وكل هؤلاء فى القرن الثالث .

وألف أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فى اعجاز القرآن والامام الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ فى أمثال القرآن وعلم الدين السخاوى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ فى علم القراءات وعلى بن ابراهيم الحوفى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ كتابا سماه "البرهان فى علوم القرآن" .

والعز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ فى مجاز القرآن ، وشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ مقدمته فى أصول التفسير وابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ فى اقسام القرآن وابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتابين سمى أحدهما " فنون الافنان فى عجائب علوم القرآن " وثانيهما " المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن .

وظلت هذه البحوث متفرقة لا يجمعها كتاب واحد حتى جاء الامام

بدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فجمعها فى كتابه البرهان فى علوم القرآن ، وأصبحت تعرف هذه الأبحاث فيما بعد " بعلوم القرآن " عقابيل علم المصطلح الذى عرف بعلوم الحديث . .

وقد جاء الامام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فعزم على جمع هذه الأبحاث المتفرقة وهو يظن أن أحدا لم يقم بهذا العمل ، فبدأ بتأليف كتابه التحبير فى علم التفسير وفى أثناء تأليفه عثر على تأليف الزركشى فسر به سرورا شديدا ، واستمر على عمله حتى أتم الكتاب مشتملا على ما فى البرهان من الأنواع وما أضاف اليه من الزيادات ثم بدا له أن يتوسع ويستقصى الأنواع فألف كتابه الثانى " الاتقان فى علوم القرآن "

يقول السيوطى وهو يأخذ على المتقدمين بعدم عنايتهم بجمع أبحاث علوم القرآن كعنايتهم بعلم الحديث " ولقد كنت أتعجب فى زمان الطلب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا فى أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة الى علم الحديث فسمعت شيخنا أبا عبد الله محبى الدين الكافيجى يقول قد دونت فى علوم التفسير كتابا لم أسبق اليه فكتبته عنه فاذا صغير الحجم جدا وحاصل ما فيه بابان : الأول معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية والثانى فى شروط القول فيه بالرأى ، وبعدهما خاتمة فى آداب العالم والمتعلم

فلم يشف لى ذلك غليلا ولم يهدنى الى المقصود سبيلا " ثم ذكر أن شيخه علم الدين البلقينى أوقفه على تأليف لأخيه جلال الدين البلقينى المتوفى سنة ٨٢٤ هـ سماه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، جمع فيه كثيرا من أنواع علوم القرآن ونقحه ومذهبه ورتبه ترتيبا جيدا ، اعتبره السيوطى بأنه قام بعمل لم يسبق اليه وبلغت الأنواع عنده الى ليف وخمسين نوعا منقسمة الى ستة أقسام تكلم فى كل نوع منها

بكلام متين الا أن هذا يعتبر قليلا بالنسبة الى ما بقى من أنواع علوم القرآن
ثم ظهر للسيوطى استخراج أنواع لم يسبق اليها زيادات مهمات لم يستوف
الكلام عليها فألف كتابه التحجير فى علوم القرآن فضمن فيه ما ذكره البلقينى فى
كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم وأضاف اليه مثلها من الأنواع ثم ظهر له
أن يكتب كتابا مبسوطا يسلك فيه طريق الاحصاء والاستقصاء بجميع أنواع علوم
القرآن وكان يظن أن أحدا لم يسبقه الى ذلك ، وفى أثناء ذلك وجد تأليفا للامام
الزركشى رحمه الله سماه البرهان فى علوم القرآن ؛ جمع فيه أنواع علوم
القرآن وبأخذ صاحبه على المتقدمين بأنه فاتهم أن يؤلفوا كتابا يشمل جميع
أنواع علوم القرآن مثل مؤاخذة السيوطى نفسها ، وأنه يريد بتأليفه هذا
استدراك ما فات على الأوائسل فلما وجد السيوطى رحمه الله هذا الكتاب اشتد
به سروره وقويت عزيمته بتأليف كتاب أكثر منه شمولا . فألف كتابه الاتقان
فى علوم القرآن فاستوعب فيه الأنواع مع ادماج بعضها على بعض .^(١)

(١) لخصت هذا من مقدمة الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٥ - ٦

ظهور الاسم الاصطلاحي "علوم القرآن"

أصبح اسم علوم القرآن علما على تلك الابحاث المتعلقة بالقرآن الكريم سواء منها ما كان أصلا لفهمه أو ما لا يتوقف فهمه عليه ولكن له تعلق ما فسى جانب من جوانبه ويبدو أن أول ظهور لهذا المصطلح "علوم القرآن" كان فسى مطلع القرن الرابع اذ أن المرزبانى المتوفى سنة ٣٠٩ هـ ألف كتابا سماه "الحاوى فى علوم القرآن" وقد ذكره الداودى فى طبقات المفسرين أنه سبعة وعشرون جزءا^(١) ولا نعرف عن مضمونه شيئا كما أن الداودى أيضا ذكر أن أبا الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ألف كتابا سماه "المختار فى علوم القرآن بلغ فيه الى سورة الكهف وقد انتهى الى مائة جزء"^(٢) وهذا يدل أن استعمال هذا الاسم كان معروفا فى هذا التاريخ المتقدم ، ويرى بعض العلماء أن أول ظهور لهذا الاسم كان فى القرن السابع ، وقد رد عليهم الزرقانى فسى المناهل وذكر أنه ظفر فى دار الكتب المصرية بكتاب لعلى بن ابراهيم الحوفى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ واسمه البرهان فى علوم القرآن وهو يقع فى ثلاثين مجلد والموجود منه خمسة عشر مجلد قال : واذا نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان أى الى بداية القرن الخامس بدلا من القرن السابع^(٣) قلت ويمكن أن نتقدم بتاريخ استعمال هذا المصطلح نحو قرن من التاريخ الذى حدده الشيخ الزرقانى ، اذ المرزبانى متقدم على الحوفى بنحو قرن وزيادة

(١) ج ٢ ص ١٤١

(٢) طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٩١

(٣) انظر المناهل ج ١ ص ١٧-١٨

يسيرة كما أن أبا الحسن الأشعري مؤلف كتاب المختزن في علوم القرآن متقدم عليه بنحو قرن إلا إذا قصد بعلوم القرآن بالمعنى الجامع الذى هو مجموع شتات هذه الأنواع فى مؤلف واحد إذ أن الرزقانى رحمه الله ذكر أن الحوفى فى الكتاب المذكور " يتناول الآية من آيات القرآن الكريم بترتيب المصحف فيتكلم عما تشتمل عليه من علوم القرآن مفردا كل نوع بعنوان فيجعل العنـسوان العام فى الآية (القول فى قوله تعالى " ويذكر الآية بموضع تحت هذا العنوان (القول فى الاعراب) ويتحدث عن الآية من الناحية النحوية واللفظية ثم (القول فى المعنى والتفسير) ويشرح الآية بالمأثور والمعقول ثم (القول فى الوقف والابتداء) ويبين ما يجوز وما لا يجوز ، وقد يفرد القراءات بعنوان مستقل فيقول " القول فى القراءة) وقد يتكلم عن الأحكام التى تؤخذ من الآية عند عرضها فى آية أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله (سورة البقرة^(١) يذكر أوقات الصلاة وأدلتها ، وأنصبه الزكاة ومقاديرها ، ويتكلم على أسباب النزول ، وعلى النسخ وما إلى ذلك عند المناسبة ، ثم قال : فأنت ترى أن هذا الكتاب أتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة فى القرآن وتوزعها حتى كأنه هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع من علوم القرآن عند المناسبات^(٢) .

(١) مناهل فى علوم القرآن ج ١ ص ١٨

(٢) سورة المزمل آية ٢٠

وعلى كل حال فلا ندري على وجه الجزم أول واحد جرى قلمه
بأستعمال هذا الاسم " علوم القرآن " وكلما نستطيع أن نصل اليه هو بداية
استعمال هذا الاسم وقد كان كما ذكرت في مطلع القرن الرابع ثم شيوعه بعد
ذلك، كما أنه يمكن اعتبار الحوفي أول جامع لشتات أنواع علوم القرآن في مؤلف
واحد وإن لم يكن على النمط المعهود المتأخر المنفصل عن التفسير، فلهذا لا يعارض
هذه الأولوية بمؤاخذة السيوطي والزرکشی على الأوائل بأنهم لم يدونوا علوم
القرآن كما دونوا علوم الحديث كما سيأتي إن شاء الله . .

المبحث الرابع

فى الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير

المباحث الكثرية التى جمعها الامام السيوطى رحمه الله كلها لا تدخل فى أصول التفسير على حسب تعريفنا له ويمكن دخولها فى علوم القرآن لأن علوم القرآن أم من أصول التفسير لأن كل علم له تعلق بالقرآن الكريم أو يخدمه فى أى جانب من جوانبه فيمكن عده من علوم القرآن واضافته اليه أما أصول التفسير فلا يمكن اطلاقه الا على علم يستعان به على فهم معنى الكتاب الكريم أو لا يمكن فهمه الا به ، وقد يطلق بعض العلماء أحدهما على الآخر الا أن هذا الاطلاق فى نظرى هو من باب التسامح أو من باب تسمية الشئ باسم بعضه أو اطلاق الكل وارادة الجزء ولهذا قال صاحب فتح البيان ^(١) "وأما علوم القرآن فقد استوعبها السيوطى فى الاثنان على وجه البسط والاثنان ، ولا دخل لكليهما فى فن التفسير وعقد النظام ^(٢) النيسابورى فى تفسيره بمقدمات أكثرها بمعزل عن التفسير" ^(٣) وقال : "ان التفسير الذى ينبغى الاعتداد به والرجوع اليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازا ان لم تثبت فى ذلك حقيقة شرعية ، فان ثبتت فهى مقدمه على غيرها ، وكذلك اذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أقدم من كل شئ بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشئ آخر ، ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ترجمته فى ص ٩٠

(٢) انظر ترجمة النظام النيسابورى فى ص ٩١

(٣) تفسير فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ١ ص ٢٥

فانه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيئا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب
الذين عرفوا من اللغة دقتها وجلها، وأما تفاسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم
فان كان من طريق الرواية نظرنا في صحتها سواء كان المروى عنه الشاعر
أو أهل اللغة، وان كان بحض الرأي فليس ذلك بشيء ولا يحل التمسك به ولا جعله
حجة بل الحجة ما قدمناه " (١)

وقال في كشف الظنون " علم اعراب القرآن وهو من فروع علم

التفسير على ما في مفتاح السعادة لكنه في الحقيقة هو من علم النحو، وعدة علماء
مستقلا ليس كما ينبغي وكذا سائر ما ذكره السيوطي في الاثنان من الأنواع فانه
عد علوما كما سبق ثم ذكر ما يجب على المصرب مراعاته من الأعراف التي ينبغي
أن تجعل مقدمة لكتاب اعراب القرآن، ولكنه أراد تكثير العلوم والفوائد " (٢)

ومن هنا تعرف أن كثيرا من المباحث التي جمعها الامام السيوطي

رحمه الله وغيره ليست من أصول التفسير فضلا المباحث الآتية ليست من
التفسير في شيء، مثل معرفة الحضري والسفري، والليلي والنهاري، والحيثي (٦)

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ج ١ ص ١٤

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١٢١

(٣) المراد من الحضري والسفري هو ما نزل من القرآن في وقت الحضر وما نزل منه في
وقت السفر وقد قال في "كشف الظنون" علم الحضري والسفري من الآيات وهو
من فروع علم التفسير ذكره المولى أبو الخير لمجرد تكثير السواد ولا وجه لعدة
علما براسه وكذا أكثر ما ذكره من التقاريع " ج ١ ص ٦٢١

(٤) وللليلي هو ما نزل من القرآن بالليل

(٥) النهاري هو ما نزل بالنهار

(٦) والحيثي: ما نزل في وقت الصيف

(١) والشتائى ، والفراشى ، والنومى ، والأرضى (٤) والسماوى (٥) ، وكلها تتعلق فى أسباب
المنزول وإنما تدل على شدة اهتمام العلماء بهذا القرآن ، وكذلك جمع القرآن
وترتيبه وعدد سورته ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه وكذلك علم تجويد القرآن ، وعلم
الضبط ، وغير ذلك من الأنواع فهى من علوم القرآن لأن لها صلة
بالقرآن الكريم . . .

أما علم اعراب القرآن فهو علم مستقل كما ذكره صاحب "كشف الظنون"
الأن له تعلقا بالمعنى وقد يما قالوا الاعراب فرع عن المعنى ، ومن يجلى لنا
شيئا من اعراب الآية فقد جل لنا شيئا من معناها " ومع ذلك فلا شك أن هذا
الفن الاعرابى قد نشأ مع النحو ، واستعان به المفسرون فى توضيح الآيات
فى كتبه المفسرة للقرآن ثم أخذ يستقل ، وكان استقلاله ينمو شيئا فشيئا حتى
صار جوهر قائما بذاته ، والعلماء الذين اشتغلوا بالكشف عن وجوه اعراب
القرآن كانت لهم اتجاهات مختلفة فمنهم من اقتصر على اعراب مشكلة مثل مكى بن
أبى طالب ومنهم من عرض لاعراب غريبه كاهن الانبارى ، ومنهم من أعرب به كله

(١) الشتائى هو ما نزل فى وقت الشتاء

(٢) والفراشى هو ما نزل على الفراش

(٣) والنومى هو ما نزل فى وقت النوم

(٤) والأرضى هو ما نزل على الأرض

(٥) السماوى : ما نزل فى السماء

(٦) هو علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهتم خارج الحروف وصفاتها

وترتيل النظم المبين باعطاء حقه من الموصل والموقف والمد والقصر والادغام والظهار

والاخفاء والامالة والتحقيق والتفخيم والترقيق والتشديد والتخفيف والقلب والتسهيل

الى غير ذلك كشف الظنون عن أسامى الكتب والظنون ج ١ ص ٣٥٣

(٧) الضبط لغة بلوغ الغاية فى حفظ الشيء ، واصطلاحا علم يعرف به ما يعرض للحرف

من حركة أو سكون أو شد أو مد أو غير ذلك ، ويرادفه الشكل "ارشاد الطالبين الى

ضبط الكتاب المبين لمحمد سالم محيسن . . .

كالعكبري ، ومنهم عرض وجعل لكل شكل بابا على نحو ما فعل الزجاج ففى كتاب اعراب القرآن المنسوب اليه ، ومنهم من جمع بين أوجه القراءة والاعراب مثل معانى القرآن للقراء والمحتسب لابن جنى (١)

وما يؤيد ما ذهبنا اليه من التفريق بين أصول التفسير وعلوم القرآن أن الامام السيوطى رحمه الله وغيره من علماء التفسير جعلوا التفسير نوعا من أنواع علوم القرآن وقسما من أقسامه ، وقد اعترض عليهم الاستاذ الدكتور عدنان زرورفى ذلك فقال " وإنما أطلق هذا الاصطلاح ، ولفظ الجمع — علوم — ليشمل فقط ٥٠٠ كل علم يخدم القرآن أو يستند اليه كما يقول صاحب مناهل العرفان قال : " وينظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم القرائى وعلم اعجاز القرآن وعلم أسباب النزول وعلم النسخ والمنسوخ ، وعلم اعراب القرآن وعلم غريب القرآن ، وعلوم الدين واللغة وغير ذلك قال : — والقائل هو الدكتور عدنان " واذا أردنا الدقة فان أكثر هذه العلوم التى شملها العنوان السابق — علوم القرآن — أو التى جرت العادة بدراستها والتعرض لها فى الكتب التى تبحث فى علوم القرآن يدور أكثرها حول تفسير بعض جوانب القرآن الكريم أو يمهّد لشرحها وتفسيرها فهى علوم التفسير أو علوم تفسير القرآن ان صح هذا الاطلاق أو التعبير ولهذا فان عد التفسير من هذه العلوم أو من علوم القرآن وجعله قسما أو نوعا كسائر الأنواع مسألة فيها نظر لأن أغلب تلك العلوم كما قدمنا أرهد بها تيسير سهيل شرحه وتفسيره وفهمه (٢)

(١) انظر مقدمة كتاب اعراب القرآن للعكبرى ص ٤

(٢) دراسات قرآنية ص ١٢٢

قلت : ان كلام الاستاذ عدنان واعتراضه على جعل القرآن نوعا من أنواع علوم القرآن وجيبه من ناحية ، وهى أن كثيرا من هذه الأنواع التى شملها اسم " علوم القرآن " ضرورية للمفسر بل يعتبر كثير منها أصولا للتفسير ، وبهذا فلا ينبغى جعل التفسير نوعا من أنواعها ، مثل الأنواع التالية العام والخاص والمجمل والمفسر والمطلق والمقيد ، ومعرفة أسباب النزول وتفسير القرآن والسنة أو القرآن بالقرآن ، الى غير ذلك من الابحاث التى يعتبر من صميم أصول التفسير فكيف يجعل التفسير قسيما لهذه الأنواع وهو ينبغى عليها ؟

أما الأنواع التى لا تكون أصولا للتفسير بأن تكون تخدم القرآن من نواح أخرى كناية التلاوة أو ناحية الضبط مثيلا فمثل ذلك لا غبار فى أن يكون التفسير قسيما لها فهو بهذا الاعتبار عن أنواع علوم القرآن ، ولا اشكال فى ذلك والله أعلم . . .

(١)
وقد سبق لك قول صاحب فتح البيان " وأما علوم القرآن فقد استوعبها السيوطى فى الاتقان على وجه البسط والاتقان ولا دخل لكلمها فى فن التفسير ، ثم قوله وعقد النظام النهساورى فى تفسيره مقدمات أكثرها بمعزل عن التفسير " (٢)

(١) هو محمد صديق خان بن حسن على بن لطف الله الحسينى البخارى القلوجى أبو الطيب من رجال النهضة الاسلامية المجددين ولد ونشأ فى قنوج وتعلم فى دلهى ثم سافر الى بهوبال فأقام بها ، وتوطن وتمول واستوزر وناب والى وتزوج بملكة بهوبال وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ومن مؤلفاته الكثيرة كتاب " فتح البيان فى مقاصد القرآن "

ومن نظرا الى تلك المقدمات التي أشار اليها وجد صدق قوله وأن

أكثر هذه المقدمات بعيدة عن التفسير " واليك عناوين تلك المقدمات حتى
تهتدى بذلك الى مضمونها ،

المقدمة الأولى : في فضل القراءة والقارىء وآداب القراءة وجواب اختلاف

القراءات وذكر القراء المشهورين ..

المقدمة الثانية : في الاستعاذة المدبوبة اليها في قوله عز وجل " فاذا قرأت

القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ..

المقدمة الثالثة : في مسائل مهمة .

المقدمة الرابعة : في كيفية جمع القرآن ..

المقدمة الخامسة : في معانى المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة

والحرف ، وغير ذلك .

المقدمة السادسة : في ذكر السبع الطوال والمثنائى والطواسم والحواميم والمفصل

والمسبحات وغير ذلك ..

المقدمة السابعة : في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف

وهي في الأصل واحدة ، فتكلم عن علم الرسم ، وأفاض فيه .

المقدمة الثامنة : في أقسام الوقف ، ذكر فيه الوقف اللازم ، والجائز والتام

والممتنع .

المقدمة التاسعة : في تقسيمات يعرف بها اصطلاحات مهمة ، وذكر في ذلك

اصطلاحات كثيرة أكثرها اصطلاحات منطقية .

المقدمة العاشرة : في أن كلام الله تعالى قديم أولا ؟

المقدمة الحادية عشرة : في كيفية استعباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة (١)

تلك هي المقدمات التي أشار اليها صاحب فتح البيان ويمكن لك التمييز بين

ما يدخل تحت التفسير وما لا يدخل بنفسك .

(١) تفسير النظام النيسابوري مطبوع على هامش تفسير ابن جرير الطبري ومؤلفه هو

الامام نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني النيسابوري .

المعروف بالنظام كان من أساطين العلم ملما بالعلوم العقلية جامعا لفنون

اللغة العربية له القدم الراسخ في صناعة الانشاء والمعرفة الوافرة بعلم

التفسير والتأويل ، كان منشأه هـ وموطنه بديار نيسابور من التفسيـر

والمفسرون ج ١ ص ٣٢١

الباب الثاني

في مذاهب المفسرين في أصول التفسير

وفيه فصول:

الفصل الأول : في تفسير القرآن بالقرآن

الفصل الثاني : في تفسير القرآن بالسنة

الفصل الثالث : تفسير القرآن بالسراى

الباب الثاني

في مذاهب المفسرين في أصول التفسير

تمهيد :

كما ينبغي أن يعلم أن مذاهب المفسرين في أصول التفسير ليست واحدة ومسا لكهم في تساؤل آيات القرآن بالتفسير لم تكن متحدة ، بل تنوعت مناهجهم واختلفت مآخذهم وتباينت مصادره التي اعتمدوا عليها ، وشا ربهم التي استقوا المعلومات منها ، فمنهم من رجا في تفسيره الاعتماد على المأثور واقتصر عليه ، ومنهم من رجع الى ما تقتضيه أساليب اللغة العربية مع مراعاة القواعد الشرعية ، ومنهم من حمل اللفظ القرآن على ما لا تدل عليها وجعلها على وفق ما يهواه وعلى طوع ما يعتقد ، كالفرق الضالة وأهل الأهواء .
ومنهم من جمع بين المأثور والدراسة وفاز بالفضيلتين ، طريقة النقل وطريقة الرأي .
وعلى الجملة فقد اتجه العلماء في التفسير الى ثلاثة اتجاهات :

١ - اتجاه يستند في تفسيره الى الآثار المنقولة عن السلف ويسمى التفسير بالمأثور .

٢ - اتجاه يستند في تفسيره الى اللغة العربية وفنونها من نحو وتصريف وبلاغة وبيان ، ويسمى التفسير بالرأى .

٣ - اتجاه ثالث يجمع بين الطريقتين طريقة النقل والرأى

ولكل من هذه الطرق علم غزير ومحاسن جليلة كما أن في كل منها مساوئ ومآخذ ينبغي على الناظر في التفسير الاحترا س منها وتجنب مآخذها .
ومما لا شك فيه أن كفة إحدى هذه الطرق ترجح على أخواتها عند وضعها

فسي مسيزان القسند . . . وسذكر بحول الله تعالى ما لكل من هـذـه
الا تجاهات من المحاسن وما عليها من المآخذ في الفصول الاتية ان شاء الله تعالى
بادئين في ذلك بالتفسير بالمأثور

تعريف المأثور

المأثور اسم مفعول من أثرت الحديث أثرا من باب نصر ، نقلته
والأثر بفتح الحين اسم منه ، وحديث مأثور أى منقول " (١)

والمقصود من التفسير بالمأثور " هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان
والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن
الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح
المراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم ، (٢) ويمكن أن يضاف الى ذلك
تفسير القرآن بما نقل عن بنى اسرائيل بصرف النظر عن صحته أو عدمه ، وسنتكلم
عن هذه المواضيع كلها في المباحث التالية باذن الله على ترتيبها ، مع شىء
من التفصيل حتى يتضح الأمر وينكشف المقصود ، وبالله تعالى التوفيق وعليه الاعتداد

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للاستاذ أبو شهبه ص ٦٤

(٢) التفسير والمفسرون : ج ١ ص ١٥٢

الفصل الأول

تفسير القرآن بالقرآن

تمهيد :

مما لا يختلف فيه اثنان من أهل العلم أن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن نفسه ، فالله سبحانه وتعالى هو أول مبين لكتابه ، لأنه أعلم بكلامه ومراده ، فاذا ورد بعض أى كتاب الله تفسيراً للبعض الآخر فلا يجوز العدول عنه الى سواه ، بل يجب أخذه والعرض عليه بالتواجد . . .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب ان أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد فسرفى موضع آخر وما اختصرفى مكان فقد بسط فى موضع آخر " (١) وفى القرآن الكريم آيات كثيرة نفهم منها هذا المعنى وهو أن الله قد فسركتابه وبين معانى آيات القرآن منها قوله تعالى " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " (٢)

وقوله فى سورة البقرة كذلك " كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (٣) وقوله تعالى " كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون " (٤) وقوله " وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون " (٥) وقوله " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (٦)

(١) مقدمة أصول التفسير بتحقيق الدكتور عدنان زر زور ص ٩٣

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٢ وفى سورة النور آية ٦١

(٣) " " " ٢٦٦

(٤) " " " ١٨٧

(٥) " " آية ٢١١

(٦) " آل عمران " ١٠٣

الفصل الأول

تفسير القرآن بالقرآن

تمهيد :

مما لا يختلف فيه اثنان من أهل العلم أن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن نفسه ، فالله سبحانه وتعالى هو أول مبين لكتابه ، لأنه أعلم بكلامه ومراده ، فاذا ورد بعض أى كتاب الله تفسيراً للبعض الآخر فلا يجوز العدول عنه الى سواه ، بل يجب أخذه والعرض عليه بالتواجد . . .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب ان أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد فسرفى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر " (١) وفى القرآن الكريم آيات كثيرة نفهم عليها هذا المعنى وهو أن الله قد فسركتابه وبين معانى آيات القرآن منها قوله تعالى " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " (٢)

وقوله فى سورة البقرة كذلك " كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (٣)

وقوله تعالى " كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون " (٤) وقوله " وبين آياته

للناس لعلهم يتذكرون " (٥) وقوله " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (٦)

(١) مقدمة أصول التفسير بتحقيق الدكتور عدنان زرزو رص ٩٣

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٢ وفى سورة النور آية ٦١

(٣) ، ، ، ٢٦٦

(٤) ، ، ، ١٨٧

(٥) ، ، آية ٢١١

(٦) ، ، آل عمران ، ١٠٣

وقوله تعالى " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم " (١) وقوله تعالى
ويبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم " (٢)

وقوله " كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم " (٣) وقوله " ويبين
الله لكم آياته والله عليم حكيم " (٤) والآيات في هذا المعنى كثيرة فسي

هذا القدر كفاية . . .

والذي يلاحظ من هذه الآيات أن الله تعالى وجه أنظار عباده في
فواصل هذه الآيات إلى الحكم الربانية التي اقتضت أن يتولى الله سبحانه
وتعالى تبين آياته للعباد ، ومن أن يعقلوا عنه ما بينه لهم حفظا وفيهما وعلا به
وأن يتفكروا فيه ويستنبطوا منه الأحكام ويتذكروا النعم التي امتن الله بها عليهم
ومن أعظمها تبين كتابه لهم ليفهموا حكمه في تشريعاته ، وقد رتته على كل شيء
ثم ان مما يسترعى انتباه القارئ الكريم ، أن فواصل هذه الآيات كلها وردت
عقيب آيات الأحكام مما يدل على أن الله يحث العباد على التفقه في القرآن
والتفكر فيه لا سلبا وتفصيلا الأحكام والحكم ، وإذا راجعنا الآيات التي جاءت
فيها كلمة " يسألونك " أو كلمة " يستفتونك " ثم نظرنا إلى تفسيرها
وجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد تولى بيان الإجابة عما فيها من الأمور وتفصيل
الأحكام قال تعالى " يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين " (٥)

(١) النساء آية ٢٦

(٢) " " ١٧٦

(٣) سورة النور آية ٥٨

(٤) " " ١٨

(٥) البقرة آية ٢١٥

وقال تعالى " يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو " ^(١) وقال سبحانه " يسئلونك عن

الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير " ^(٢) وقوله " ويسئلونك عن اليتامى قل

اصلاح لهم خير " ^(٣) وقوله تعالى " ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى " ^(٤)

وقال " يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات " ^(٥) وقال تعالى " ويستفتونك

فى النساء قل الله يفتيكمن فيهن " ^(٦) وقوله " يستفتونك قل الله يفتيكمن فى الكلالة " ^(٧)

والآيات فى هذا المعنى كثيرة . . .

طرق تفسير القرآن بالقرآن : القرآن الكريم نزل بلاغة العرب وجرى أسلوبه

على أساليب الكلام العربى ، فقد اشتمل على الایجاز والاطناب والجمال والتبيين

والاطلاق والتفيز ، وعلى العموم والخصوص ، ومن هنا كان لا بد لمن يتعرض

لتفسيره أن ينظر فى القرآن أولاً فوجم ما تكرر منه فى موضع واحد

ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً

وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً ، وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على

الخاص ، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن وفهم مراد الله بما جاء عن الله .

وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عليها ويتخطاها الى مرحلة أخرى

(١) البقرة آية ٢١٩

(٢) " " ٢١٧

(٣) " " ٢٢٠

(٤) " " ٢٢٢

(٥) المائدة آية ٤

(٦) النساء آية ١٢٧

(٧) " " ١٧٦

لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره وعلى هذا فمن
تفسير القرآن بالقرآن أن يشرح ما جاء موجزا في القرآن بما جاء في موضع
آخر مسهبا ، وذلك كقصة آدم وإبليس جاءت مختصرة في بعض المواضع
وجاءت مسهبة مطولة في موضع آخر ، وكقصة موسى وفرعون ، جاءت موجزة في
بعض المواضع ، وجاءت مسهبة مفصلة في موضع آخر " (١)

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٧ - ٣٨

المبحث الأول

العموم والخصوص

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل ما جاء منه عاما على ما جاء منه خاصا .
تعريف العموم : والعام هو اللفظ المستغرق لكل ما يصلح له من غير حصر
صيفه : وللعموم صيغ تدل عليه وتبين معناه ، فمنها " كل " سواء كانت
مبتدأة مثل قوله تعالى " كل من عليها فان " ^(١) وقوله " كل نفس ذائقة الموت " ^(٢)
أو تابعة نحو " فسجد للملائكة كلهم أجمعون " ^(٣) أو مضافة مثل " الله خالق
كل شيء " ^(٤) ومنها أسماء الموصول ، كالذى للمفرد المذكور نحو قوله تعالى
والذى قال لوالديه أف لكما " ^(٥) فان المقصود به كل من صدر منه هذا القول
بدليل قوله تعالى بعد ذلك " أولئك الذين حق عليهم القول " ^(٦) لا شخصا بعينه .
ومثال الجمع مثل قوله تعالى " والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة " ^(٧)
وقوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " ^(٨) وقوله تعالى " للذين اتقوا
عند ربهم جنات " ^(٩) فالمراد من هذه الآيات كل من اتصف بهذه الصفات

(١) الرحمن / ٢٦

(٢) الانبياء / ٣٥

(٣) الحجر / ٣٠

(٤) الزمر / ٦٢

(٥) الاحقاف / ١٧

(٦) " / ١٨

(٧) البقرة / ٨٢

(٨) يونس / ٢٦

(٩) آل عمران / ١٥

وليس أشخاصاً بأعيانهم • ومثال التثنية " واللذان يأتيانها منكم " (١) ومثال الجمع

الاناث " ولللائى يئسن من المحيض " (٢)

ومن ذلك أى ، وما ، ومن سواء كانتا شرطيتين أو استفهائيتين أو موصولتين

نحو " أيما ما تدعو فله الأسماء الحسنى " (٣) وقوله " انكم وما تعبدون من دون

الله حسب جهنم أنتم لها واردون " (٤) وقوله " ومن يعمل سوءً يجزيه " (٥)

ومنها الجمع المضاف نحو " يوصيكم الله فى أولادكم " (٦)

ومنها الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس نحو " قند

أفلق المؤمنون " (٧) وقوله تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " (٨)

ومثال اسم الجنس قوله تعالى " والحصران الانسان لفى خسر " (٩)

ومنها اسم الجنس المضاف نحوه " فليخذ رالذين يخالفون عن أمره " (١٠)

(١) النساء / ١٦

(٢) الطلاق / ٤

(٣) الاسراء آية ١١٠

(٤) الانبياء آية ٩٨

(٥) النساء آية ١٢٣

(٦) النساء آية ١١

(٧) سورة المؤمن آية ١

(٨) سورة التوبة آية ٥

(٩) سورة العصر آية ٢

(١٠) سورة النور آية ٦٣

ومن صيغ العموم كذلك النكرة الواقعة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام

مثل قوله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " (١) فإنه تعالى نهى عن الشرك في الدبات والأقوال والأفعال وعن الشرك الأصغر والأكبر والخفى والجلى فلا ينبغي أن يجعل العبد لله ندا ومشاركاً في شئ من ذلك، ومثل قوله " هوام لا تملك نفس لنفس شيئاً " (٢) يعم كل نفس وأنها لا تملك في هذا اليوم شيئاً من الأشياء لأى نفس أخرى مهما كانت الصلة بينهما لا يصل شئ من المنافع ولا دفع شئ من المضار ومن أمثلة وقوع النكرة في سياق الشرط قوله تعالى " وإن أمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لضره " (٣) فكل ضر قدره الله على العبد فليس في استطاعة أحد من الخلق كائناً من كان كشفه بوجه من الوجوه ، ومن وقوع النكرة في سياق الاستفهام قوله تعالى " هل تعلم له سمياً " (٤)

هذه هي صيغ العموم وذاك هو تعريفه وأمثله . . .

أما الخاص : فهو يقابل العام فهو الذى لا يستغرق الصالح له من غير

حصر ، والتخصيص هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام .

وتنقسم المخصصات الى متصلة ومنفصلة ، فالمخصصات المتصلة خمسة

وهي الاستثناء والصفة والغاية والشرط ، وبدل البعض من الكل . مثال الاستثناء

قوله تعالى " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم

ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون " إلا الذين

تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٥)

(١) سورة النساء آية ٣٦

(٢) الانفطار آية ١٩

(٣) سورة ... آية ...

(٤) سورة مريم آية ٦٥

(٥) النور آية ٤ ، ٥

وقوله تعالى " والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعلوا الصالحات"^(١)
ومن أمثلة الصفة قوله تعالى " وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن"^(٢) فقوله تعالى " اللاتي دخلتم بهن " صفة
نسائكم ويكون المعنى أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل
حلال له اذا لم يدخل بها . .

ومثال الغيبة : كقوله تعالى " ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ
الهدى محله "^(٣) " ولا تقربوهن حتى يظهرن "^(٤)

ومثال الشرط قوله تعالى " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا
الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين "^(٥) وقوله تعالى " والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكانتمهم ان علمتم فيهم خيرا " أي قدرة على الأداء^(٦)
أو أمانة وكسبا .

ومثال البدل مثل قوله تعالى " والله على الناس حج البيت من استطاع إليه
سبيلا " فقوله من استطاع إليه سبيلا بدل من الناس فيكون وجوب الحج
خاصا بالمستطيع .

(١) سورة العصر آية ١، ٢، ٣

(٢) النساء آية ٢٣

(٣) البقرة آية ١٩٦

(٤) البقرة آية ٢٢٢

(٥) ، ، ١٨٠

(٦) النور آية ٢٣

المخصصات المنفصلة : أما المخصصات المنفصلة وهي التي فصل فيها بين العام

والمخصص له بفاصل فهي كثيرة في القرآن ومن أمثلتها قوله تعالى " والمطلقات

يتر بصن بأنفسهن ثلاثة قروء " (١) فهي عامة في كل مطلقة ، حاملا كانت أو غير حامل

مدخولا بها أو غير مدخول بها فخص بقوله تعالى " وأولات الأحمال أجلهن

أن يضعن حملهن " (٢) وبقوله " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم

طلقوهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها " (٣)

ومما جاء فيه تخصيص العام بمخصص منفصل قوله تعالى " وإن أردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم أحداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا " (٤)

خصص بقوله تعالى " فلا جناح عليكم فيما افترت به تلك حدود الله " (٥)

ومن ذلك قول الله تعالى " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " (٦)

خص بقوله جل شأنه " فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب " (٧)

والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة والمقصود ذكر بعض الأمثلة لا الاستقصاء .

(١) البقرة آية ٢٢٨

(٢) الطلاق آية ٤

(٣) الأحراب آية ٤٩

(٤) النساء آية ٢٠

(٥) البقرة آية ٢٢٩

(٦) النور آية ٢

(٧) النساء آية ٢٥

المبحث الثاني
المجمل والمبين

تعريف المجمل :

الاجمال في اللفظة هو جمع الشيء بعد تفرقه ومنه رد الحساب الى
الجملة . (١)

وفي الاصطلاح عرفه العلماء بتعاريف كثيرة نختار منها ثلاث تعريفات
لا يتوجه اليها من الاعتراض مثل ما يتوجه الى غيرها من التعاريف ، ثم نختار
من بين الثلاثة ما نعتقد أنه أصحها وأولها وأسلمها من الاعتراض .

التعريف الأول : هو ماله دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما علسي
الآخربالنسبة اليه " وهذا التعريف اختاره الآمدى في كتابه الاحكام (٢)

والثاني هو ماله دلالة لا يتعين المراد بها الا بمعين سواء كان عدم التعيين
بوضع اللفظة أو بعرف الشرع أو بالاستعمال " (٣) وهذا التعريف اختاره

الشوكاني في كتابه ارشاد الفحول .

والثالث بأنه اللفظ الصالح لأحد معنيين الذي لا يتعين معناه لا بوضع اللفظة
(٤)

ولا بعرف الاستعمال ، وأولى هذه التعاريف بالقبول عندى هو تعريف الامام
الشوكاني لأنه جامع مانع فتعريف الآمدى قيد المجمل بأن تكون له دلالة

(١) أنظر القا موسى المحيط ج٣ ص ٣٦٢

(٢) ج٣ ص ٨

(٣) ارشاد الفحول ص ١٦٧

(٤) الاحكام فى أصول الاحكام للآمدى ج٣ ص ٨

فى أحد أمرين لا مزية لأحد هما على الآخر بالنسبة إليه كما عرفت فى حين أنه قد يكون الاجمال بين أمور لا أحد أمرين فقط ، مثل الاحصان الوارد فى القرآن الكريم فانه متردد بين صفات لا صفتين فقط ، وكذلك يمكن أن ينشأ الاجمال بسبب غرابية فى اللفظ لا بسبب تردد المعنى بين شيئين . .

أما تعريف الغزالي فقد قيد دلالة الاجمال بالألفاظ مع أن الاجمال يكون فى الألفاظ وفى الأفعال فتقيده باللفظ يخرجه عن كونه جامعا بالأضافة الى تقيده بأن يكون صالحا لأحد معنيين مع امكان صلاحيته الى أكثر من معنيين كما ذكرنا .

أما تعريف الشوكالى فقد سلم من هذه القيود كما عرفت فهو جامع مانح ولذلك اخترناه والله أعلم .

وقد وقع الاجمال فى القرآن الكريم لأنه من أساليب اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، فان من أساليب العرب أن تذكر الشئ مجملا ثم تأتي به مفصلا ليكون أوقع فى النفس ، لأن المخاطب اذا ألقى اليه الكلام مجملا تتشوق نفسه الى تفصيله وبيانه فيكون عنده بذلك استعداد أكثر مما لو ذكر له الكلام مفصلا فى أول مرة فيكون ذلك أدعى الى فهمه والى الاحاطة بمعناه ، قال الامام النووى رحمه الله " فان العرب لا تذكر الشئ مفصلا ثم تجمله وانما تذكره مجملا ثم تفصله أو تفصل بعضه تنبيها على فضيلته " (١)

(١) شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٩

وام ينكر أحد من العلماء في وقوع الاجمال في القرآن الكريم الا داود بن علي
الظاهرى (١) فانه أنكر وقوعه ، ذكر ذلك السيوطى في الاتقان والشوكانى فى
ارشاد الفحول (٣)

القاعدة فى ذلك عند العلماء:

أن يحمل المجمل على المبين ليفسر به وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن فمن
ذلك تفسير قوله تعالى فى سورة المؤمن " وان بك صادقا يصيبكم بعض الذى
يعدكم " (٤) بأنه العذاب الأذى المعجل فى الدنيا لقوله تعالى "فى آخر
هذه السورة " فان ما تريدك بعض الذى يعد هم أو تتوفيك فإلينا يرجعون " (٥)
ومنه تفسير قوله تعالى فى سورة النساء آية " ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تهيلوا ميلا عظيما " (٦) بأهل الكتاب لقوله تعالى فى السورة نفسها " ألم تر
الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل
ومنه قوله تعالى فى سورة البقرة " فتلقى آدم من ربه كلمات " فسرتها الآية
(٢٣) من سورة الأعراف " قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين " (٩) ومنه قوله تعالى " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (١٠)

(١) هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني أبو سليمان الملقب بالظاهرى أحد الأئمة
المجتهدين فى الاسلام ، وأول من نادى بأخذ ظاهر الكتاب بالسنة والاعراض عن
الرأى والقياس ، واليه تنتسب الطائفة الظاهرية ، أصفهاني الأصل من أهل قاشان
بلدة قريبة من أصفهان سكن بغداد وانتهت اليه رئاسة العلم فيها ، ولد بالكوفة
سنة مائتين وواحد ، ٢٠٩ ، وتوفى سنة سبعين ومائتين ٢٧٠ هـ / من الاعلام للزركلى ٨/٣

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨

(٣) ارشاد الفحول ص ١٦٨

(٤) آية ٢٨

(٥) " ٧٧

(٦) " ٢٧

(٧) " ٤٤

(٨) البقرة آية ٣٧

(٩) سورة الاعراف آية ٢٣

(١٠) " الانعام آية ١٠٣

- فسرتها الآية "٣٢" من سورة القيامة "وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة"^(١)
ومنه قوله تعالى "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم"^(٢)
فسرتها آية "حرمت عليكم الميتة" الآية"^(٣) من السورة نفسها"^(٤)

اسباب الاجمال :

وللاجمال أسباب كثيرة ذكرها العلماء ، منها الاشتراك في اللغة مثل
لفظ "عسعس" في قوله تعالى "والليل اذا عسعس"^(٥) فهو مشترك بين
الاقبال والادبار يقال عسعس الليل اذا أقبل ، وعسعس اذا أدبر فهو ممن
الاضداد ، الا أن معناه في الآية الكريمة هو الابدان بدليل قوله تعالى
بعده "والصبح اذا تنفس"^(٦) ولهذا حكى الجوهري عن الفراء اجماع
المفسرين على ذلك "^(٧)

ومن ذلك القروء في قوله تعالى "ثلاثة قروء"^(٨) فانه يطلق على
الحيض وعلى الطهر ، يقال أقرأت المرأة اذا حاضت ، وأقرأت اذا ظهت

(١) سورة القيامة آية ٢٣

(٢) سورة المائدة آية ١

(٣) سورة المائدة آية ٣

(٤) هذا مأخوذ من التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٨

(٥) سورة التكهير آية ١٧

(٦) ، ، ، ١٨

(٧) تفسير فتح البيان ج ١٠ ص ٢٥٥ ، وثلاثة كتب في الاضداد ص ٨

(٨) البقرة آية ٢٢٨

قال أبو عمرو بن العلاء من العرب من يسمى الحيض قرءاً ومنهم من يسمى الطهر قرءاً، ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمى الحيض مع الطهر قرءاً، قال العلامة محمد صديق حسن خان رحمه الله بعد أن حكى هذا الكلام عن أبي عمرو "ومما ينبغي أن يعلم أن القرء في الأصل الوقت يقال هبت الرياح لقرئها ولقارئها أي لوقتتها فيقال للحيض قرء وللطهر قرء لأن كل واحد له وقت معلوم، وقد أطلقته العرب تارة على الأظهار وتارة على الحيض (١)"

وقد يكون سبب الأجمال ناشئاً عن التركيب وذلك بأن تكون المعانى

المراد من المفردات معلومة لكن يكون المواد من المركب نفسه مجهولاً محتاجاً إلى البيان مثل قوله تعالى "أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح" (٢) فالذى بيده عقدة النكاح حمله على الزوج ويمكن حمله على الولي إذ كل منهما بيده عقدة النكاح، ولذلك ذهب إلى كل من القولين جمع كثير من أهل العلم إلا أن حمله على الزوج أرجح لسببين أحدهما أن الزوج هو الذى بيده عقدة النكاح حقيقة وله رفعه إذا شاء بالطلاق •

ثانيهما : أن غوه يكامل المهر هو صادر عن المالك المطلق التصرف بخلاف الولي وتسميه الزيادة مهراً، وإن كان خلاف الظاهر لكن لما كان الغالب أنهم يسوقون المهر كاملاً عند العقد كان العفو معقولاً لا أنه تركه لها ولم يسترجع النصف منها" (٣)

(١) فتح البيان ج ١ ص ٢٦٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٧

(٣) أنظر تفسير فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٥٤

قال الزركشى فالضمير فى " بيده " يحتمل عوداً على الولى وعلى الزوج ورجح
الثانى لموافقته للقواعد فان الولى لا يجوز أن يعفو عن مال يتهمه بوجه من الوجوه
وحمل المحتمل على القواعد الشرعية أولى ^(١)

وقد يكون سبب الاجمال غرابة فى اللفظ ويكون ذلك فى المفرد
والمركب أما المفرد فمثل قوله تعالى " ان الانسان خلق هلوعاً " ^(٢) فلفظ
الهلوع عنده العلماء من الألفاظ الغريبة وقد جاء تفسيره بقوله تعالى بعده
" اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير عنوعاً " ^(٣) وهو الذى يكثر الجزع اذا

أصابه الشر ويبالغ فى المدح والاعسك اذا مسه الخير . .

^(٤) وأما المركب فمثل قوله تعالى " فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن "
والخطاب فى هذه الآية يمكن أن يكون متوجهاً الى الأولياء ويمكن أن يكون
موجهاً الى الأزواج الا أن ما ورد من السنة فى سبب نزول الآية يرفع هذا
الاجمال ويشهد بأن الخطاب موجه الى الأولياء، فقد أخرج البخارى وأهمل
السنن عن معقل بن يسار قال " كانت لى أخت فاتنلى ابن عم فأنكحتها اياه
فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة فهو يها
وهو يته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له بالكح ^(٥) أكرمتك بها وزوجتكها فطقتها

(١) البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص ٢١١

(٢) سورة المعارج آية ١٩

(٣) " " " ٢٠

(٤) البقرة آية ٢٣٢

(٥) اللكح هو اللثيم قال ابن فارس اللام والكاف والعين أصل يدل على لوم ونداء

معجم مقاييس اللغة ج٥ ص ٢٦٤

ثم جئت تخطبها ، والله لا ترجع اليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت
المرأة تريد أن ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الي بعلمها فأنزل
الله " وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن
إذا تراضوا بينهم بالمعروف " (١) قال فضي نزلت هذه الآية فكفرت عن
يمينى وأنكحتها اياه " (٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله اتفق أهل
التفسير على أن المخاطب بذلك الأُولياء ذكره ابن جرير وغيره وروى ابن
المنذر من طريق على ابن أبي طلحة عن ابن عباس : هي في الرجل يطلق
امرأته فتقضى عدتها فيبدوله أن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعه وليها (٣)
وقال أبو عيسى الترمذى رحمه الله " وإنما خاطب الله في هذه الآية
الأُولياء فقال فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن " ففي هذه الآية دلالة
على أن الأُمراء الأُولياء في الترويح مع رضاهن " (٤)

وقد يكون سبب الاجمال بسبب اختلاف مرجع الضمير كما في قوله

تعالى " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " سورة فاطر / ١٠

(١) البقرة آية ٢٣٢

(٢) فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٤٤ ، والبخارى في صحيحه ج ٧ ص ٢١
وأبوداود في سننه ٢٣٠ / ٢ رقم الحديث ٢٠٨٧ ، وجامع الترمذى بشرح

المباركفورى ٣٢٤ / ٢

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٩ ص ٢٥٨

(٤) جامع الترمذى بشرح المباركفورى ج ٢ ص ٣٢٥

فيحتمل عود ضمير الفاعل في " يرفعه " الى ما عاد عليه ضمير " الهه " وهو الله ويحتمل عوده الى العمل ، والمعنى أن العمل الصالح هو الذى يرفعه الكلم الطيب ويحتمل عوده الى الكلم أى أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصلح العمل الا مع الايمان ^(١) وذكر الزركشى رحمه الله أن عود الضمير على العمل وعوده على الكلم كلاهما صحيح لأن الايمان فعل وعمل ونيه لا يصح بعضها الا ببعض ^(٢)

وقد يكون منشأ الاجمال بسبب جهالة فى صفة كقوله تعالى " وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين " فان تقييد الحل بالاحسان مع الجهل بما هو الاحسان موجب للاجمال فيما أحل ^(٣)

وقد ورد الاحسان فى القرآن لمعان أحدهما أن المقصود منه النساء ذوات الأزواج لأنهن أحسن بأزواجهن ، والثانى يراد به الحررة ومنه قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات ^(٤) وقوله " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ^(٥)

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج٢ ص ١٩

(٢) البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص ٢١١

(٣) الاحكام فى أصول الاحكام للآمدى ج٣ ص ١١

(٤) النساء / ٢٥

(٥) المائدة / ٥

والثالث يراد به العفيفة ومنه قوله تعالى " محصنات غير مسافحات " (١)

والرابع المسلمة ومنه قوله تعالى " فاذا أحصن " (٢)

وأصل التحصن التمتع ، ومنه قوله تعالى ، لتحصنكم من بأسكم (٣)

أى لتمنعكم ، ومنه الحصان بكسر الحاء للفرس لأنه يمدح صاحبه من الهلاك (٤)

فلا حصان اذا متردد بين هذه المعانى فلا يفهم معناه

الا بالقرائن والأدلة الخارجية .

وقد يكون الاجمال بسبب اخراج اللفظ فى عرف الشرع عما وضحه

فى اللغة عند القائلين به قبل ورود بيانه مثل " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " (٥)

وقوله " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " (٦) فانه يكون مجملا

لعدم اشعار اللفظ بما هو المراد منه بعينه من الافعال المخصصة لأنه مجمل

بالنسبة الى الوجوب (٧) ولكن اذا حصل الاشتراك فى اللفظ بين معناه اللغوى

ومعناه الشرعى كان المراد للمعنى الشرعى الا اذا وجدت قرينة تصرفه الى

غيره كالأثلة السابقة ، وبذلك يخرج من العلماء من باب الاجمال "

(١) النساء / ٢٥

(٢) " ٢٥

(٣) الأبيات / ٨٠

(٤) فتح القدير / ١ / ٤٤٨

(٥) البقرة / ١١٠

(٦) آل عمران / ٩٧

(٧) الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى ج ٣ ص ١١ ، ١٢

قال الامام الشوكاني " لا اجمال فيما له نسمى لغوى ومسمى شرعى كالصوم والصلاة عند الجمهور بل يجب الحمل على المعنى الشرعى لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معانى الألفاظ اللغوية والشرع طارىء على اللغة وناسخ لها فالحمل على الناسخ المتأخر أولى ، وذهب جماعة الى أنه مجمل ونقله الأستاذ أبو منصور عن أكثر أصحاب الشافعى " (١)

ومن أسباب الاجمال التقديم والتأخير، مثل قوله تعالى " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى " (٢) والتقدير هو ، ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لزاما ، ولولا هذا التقدير لكان منصوبا كالاتزام " (٣)

ومن أمثلة التقديم والتأخير قوله تعالى " يستلونك كأنك خفي عنها " (٤) والمعنى يستلونك عن الساعة كأنك عالم بها أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر منه ومتطاع الى علم مجيئها " (٥)

(١) ارشاد الفحول ص ١٧٢

(٢) سورة طه / ١٢٩

(٣) البرهان ٢ / ٢١٣

(٤) الأعراف / ١٨٧

(٥) فتح القدير ج ٢ ص ٢٧٣

حكم المجمل والسرفى اجمال النص :

وهذا وحكم المجمل التوقف فيه الى أن يفسر، ولا يصح الا احتجاج
بظاهره فى شىء يقع فيه النزاع، قال الماوردى ان كان الاجمال من جهة
الاشترك واقترن به تبينه أخذ به، فان تجرد عن القرائن واقترن به عرف
يحمل به فان تجرد عنها وجب الاجتهاد فى المراد منه وكان من خفى الأحكام
التي وكل العلماء فيها الى الاستنباط فصار داخل فى المجمل لخفائه وخارجا منه
لا مكان الاستنباط" (١)

ولعل من الاسرار فى ايراد اللفظ مجملا فى الأول ثم اتباعه ببيانه
يقاظ النفس وشحذها وتبئها الى ما بعد المجمل من البيان ليكون لديها
استعداد لقبوله والاهتمام به .. والله أعلم ..

المبين والبيان :

في اجمال النص ضرب من الغموض ينشأ من أحد تلك الأسباب
السالفة الذكر ولكن سرعان ما يزول هذا الغموض وينزاح ذلك الستار اذا ورد
بعد المجمل ما يبينه كالأُمثلة التي أسلفنا ذكرها، ويسمى المجمل بعد ورود بيانه
مبيناً أو مفصلاً أو مفسراً، وقد يطلق ويراد به ما كان من الخطاب المبتدأ
المستغنى بنفسه عن البيان "

والمبين في اللغة هو المظهر من بان اذا ظهر يقال بين فلان
كذا اذا أظهر وأوضح معناه " (١) وفي الاصطلاح هو ما افتقر الى البيان وقد
ورد عليه بيانه، ولهذا قال الآمدي رحمه الله " وقد يراد به ما كان محتاجاً
الى البيان وقد ورد عليه بيانه وذلك كاللفظ المجمل اذا بين المراد منه والعام
بعد التخصيص، والمطلق بعض التقيد والفعل اذا اقترن ما يدل على الوجه
الذي قصد منه " (٢) وعرفه بعض العلماء بأنه " ما استقل بنفسه في الكشف
عن المراد ولم يفتقر في معرفة المراد الى غيره " (٣)

البيان : والبيان هو اخراج الشيء من حيز الاشكال الى حيز
التجلى كما قال الصيرفي " (٤) وقد سبقت الأُمثلة الكثيرة في البيان بعد الاجمال
فلا داعي الى الاعادة . . .

(١) ارشاد الفحول، ص ١٦٨

(٢) الاحكام في أصول الأحكام للآمدي ج ٢، ص ٢٦

(٣) الفقيه والمتفقه ٧٤/١

(٤) ارشاد الفحول، ص ١٦٨

المبحث الثالث

فى المطلق والمقيد

من طرق تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيد : والمطلق

هو ما دل على الحقيقة بلا قيد ، فهو يتناول واحدا لا بعينه من الحقيقة ، وأكثر

وروده النكرة فى الاثبات كلفظ " رقية " فى قوله تعالى " فتحرير رقبة " (١)

فانه يتناول عتق انسان مملوك وهو شائع فى جنس المملوك مؤمنهم وكافرهم

وذكورهم واناثهم على السواء وهو نكرة فى الاثبات وكالاتق الشهادة فى البيوع

فى مثل قوله تعالى " وأشهدوا اذا تبايعتم " (٢) فانه يتناول كل اشهاد سواء

كان من العدول أو من غيرهم ، فقولنا " نكرة " احتراز عن المعارف وماله دلالة

على معين ، وقولنا فى سياق الاثبات " احتراز عن النكرة فى سياق النهى

أو النهى فانها تعم جميع جلسها "

أما المقيد فهو عكس المطلق وهو ماله دلالة على الحقيقة بقيد

كالشهادة المقيدة بالعدالة فى قوله تعالى " أشهدوا ذوى عدل منكم " (٣)

وفى قوله تعالى فى الوصية " يا ايها الذين آمنوا شهداء بينكم اذا

حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوى عدل منكم " (٤)

وكتقييد الرقية بالايمان فى كفارة القتل فى قوله تعالى " ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير

رقية مؤمنة " (٥)

(١) المجادلة / ٣

(٢) البقرة / ٢٨٢

(٣) الطلاق / ٢

(٤) المائدة / ١٠٦

(٥) النساء / ٩٢

والمطلق مع المقيد كالعام مع الخاص فمتى وجد دليل على وجود مقيد وجب المصير اليه والا بقى على اطلاقه كالعام سواء بسواء فانه أى العام يبقى على عمومته كذلك الا اذا وجد دليل على التخصيص " فان وجد فلا يجوز العدول عنه ، قال السيوطى رحمه الله " المطلق الدال على التامية بلا قيد وهو مع القيد كالعام مع الخاص " (١) وقال الزركشى رحمه الله " ان وجد دليل على تقييد المطلق صيراليه والا فلا ، والمطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط أن الله تعالى اذ حكم فى شىء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظفان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وان كان له أصل غيره لم يكن رده الى أحدهما بأولى من الآخر " (٢)

الأُثلة :

ومن الأُثلة فى حمل المطلق على المقيد اشتراط العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق والوصية واطلاقه الشهادة فى البيوع وغيرها قال تعالى فى اشراط العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق " فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدو ذوى عدل منكم " (٣) وقال فى اشتراط العدالة فى الشهود على الوصية " يا أيها الذين آمنوا شهادة بيلكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم " (٤)

(١) الاتقان ج ٢ ص ٣١

(٢) البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٥

(٣) الطلاق / ٢

(٤) المائدة / ١٠٦

وأطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله تعالى " وأشهدوا إذا تباهتكم ^(١) " وقوله في اليتامى " فإذا دفعتم المهم أموالهم فأشهدوا عليهم مع العلم بأن العدالة شرط في الجميع ، ومن ذلك تقييده ميراث الزوجتين بقوله " من بعد وصية يوصين بها أو دين " ^(٢)

وأطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكذلك ما أطلق من الموارث

كلها بعد الوصية والدين ، وكذلك اشتراط الايمان في كفارة القتل فليس قوله تعالى " ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ^(٤) " وإطلاقها في كفارة

الظهار واليمين في قوله تعالى " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ^(٥) " وقوله في اليمين " لا يؤخذكم الله

باللغو في ايمانكم ولكن يود اخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ^(٦) "

ومثل ذلك تقييد ، وكذلك حبوط العمل بالردة المقيد بالموت على الكفر وفي قوله تعالى " ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ^(٧) " "

(١) البقرة آية ٢٨٢

(٢) النساء ، ٦

(٣) ، ، ١٢

(٤) ، ، ٩٢

(٥) المجادلة / ٣

(٦) المائدة / ٦

(٧) البقرة / ٢١٧

وقد أطلق حبوط العمل بالكفر فى قوله تعالى " ومن يكفر بالايمان

فقط حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين " (١) فقيدها هذا الاطلاق الوارد

فى هذه الآية بما ورد فى الآية الأولى من التقييد بمن مات على الكفر، أما من

ارتد عن الاسلام ثم عاد اليه وحسن اسلامه فلا يبطل عمله قبل الردة قال الله أعلم .

ومثله ذلك تقييد غسل الأيدي بأنه الى المرافق فى الوضوء واطلاقه

فى التيمم ، قال تعالى فى آية الوضوء " يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق " (٢) وأطلق فى التيمم فقال " فتيمموا صعيدا

طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه " (٣)

هذا المثال الأخير ذكره الغزالي ونقل عن أكثر الشافعية " قلت (٤)

وحمل المطلق على المقيد فى هذه المسألة غير مسوغ لورود الدليل المقتضى بعدم

حمل المطلق على المقيد عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عنه عليه السلام

فى حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم

" يكفيك الوجه والكفان " (٥) وفى رواية انما يكفيك أن تقول بيدك هكذا فضرب

النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه " (٦)

(١) سورة المائدة ٥ /

(٢) " " ٦ /

(٣) " " ٦ /

(٤) انظر التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٨

(٥) صحيح البخارى بشرح الحافظ ابن حجر ج ١ ص ٤٦١

(٦) " " مع شرحه فتح البارى ج ١ ص ٤٦١

وإذا ورد تفسير القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز العدول عنه لأن الله أوكأ الله بيان القرآن فى قوله تعالى " وأنزلنا الهك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم " (١)

وقد يوب البخارى رحمه الله لذا الحديث فقال : باب التهم للوجه والكفين "

ثم جاء الحافظ رحمه الله بشرح هذه الترجمة فقال أى هو الواجب المجزىء وأتى بذلك بصيغة الجزم مع شهرة الخلاف فيه لقوة دليله ، فان الأحدث الواردة فى صفة التهم لم يصرح عنها سوى حديث أبى جهم وعمار وماعداهما فضعيف أو مختلف فى رفعه ووقفه . . . والراجع عدم رفعه ، وأما حديث أبى جهم فورد بذكر الهدين مجملا ،

وأما حديث عمار فورد بذكر الكفين فى الصحيحين ، وبذكر المرفقين فى السنن وفى رواية الى نصف الزراع ، وفى رواية الى الآباط فأما رواية المرفقين وكذلك نصف الزراع ففيهما مقال ، وأما رواية الآباط فقال الشافعى وغيره ان كان ذلك وقع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فكل تنجم صرح للنبي صلى الله عليه وسلم بعده فهو ناسخ له وان كان بغير أمره فالحجة فيما أمر به ، وما يؤيد رواية الصحيحين فى الاقتصار على الوجه والكفين كون عمار كان يفتى بعد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وراى الحديث أعرف بالمراد به من غيره ولا سيما الصحابى المجتهد (٢)

(١) الحل / ٤٤

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٤٦١

ولا اختلاف الحكم كذلك فإن أكثر الأُصوليين لا يرون حمل المطلق على المقيد
في هذه الصورة وإن اتحد السبب خلافاً لما نقل الغزالي عن أكثر الشافعية
كما سبق ، وليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كائناً من كان
فاذا ثبت الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجب الأخذ به والعمل عليه
بدون التفات إلى ما سواه من أقوال الناس ، والله أعلم . . .

وقد قسم العلماء المطلق والمقيد إلى أقسام منها أن يتحد الحكم
والسبب كالصيام في كفارة اليمين جاء مطلقاً في قوله تعالى " فمن لم يجد فصيام
ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم " المائدة / ٨٩

وقد جاء مقيداً بالتتابع في قراءة ابن مسعود الشاذة " فصيام ثلاثة
أيام متتابعات " (١) فمثل هذا يحمل المطلق فيه على المقيد لأن السبب الواحد
لا يوجب المتتابعين ، ولهذا قال قوم بالتتابع وهو مذموب أبي حنيفة والثوري وأحمد
قولي الشافعي ، وخالفهم من يرى عدم حجية القراءة غير المتواترة وإن كانت
مشهورة فقالوا ليس هنا مقيد حتى يحمل عليه المطلق فيترك على إطلاقه .

والثاني أن يتحد السبب ويختلف الحكم كالأيدي في الوضوء والتيمم فقد قيد
غسل الأيدي في الوضوء بأنه إلى المرافق في الآية الكريمة " يأيها الذين آمنوا
إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق " المائدة / ٦

(١) القراءة الشاذة هي القراءة التي يتوفر لها شروط التواتر وشروط التواتر هي

أن تكون القراءة موافقة للغة العربية ، ورسم أحد المصاحف العثمانية وأن

ثبت عن طريق التواتر ،

انظر القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب مطبوع مع البذور والزاهر ص ٧

وأطلق في آية التيمم فقال " فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه " المادة ٦ / والحكم في مثل هذه الحالة عدم حمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم ، وان اتحد السبب ، قال الزركشى في البرهان " فأما اذا حكم في شيء بأمر لم يحكم في شيء آخر ينقض تلك الأوامر وسكت فيه عن بعضها ، فلا يقتضى اللاحق كالأمر بغسل الأجزاء الأربعة في الوضوء ، وذكر في التيمم عضوين فلم يكن في الأمر بمسح الرأس وغسل الرجلين في الوضوء دليل على مسحها بالتراب في التيمم ، ومن ذلك العتق والصوم والطعام في كفارة الظهار ولم يذكر الاطعام في كفارة القتل ، فلم يجمع بينهما في ابدال الطعام عن الصيام ^(١) ومنها أن يتحد الحكم ويختلف السبب وله صورتان الأولى أن يكون التقيد واعداء كعتق الرقبة في الكفارة ورد اشتراط الايمان في الرقبة بتقيدهما بالرقبة الموت منة في كفارة القتل الخطأ قال تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ^(٢) وقد أطلقت في كفارة الظهار قال تعالى " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ^(٣) وفي كفارة اليمين قال تعالى " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ^(٤) فقال جماعة عنهم المالكية وكثير من الشافعية يحمل المطلق

(١) البرهان ج ٢ ص ١٧

(٢) النساء / ٩٢

(٣) المجادلة / ٣

(٤) المادة / ٨٩

على المقيد من غير دليل ، فلا تجزى الرقبة الكافرة فى كفارة الظهار واليمين
وقال آخرون وهو مذهب الأحناف لا يحمل المطلق على المقيد الا بدليل
فهجوز اعتاق الكافرة فى كفارة الظهار واليمين وحجة أصحاب الرأى الأول أن
كلام الله تعالى متحد فى ذاته لا تعدد فيه فاذا نص على اشتراط الايمان
فى كفارة القتل كان ذلك تنصيحا على اشراطه فى كفارة الظهار ولذا حمل
قوله تعالى " والذاكرات على قوله فى أول الآية " والذاكرين الله كثيرا " (١)

والعرب من مذهبها استحباب الاطلاق اكتفاء بالمقيد وطلبها للايجاز والاختصار
وقد قال تعالى " عن اليمين وعن الشمال قعيد " (٢) والمراد عن اليمين قعيد
ولكن حذف لدلالة الثانى عليه " (٣)

وأما حجة أصحاب أبى حنيفة فانهم قالوا ان حمل " والذاكرات "

على والذاكرين الله كثيرا (جاء بدليل • ودليله أن قوله (والذاكرات) معطوف
على قوله " والذاكرين الله كثيرا " ولا استقلال له بنفسه فوجب رده الى
ما هو معطوف عليه ومشارك له فى حكمه ، ومثله العطف فى قوله تعالى (عن
اليمين وعن الشمال قعيد) واذا امتنعوا بالقييد من غير دليل فلا بد من دليل
ولا يصح من كتاب أو سنة يدل على ذلك والقياس يلتزم منه رفع ما اقتضاه
المطلق من الخروج عن العهدة بأى شىء كان مما هو داخل تحت اللفظ المطلق

(١) الاحزاب آية ٣٥

(٢) ق آية ١٧

(٣) انظر الاحكام للآمدى ج ٢ ص ٥ والبرهان ج ١ للزركشى ج ٢ ص ١٦

فيكون نسخا ونسخ النص لا يكون بالقياس ويجاب عن ذلك من أصحاب الرأي الأول
بأننا لا نسلم أنه يلزم من حمل المطلق على المقيد نسخ النص المطلق ، بل تقييده
ببعض مسمياته ، فتقيده الرقبة " بأن تكون مؤنة فيكون الايمان شرطا فسي
الخروج عن العهدة كما أنكم تشترطون فيها صفة السلامة ولم يدل على ذلك نص
من كتاب أوسنة .

الصورة الثانية : أن يكون التقييد مختلفا كالكفارة بالصوم ، قيد الصوم بالتتابع فسي
كفارة القتل قال تعالى " فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله " (١)
وفى كفارة الظهار قال تعالى " فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل أن يتماسا " (٢) وجاء تقييده بالتفريق في صوم المتمتع بالحج قال تعالى
" فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت " (٣)

ثم جاء الصوم مطلقا دون قيد بالتتابع أو التفريق في قضاء رمضان
قال تعالى " فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر " (٤) فالمطلق
في هذا لا يحمل على المقيد لأن القيد مختلف فحمل المطلق على أحدهما ترجيح
بلامرجه ومنها أن تختلف الحكم والسبب كاليد في الوضوء والسرقه ، قيدت في الوضوء
الى المرفق وأطلقت في السرقه قال تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا ايدهما " (٥)

(١) المائدة / ٩٢

(٢) المجادلة / ٤

(٣) البقرة / ١٨٦

(٤) البقرة / ١٨٤

(٥) المائدة : ٣٨

فلا يحمل على المقيد للاختلاف سببا وحكما وليس في هذا شيء
من التعارض" (١)

(١) مباحث في علوم القرآن اللقطان ص ٢٤٦ - ٢٤٨

الفصل الثاني

تفسير القرآن بالسنة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : في ارشاد الله تعالى عباده الى بيان النبي صلى الله

عليه وسلم وأنه واجب الاتباع .

المبحث الثاني : بيان السنة لمجمل القرآن

المبحث الأول

فى ارشاد الله تعالى عباده الى بيان النبى صلى الله عليه وسلم
للقرآن وأنه واجب الاتباع

جاء الأمر فى القرآن الكريم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

فى كل ما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وكل ما يبين به القرآن الكريم من سنته

قولا كانت هذه السنه أو فعلا أو تقريرا جاء هذا الأمر كدا حاسما فى كثير

من آيات الكتاب ، ويكفى هنا أن نذكر بعض ماورد فى ذلك من الآيات ، قال الله تعالى

" من يطع الرسول فقد أطاع الله " (١) وقال تعالى " يا ايها الذين آمنوا

أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون " (٢) وقال جل ذكره " يا ايها الذين

آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم " (٣) وقال تعالى " قل ان كنتم

تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله " (٤) وقال " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

عنه فانتهوا " (٥) وقال جل شأنه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم

ولعلهم يتذكرون " (٦) وقال " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك

الله ولا تكن للخائنين خصيما " (٧)

(١) النساء / ٩٠

(٢) الأنفال / ٢٠

(٣) الأنفال / ٢٤

(٤) آل عمران / ٣١

(٥) الحشر / ٧

(٦) النحل / ٤٤

(٧) النساء / ١٠٥

وقال " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ومدى ورحمة لقوم
يوء منون " (١)

وهذه الآيات الكريمة وغيرها مما ورد في القرآن الكريم فى الدعوة
الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم صريحة فى دلالتها، واضحة فى معانيها
لا تحتمل الا ما دللت عليه ونادت به من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
فى كل أقواله وأفعاله وتقريراته ، ولو أن الآيات القرآنية لم تأت الا فى الدعوة
الى طاعته المطلقة فى كل شىء لكانت دلالتها كافية فى وجوب أخذ ما جاء عنه
صلى الله عليه وسلم من بيانه وتفسيره القرآن الكريم فكيف اذا وجدنا أن
الله سبحانه وتعالى قد جعل بيان النبى صلى الله عليه وسلم وتفسيره للقرآن
الكريم علة فى انزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقال : وأنزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم " النحل : ٤٤

ومن هنا تعتبر السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحسن طريق لبيان وشرح كتاب الله تعالى بعد القرآن نفسه فهى تفسر مبهمه
وتفصل مجملة وتخصص عامه وتفيد مطلقه ، فوق ما تستقل هى بشرحه من أحكام
جزئية وضع القرآن أصولها وأرسي قواعد ما ، ولهذا كانت السنة عمدة العلماء
فى تفسيرهم لكلام الله على مر العصور ولم يجادل فى ذلك أحد الا من ليس له
حظ فى الاسلام كبغض الفرق الضالة ممن اتبعوا أهوائهم مثل الزنادقة
والروافض وغيرهم من فرق الضلالة وقد كان العلماء بالمرصاد لهؤلاء بتصدون
لردهم فى مر العصور ، كلما تجددت دعوتهم قام حماة السنة لردهم والتصدي

لباطلهم وكشف عوارهم ونواياهم السيئة ، وتأخذ مثالا لذلك الامام السيوطي رحمه الله فقد رد على الزنادقة المنكرين لحجية السنة وغلاة الرافضة فقال " وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى انكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصار على القرآن ، وهم في ذلك مختلفوا المقاصد ، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من أقر للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة ولكن قال ان الخلافة كانت حقا لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه الى أبي بكر رضى الله عنهم أجمعين قال هؤلاء المخذولون - لعنهم الله - كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفروا لعنهم الله عليا رضى الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار فانا لله وانا اليه راجعون . .

وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتها لولا ما دعت اليه الضرورة من بيان

أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار (١)

قلت وقد تجددت هذه الدعوة في هذه الأيام حيث أنكر معمور

القذافي الليبي السنة النبوية بروتها ثم تدرج بذلك الى انكار القرآن نفسه لما

علم أن المسلمين لا يستطيعون ايقافه عند حده ، وسخر بالمسلمين وعباداتهم

واستخف بمقدساتهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة حرسها الله ، فانا لله

وأنا اليه راجعون ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء ، ففى

سنن أبي داود رحمه الله عن المقداد بن معدى كرب رضى الله عنه أن

(١) متاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ص ٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان متكى على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ألا لا يحل لكم الحمار الأملى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطعة معامد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقبوم فعلهم أن يقرّوه ^(١) فإن لم يقرّوه فله أن يعقبهم بمثل قرّاه ^(٢) معناه أى له أن يأخذ من مالهم قدر قرّاه عوضاً وهبى مما حرموه من القرى "

قال الامام الخطابى رحمه الله فى شرح هذا الحديث " قوله

أوتيت الكتاب ومثله معه "

يحتمل وجهين من التأويل أحدهما : أن يكون معناه : أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو . .

ويحتمل أن يكون معناه : أنه أوتى الكتاب وحياً يتلى ، وأوتى

من البيان أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب ويحرم ويخصر وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس فى الكتاب ذكر ، فيكون ذلك فى وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر

المتلو من القرآن .

وقوله " يوشك شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن " فانه يحذر بذلك مخالفة السنن التى سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له فى القرآن ذكر

(١) " أن يقرّوه " بفتح الياء التحتانية وسكون القاف وضم الراء هكذا وهو مضبوط

بالشكل فى مختصر السنن للـ انظر مع الشرع ج ٧ ص ٨

(٢) سنن أبى داود ج ٤ ص ٢٠٠ والترمذى رقم الحديث ٢٨٠٠ / باب ١٠

على ما ذهب اليه الخوارج والروافض ، فانهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا
السنن التي قد ضمت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا . . .

والأريكة " السرير ، يقال انه لا يسمى أريكة حتى تكون في
حجلة ، (١) وإنما أراد بهذه الصفة : أصحاب الترقه والدعة الذين لزموا
البيوت ولم يطلبوا العلم ، ولم يحدو ولم يرو جوا في طلبه في مظانه واقتباسه
من أمهه " (٢)

(١) الحجلة محركة كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس جمع حجبل

" القاموس " المحيط ج ٢ ص ٢٦٦

(٢) معالم السنن للخطابي مع مختصر السنن للمندري ج ٧ ص ٩

المبحث الثاني

في بيان السنة لمجمل القرآن

تقع السنة النبوية بيانا لما في القرآن الكريم من الاجمال وتخصص

ما جاء منه عاما وتفيد ما جاء منه مطلقا .

بيان مجمل القرآن بالسنة:

قال الله تعالى " فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " فالصلاة وردت في

القرآن الكريم مقرونة بالزكاة في كثير من آيات الكتاب كما هي في هذه الآية

وكل ذلك لم يبين عدد ركعاتها ولا الأوقات التي تصلى فيها ولا كيفية أدائها فبين

النبي صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله أوقات الصلاة وعدد ركعاتها المطلوبة

وكيفية أدائها، بين أن كلا من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاث

ركعات والصبح ركعتان، وأن وقت الظهر إذا زالت الشمس، والعصر حين يصير

ظل كل شيء مثله، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق

الأحمر والصبح إذا طلع الفجر الصادق بين ذلك كله بفعله صلى الله عليه وسلم

كما في حديث جابر الذي أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما^(١) وكما في حديث

صلاته على المنبر^(٢) والصحابة ينظرون إليه ليتقيدوا بأفعاله مع قوله لهم

" صلوا كما رأيتموني أصلي "^(٣) قال الشوكاني رحمه الله في شرح هذا الحديث

(١) نيل الأوطار ج ١ ص ٣٥١

(٢) حديث صلته على المنبر في صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٦ ومسلم بشرح النووي ج ٥

ص ٢٥ وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الصلاة " أقبل على الناس

فقال يا أيها الناس إنما صنعت ذلك هذا لتأتوني ولتعلموا صلاتي .

(٣) رواه أحمد والبخاري / نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩٥

" الحديث يدل على وجوب جميع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من الأفعال والأفعال ، ويؤيد كد الوجوب كونها بيانا لمجمل قوله تعالى " واقموا الصلاة - وهو أمر قرآني يفيد الوجوب ، وبيان المجمل الواجب واجب كما تقر في الأصول الا أنه صلى الله عليه وسلم ثبت أنه اقتصر في تعليمهم المسمى صلواته على بعض ما كان يفعلوه ويداوم عليه فعلنا بذلك أنه لا وجوب لما خرج عنه من الأفعال والأفعال لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقر في الأصول بالاجماع " (١)

وهكذا الزكاة فانها مجملة في الآية فبينت السنة أنواعها وأنصبتها

ومقاديرها ، وتعيين ما يركى منها مما لا يركى منها أوضح بيان وأتم تفصيل كما بينت

السنة مجمل قوله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (٢)

حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأخذوا عنه المناسك بقوله " خذوا

عني مناسككم " (٣) وقد ذكر الامام محمد بن نصر المروزي كلاما نفيسا في هذا الباب

أحببت أن أنقله مع طوله لنفاسته ولما يدل عليه من عمق علم علماء السلف وطول

باعتهم في علم الكتاب والسنة وقوة استدلالهم بهما ، قال رحمه الله " وجدت أصول

الفرائض كلها لا يعرف تفسيرها ولا تكثر أديتها ولا العمل بها الا بترجمة

من النبي صلى الله عليه وسلم ، من ذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد

قال الله عز وجل " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " النساء ١٠٣

(١) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩٥

(٢) آل عمران ٩٧/

(٣) رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه والترمذي وابن ماجه واحمد . .

انظر ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج ٢ ص ٢٧١

فأجمل فرضها في كتابه ولم يفسرها ولم يخبر بحددها وأوقاتها
فجعل رسوله هو المفسر لها والمبين عن خصوصها وعمومها وحددها وأوقاتها
وحدودها ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة التي افترضها الله هي
خمس صلوات في اليوم والليلة في الأوقات التي بينها وحددها ، فجعل
صلاة الغداة ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً ، والمغرب ثلاثاً
وأخبر أنها على العقلاء البالغين من الأحرار والعبيد ذكورهم وإناثهم إلا الحيض
فانه لا صلاة عليهن ، وفرق بين صلاة الحضر والسفر ، وفسر عدد الركوع
والسجود والقراءة وما يعمل فيها من التحريم بها وهو التكبير إلى التحليل منها
وهو التسليم ، وكذلك فسّر النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة بسنته ، فأخبر أن الزكاة
أما تجب في بعض الأموال دون بعض على الأوقات والحدود التي حددها وبينها
فأوجب الزكاة في العين من الذهب والفضة والمواشي من الأبل والغنم والبقر
السائمة ، وفي بعض ما أخرجت الأرض دون بعض ، وغنا عن سائر الأموال فلم
يوجب فيها الزكاة ، ولم يوجب فيما أوجبها فيه من الأموال ما لم تبلغ الحدود
التي حددها ، فقال ليس في أقل من خمس أواق صدقه ولا في أقل من خمسة
أونوق صدقة ولا في أقل من خمس ذود صدقة " (١) ولا في أقل من أربعين
من الغنم صدقه " (٢)

ولا في أقل من ثلاثين من البقر " (٣) وبين أن الزكاة إنما تجب على من وجبت عليه
إذا حال عليه الحول من يوم يملك ما تجب فيه الزكاة ، ثم تجب عليه في المستقبل

(١) رواه مسلم " انظر ج ٧ ص ٥٣ مع شرح النووي بلفظ ليس فيما دون ++

(٢)

(٣)

من حول الى حول الا ما أخرجت الأ رضى ، فان الزكاة تؤخذ مما وجبت فيه
الزكاة منه عند الجصاد والحذاد وان لم يكن الحول حال عليه ثم ان بقى بعد
ذلك سنين لم يجب عليه غير الزكاة الأولى ، كل ذلك مأخوذ عن سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير موجود فى كتاب الله بهذا التفسير . . .

وكذلك الصيام قال الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم " (١) فجعل فرض الصيام على البالغين من الأحرار
والعبيد ذكورهم واناثهم الا الحيض فانهن رفع عنهن الصيام فسوى بين الصيام
والصلاة فى رفعها عن الحائض ، وفرق بينهما فى القضاء فأوجب عليهن قضاء
الصيام ورفع عنهن قضاء الصلاة ، وبين أن الصيام هو الامساك بالغزم على الامساك
عما أمر بالامساك عنه من طلوع الفجر الى دخول الليل " (٢)

أنتهى كلام الامام محمد بن نصر المروزي فى تفسيره مجمل القرآن بالنسبة
(٣)

(١) البقرة / ١٨٣

(٢) كتاب السنة للامام محمد بن نصر المروزي ص ٣١ - ٣٢

(٣) هو الامام شيخ الاسلام محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله صاحب التصانيف
الكثيرة والكتب الجمّة ، ولد ببغداد سنة ٢٠٢ هـ ، ونشأ بنيسابور ، وزحل السى
سائر الأعمار فى طلب العلم واستوطن سمرقند ، وكان من أعلم الناس باختلاف
الصحابة ومن بعدهم فى الأحكام ، أخذ عن عبد الله بن عثمان وصدقة بن الفضل
المروزيين ويحيى بن يحيى النيسابورى واسحاق ابن راهوية ، ومن تلاميذه
ابنه اسماعيل وأبو على هبند بن محمد بن على البلخى ومحمد بن اسحاق
الرشادى مات سنة ٢٩٤ بسمرقند تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٦٥٠

تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣١٥

وهو كلام غاية من الحسن والنفاسة ، وقد كان هذا الباب باب تفسير مجمل القرآن بالسنة أكبر سلاح لعلماء السلف في ردهم على الملاحدة ومنكرى حجية السنة روى عبد الله بن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل ١ انك رجل أحق أتجد الظهر في كتاب الله أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال أتجد هذا في كتاب الله مفسراً ان كتاب الله تعالى أبهم هذا وأما السنة تفسر هذا وعن مكحول قال القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن (١)

وعن الأوزاعي قال قال يحيى ابن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة (٢) وقد شرح السيوطي رحمه الله معنى هذا الأثر فقال " والحاصل أن احتياج القرآن الى السنة أنها مبينة له ومفصلة لجهلاته لأن فيه لو جازته كزوزا تحتاج الى من يعرف خباياها فيميزها وذلك هو المنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو معنى كون السنة قاضية عليه وليس القرآن مبيناً للسنة ولا قاضياً عليها لأنها بينه بنفسها اذ لم تصل الى حد القرآن في الاعجاز والايجاز لأنها شرح له وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط فن المشروح (٣) ومن بيان السنة لمجمل القرآن بيان الاجمال الناشئ من غرابة اللفظ في الآية كبيانه صلى الله عليه وسلم لمخالفة بني اسرائيل لأمر الله حيث أمرهم جل وعلا بأن يدخلوا الباب سجداً قائلين " حطة " في قوله تعالى " وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة " فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معاكستهم لأمره تعالى ..

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٩

(٢) الدارص ج ١ ص ١٤٥

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٤٤

(٤) البقرة / ٥٧

ففي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة فدخلوا يزحفون على استأصمهم فبدلوا وقالوا حطة : حبة فى شعرة " (١)

فقد فسر صلى الله عليه وسلم كيفية التبديل فذكر أنهم فعلوا عكس ما أمروا به فدخلوا الباب زاحفين على أستأصمهم ، وقالوا غير ما قيل لهم قولوا فبينما الله سبحانه وتعالى يأمرهم ويلتصمهم بأن يقولوا "حطة" - ومعناها - أئسئلوا الله تحطيط ذنوبهم ، فهم يطلبون منه حبة فى شعرة ..

ومن ذلك تفسير المفضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى " كما روى الترمذى فى جامعه بسنده الى عدى بن حاتم فى قصة اسلامه أنه قال عليه الصلاة والسلام " فان اليهود مفضوب عليهم وان النصارى ضلال " (٢)

وكتفسيره صلى الله عليه وسلم الخيط الابيض ببياض النهار والخيط الأسود بسواد الليل فى قوله تعالى " حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود " (٣) فقد روى البخارى فى صحيحه والامام أحمد فى مسنده بسنديهما الى عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما الخيط الابيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال انك لعريض الفقا ان أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار " وفى رواية أنه رضى الله عنه أخذ

(١) صحيح البخارى ٢٣ / ٦ ومسلم بشرح الامام النووى ١٥٣ / ١٨ والترمذى مع شرح

المباركفورى ٢٩٠ / ٨

(٢) جامع الترمذى بشرح المباركفورى ٢٨٧ / ٨ ومسند الامام أحمد ٣٧٨ / ٤

(٣) البقرة ١٨٧ /

عقلا أسود حتى كان بعض الليل نظرفلم يستبيننا فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادتي الخيطين قال ان وسادك اذا لعريض ان كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادك ^(١) وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى " من الفجر " كما ذكر سهل بن سعد في سبب نزول الآية كما في البخاري أيضا ^(٢) وذلك لأنه لو كانت كلمة " من الفجر " موجودة لما التبس عليه الأمر لأنها توضح أن المقصود من الخيط الأبيض هو الفجر ، والأبيض هو الليل .

وهكذا تفسيره صلى الله عليه وسلم الحساب اليسير بالعرض فسي قوله تعالى " فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ^(٣) فقد روى البخاري بسنده الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أحد يحاسب الا هلك قالت قلت يا رسول الله جعلني الله فداك اليسر يقول الله عز وجل فأما من أتى كتابه بهينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " قال ذاك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك ^(٤)

وكتفسيره صلى الله عليه وسلم القوة بالرسمي حيث قال صلى الله عليه وسلم " ألا ان القوة الرسمى ثلاث مرات " ^(٥) بيانا لقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ^(٦)

(١) صحيح البخارى ٣١/٦ ومسند الإمام أحمد ٣٧٧/٤

(٢) " " ٣٢/

(٣) الاشفاق ٧/

(٤) صحيح البخارى ٢٠٨/٦

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٤/١٣ وسنن أبي داود ١٣/٣ وابن ماجه ٩٤٠/٢ رقم الحديث ٢٨١٣

(٦) الا نفال ٦٠/

وكتفسيره صلى الله عليه وسلم الاخسان بالمراقبة حيث قال عليه الصلاة

والسلام " الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك " (١)

وكتفسيره صلى الله عليه وسلم الطبق في قوله تعالى " لتركن طبقا

عن طبق " (٢) بالأطوار التي يمر بها الانسان ، ففي صحيح البخارى عن مجاهد

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال " لتركن طبقا عن طبق " حالا بعد حال

قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم " (٣) (٤)

وكتفسيره صلى الله عليه وسلم الوسط بالعدالة في قوله تعالى

" وكذلك جعلناكم أمة وسطا " (٥)

فقد روى الامام أحمد رحمه الله بسنده الى أبى سعيد الخدرى

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة

وسطا " قال عدلا " (٦)

وفى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول

(١) صحيح البخارى ٢٤٤/٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥٧/١

(٢) الانشاقق ١٩/

(٣) البخارى ٢٠٨/٦

(٤) وقد استوقعت نظرى هذه العبارة وظننت أن بها سقطا تقد يزه قال ابن عباس

قال هذا نبيكم ويكون الحديث بهذا التقدير مرفوعا الا أنى لما راجعت فتح البارى

عرفت أن الكلمة هي تفسير من ابن عباس قال الحافظ بعدها أى الخطاب له صلى الله

عليه وسلم قراءة فتح الموحدة وعلى قراءة ضم الموحدة فالخطاب للأمة ، وبهذا الا يكون

هذا الا ثمقالا لما أردنا أن نمثل به "

(٥) البقرة ١٤٣/

(٦) انظر المسند ٩/٣

هل بلغت ؟ فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول
من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم
شهيذا ، فذلك قوله تعالى ذكره " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ^(١) والوسط العدل ^(٢) والأمثلة في غير
ذلك كثيرة جدا . . .

تخصيص القرآن بالسنة : ومن طرق بيان السنة للقرآن الكريم تخصيص عموم
القرآن بالسنة كتخصيص عموم حل البيوع في قوله تعالى " وأحل الله البيع ^(٣)
بالسنة حيث أخرجت السنة من عموم حل البيع البيوع الفاسدة وهي كثير كالبيوع
التي فيها الفرر مثل بيع الملامسة وبيع المنابذة المنهس عنهما ، والمنابذة
هي طرح الرجل ثوبه بالبيع الى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر اليه ، وبيع
اللامسة لمس الثوب لا ينظر اليه " وكذلك بيع حبل الحبله وكان يباع يتبايعه
أهل الجاهلية كان الرجل يبتاع الجزور الى أن تتج الناقة ثم تتج التي في بطنها "
وكلها بيوع منهية عنها لما فيها من الفرر . . .

وكتخصيص قوله تعالى " وحرم الربا ^(٤) بالسنة حيث رخصت
في بيع العرايا فعن أبي هريرة رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم رخص في بيع العرايا بخرصها فيما دون خمسة أو ست ^(٥)

(١) البقرة / ١٤٣

(٢) صحيح البخارى ٢٦/٦

(٣) البخارى ٩١/٣

(٤) البقرة / ٢٧٥

(٥) البخارى ٩١/٣

وهكذا خصت السنة عموم آيات المواريث من القاتل والكافر قال عليه
الصلاة والسلام " ليس للقاتل ميراث " (١) وقال صلى الله عليه وسلم " لا يرث
المسلم الكافر ولا الكافر المسلم " (٢) وكذلك الأنبياء فانهم لا يورثون لحديث
عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا نورث ما تركناه
صدقته " (٣)

وآيات تحريم الميتة خصر بالسنة منها الجراد والسماك لحديث
" أحل لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال " (٤)
ومن ذلك تخصيص عموم الظلم بالشرك فى قوله تعالى " الذين آمنوا
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " فان بعض الصحابة فهم أن الظلم يراد منه العموم حتى
قال وأينا لم يظلم نفسه يارسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس
بذاك إنما هو الشرك " (٥)

تقييد مطلق القرآن بالسنة من ذلك قول الله تعالى " السارق والسارقة فاقطعوا
أيديهما " (٥) فاليد تطلق على العضو الى الكوع والى المرفق والى المنكب
فقيدت السنة هذه الاطلاقات كلها بقطع اليد من الرسغ كما أن القطع فيه
اجمال هل المقصود منه الابانة أو الجرح ؟ اذ كل واحد منهما يطلق عليه القطع

(١) أخرجه الدارقطنى انظر الارواء ج ٦ ص ١١٦

(٢) البخارى ١٩٤/٨

(٣) صحيح البخارى ١٨٥/٨

(٤) البخارى ٧١/٦

(٥) المائدة ٣٨

(٦) المسند ج ٢ ص ٩٧

ولا ظهور لواحد عنهما على الآخر فتبين المراد من ذلك بابانة الشارع من الكسوع وتدل أيضا أن القطع يقبت في القليل والكثير لأنها أطلقت السرقة ولم يقيد بها بنسبة معينة من المال فقيدت السنة هذا الاطلاق بأن يكون المسروق ربع دينار فأكثر ولا قطع فيها دون ذلك •

ومن ذلك مسح الكفمن في التيمم فانه تقييد لمطلق مسح الأيدي في قوله تعالى " فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه " (١)

ونختم هذا المبحث وقد أطلنا الأُمثلة في بيان القرآن بالسنة الى حد ما أن السنة الجوية تنقسم الى قسمين قسم هو بيان لمجمل القرآن كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها وكبيانه صلى الله عليه وسلم لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي تؤخذ منه من الأموال •• وكبيانه لمناسك الحج وغير ذلك مما سبق لنا تمثيله ••

والقسم الثاني هو تشريع أحكام مستقلة غير موجودة في القرآن وقد سماه القرطبي رحمه الله بيان الزيادة على حكم الكتاب • (٢)

قال الشوكاني رحمه الله " اعلم أنه قد اتفق من يعتمد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الا انى أوتيت

(١) المائدة ٦/

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٣٩

الكتاب ومثله معه " أى أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التى لم ينطق بها القرآن ، وذلك كتحرير لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر " وأما ما يروى من طريق ثوبان فى الأثر بعرض الأثر حديث على القرآن فقال يحيى ابن معين انه موضوع وضعته الزنادقة وقال الشافعى رحمه الله ما رواه أحد عن يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير ، وقال ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم قال عبد الرحمن بن مهدي الزنادقة والخوارج وضعوا حديث ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته وان خالف فلم أقله وقد عارض حديث العرض قوم فقال وعرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فخالفه لأننا وجدنا فى كتاب الله - " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (١)

قلت وهذا القسم من السنة يرجع أصله الى القرآن الكريم بدليل قوله تعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (٢) وقوله تعالى " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " (٣) وغير ذلك من الآيات التى وردت فى الأثر بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع أقواله وأفعاله وتقريراته ، ومن هذه الحثية يعتبر هذا القسم تفسيراً للقرآن أيضاً فقد روى ابن أبى حاتم رحمه الله بسنده الى مسروق قال جاءت امرأة الى ابن مسعود رضى الله عنه فقالت بلغنى أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشىء وجدت فى كتاب الله تعالى

(١) ارشاد الفحول ص ٢٢

(٢) الحشر / ٧

(٣) آل عمران / ٣١

أوعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال فما وجدت فيه (وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم فاتتھوا) قالت بلى قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت فلعله في بعض أهلك قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح " وما أريد أن خالفكم إلى ما أنهاكم عنه " (١) (٢)

(١) مود / ٨٨

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٢٢

المبحث الثالث

فى تفسير القرآن بأقوال الصحابة

تفسير الصحابة للقرآن الكريم من أقسام التفسير بالمأثور المعتمد عليه عند العلماء وذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم ، قد اجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ونهلوا من معينه الصافى ، وشاهدوا نزول الوحي وعرفوا أسباب النزول مع ما لهم من صفاء النفوس وسلامة الفطرة وعلو المنزلة فى الفصاحة والبيان ، وهذا يؤهلهم من الفهم الصحيح السليم لكتاب الله ، ويجعلهم يدركون أسرار هذا القرآن أكثر من أى إنسان ، وقد عد كثير من العلماء تفسيرهم للقرآن بأنه من قبيل المسند المرفوع قال الحاكم (١) ان تفسير الصحابي الذى شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع وقال فى المستدرک " لعلم طالب الحديث أن تفسير الصحابي الذى شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند " (٢) وقيد الامام النووى فى تقريره أن ذلك هو تفسير الصحابي المتعلق بأسباب النزول فقال " وأما قول من قال تفسير الصحابي مرفوع فذاك تفسير يتعلق بسبب نزول آية أو نحوه وغيره موقوف " (٣) وذكر السيوطى رحمه الله فى شرح كلام الامام النووى هذا بأن الحاكم نفسه صرح بهذا التقييد فقال رحمه الله " ما خصص به المصنف كابن الصلاح ومن تبعهما قول الحاكم قد صرح به الحاكم فى علوم الحديث فانه قال ، ومن الموقوفات ما حدثناه

(١)

(٢) تدريب الراوى شرح تقرير النووى للسيوطى ج ١ ص ٩٢

(٣) تقرير النووى مع شرح السيوطى ج ١ ص ١٩٢

أحمد بن كامل بسنده عن أبي هريرة في قوله تعالى " لواجه للبشر " ^(١) قال
تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحما على عظم قال فهذا
وأشباهه يعد في تفسير الصحابة من الموقوفات ، فأما ما نقول : ان تفسير الصحابة
مسند فالما نقولها في غير هذا النوع ، ثم أورد حديث جابر في قصة اليهود
وقال : فهذا وأشباهه مسند وليس بموقوف فان الصحابي الذي شهد الوحي والتزويل
فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فانه حديث مسند ، فالحاكم أطلق في
المستدرک وخصصر في علوم الحديث فاعتمد الناس تخصيصه ^(٢)

وعلى كل حال فان قول الصحابي الذي شهد الوحي والتزويل في تفسير
القرآن فيه مظنة الرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن فيما
يتعلق بأسباب النزول لأنهم تتلمذوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا
أحواله فلا يبعد أن يكون تفسيرهم الذي يعبرون عنه بلغتهم منقولا عن النبي
صلى الله عليه وسلم بالمعنى وهذا مما يجعل لتفسير الصحابة رضوان الله عليهم
أهمية خاصة لدى العلماء الذين جاءوا من بعدهم ، فقد اهتم علماء التفسير بالمأثور
أقوال الصحابة في تفسير القرآن فتفسير الامام ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما
من علماء التفسير بالمأثور مليئة بتفسير الصحابة والتابعين . . .

والصحابه رضوان الله عليهم ان أجمعوا على تفسير شيء فلا يجوز
الخروج عن تفسيرهم ، وان اختلفوا يتخير من أقوالهم ما يكون أقرب الى الكتاب
والسنة ، وقد وردت آثار كثيرة تدل على اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم وطول باعهم

(١) المدرس ٢٩/

(٢) تدريب الراوى شرح تقریب النووى ج ١ ص ١٩٢

ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماءهم وكبرائهم كالخلفاء الراشدين

وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم جميعا . . .

نماذج من تفاسير الصحابة رضوان الله عليهم :

ذكرنا فيما سبق عن الحاكم " أن قول الصحابي فيما يتعلق بأسباب

النزول له حكم المرفوع وأنه قول الشيخين البخارى ومسلم رحمهما الله ، وهذا

وان كان ادراجه فى فصل تفسير القرآن بالسنة أولى به لأنه من قبيل المرفوع

اذ لا مجال فيه للزأى الا أنا جعلناه فى هذا الفصل لسببين أحدهما لأنه ليس

مرفوعا لفظا وان كان المعنى مرفوعا ، والثانى لأنه يظهر أهمية تفسير الصحابى

وميزته على غيره ، فقد نوه العلماء فى أهمية أسباب النزول فى تفسير القرآن الكريم

فقد بين الامام الواحدى رحمه الله " امتناع معرفة تفسير الآية وقصد

سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها " (١) وقال شيخ الاسلام ابن تيمية

رحمه الله " معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية فان العلم بالسبب

العلم بالمسبب " (٢)

وقال الامام ابن دقيق السعيد رحمه الله " بيان سبب النزول طريق

قوى فى فهم معانى القرآن " (٣) وقال الشاطبى رحمه الله فى الموافقات " معرفة

أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن " (٤)

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٤ الطبعة الثانية بمطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٤٧

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٨

(٤) الموافقات ج ٣ ص ٣٤٧

هذه بعض أقوال العلماء فى التتويه بأهمية أسباب النزول وأن معرفته لازمة لمن أراد فهم كتاب الله ، ومعرفة أسباب النزول متوقفة على النقل عن عاصرا النبي صلى الله عليه وسلم وشاهد أسباب النزول من الصحابة رضوان الله عليهم قال الامام الزركشى رحمه الله " والحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبين المجمال ، ومنه ما لا يتوقف ويكفى فى تحصيله التفقه على الوجه المعتبر " (١)

وقال الامام الواحدى " لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب " (٢) وقول الصحابى فى سبب النزول له حكم الرفح وذلك اذا ذكر سببا نزلت الآيه عقبه وهذه الصورة متفق عليها عند العلماء واختلفوا اذا قال الصحابى " نزلت هذه الآيه فى كذا .

وفى هذا القسم يرد قول الحاكم السابق فى المستدرک " ليعلم طالب الحديث أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند " (٣) وقد قال فى معرفة علوم الحديث " اذا اخبر الصحابى الذى شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا فانه حديث مسند " (٤) قال السيوطى رحمه الله " ومضى على هذا ابن الصلاح وغيره " (٥)

(١)

(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٤

(٣)

(٤) انظر الباب النقول ص ٣

(٥) أسباب النزول للسيوطى ص ٣

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب للنزول ويتراد به تارة أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا وقد تنازع العلماء في قول صاحب " نزلت هذه الآية في كذا هل يجرى مجرى المسند " كما يذكر السبب الذي أنزلت من أجله ، أو يجرى مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند ؟ فالبخارى يدخله في المسند ^(٢) وغيره لا يدخله في المسند ، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند الامام أحمد وغيره بخلاف ما اذا ذكر سببها نزلت عقبه الآية فانهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند ^(٢) وقال الزركشى فسي البرهان " قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم اذا قال نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع ^(٣) "

ويبدو أن الحق مع الحافظ ابن حجر رحمه الله فيما ذهب اليه من أن قول الصحابي فيما لا مجال للرأى والاجتهاد فيه ولا هو منقول عن لسان العرب يعتبر من قبيل المرفوع والا فلا ^(٤) "

وفوائد أسباب النزول ظاهرة كثيرة وعظيمة وقد ذكر منها العلماء

(١) المقصود من المسند المرفوع - أى أن بعضهم يعتبر هذا القول من قبيل

الحديث المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم يعتبره من قول الصحابي وتفسيره وقد تقدم لنا قول الحاكم أنه يجعله من المسند وابن الصلاح كما ذكره السيوطى عنه

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٤٨

(٣) ج ١ ص ٣١ - ٣٢

(٤)

معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، ومنها تخصيص الحكم به عند من لا يرى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فان دخول صورة السبب ، قطع الدخول واخراجها بالا جتهاد ممنوع لا يجوز كما حكى الاجماع عليه القاضى أبو بكر فى التقريب ، ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال "

ولهذا قال الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور " ان من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه لأن فيها بيان مجمل أو ايضاح خفى وموجز ومنها ما يكون وحده تفسيراً ، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التى بها تأويل الآيات أو نحو ذلك " (٢)

ومما ورد من زوال الاشكال بمعرفة سبب النزول استشكل مسروان ابن الحكم فى معنى قوله تعالى " ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم " (٣) وقال لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لعذبنا لجمعهم حتى بين له ابن عباس رضى الله عنه أن الآية نزلت فى أهل الكتاب حين سألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شئ كتبه اياه وأخبروه بغيره وأزوه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك اليه " (٤)

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٨

(٢) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٤٧

(٣) آل عمران / ١٨٨

(٤) الاتقان فى علوم القرآن وهو فى البخارى ٥١/٦

ومكذا زال الاشكال الذي حصل لمروان بن الحكم بمعرفة سبب النزول
الذي أفاده ابن عباس رضى الله عنهما وسلم بذلك من الوقوع في الخطأ فسى
الفهم .

ومثل ذلك حصل لعروة بن الزبير حيث استشكل فهم فرضية السعى
بين الصفا والمروة من قوله تعالى " ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج
البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " (١)

فالأية تنفى الجناح ، ونفى الجناح لا يستلزم الفرضية حتى سأل
خالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما جاء في صحيح البخارى فقال لها
" رأيت قول الله تعالى " ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت
أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " (١٨٥ / البقرة) فوالله ليس على
أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن أخي ان
هذه لو كانت كما أولتها عليه لكانت " لا جناح عليه أن لا يطوف بهما " ولكنها
نزلت في الأ نصارك انوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعيدونها
عند المشلل (٢) ، فكان من أهل المدينة من يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة
فلما أسلموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يا رسول الله انا كنا

(١) البقرة / ١٨٥

(٢) " المشلل " بضم أوله وفتح الشين والتشديد : موضع بقديد من ناحية البحر
وهو الجبل الذي يهبط اليها منه " مقدمة فتح البارى ٢٠٨ / ١ ومشارك
الأنوار للقاضى عياض ٣٩٥ / ١

تخرج أن تطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله " ان الصفا والمروة من شعائر الله "

الآية (١٨٥) قالت عائشة وقد سنن الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما " (٢)

فبمعرفة سبب نزول الآية ارتفاع الاشكال الذي وقع في ذهن عروة بن

الزبير وغيره ممن توهموا عدم فرضية السعى بين الصفا والمروة ، واستقرت عندهم

فرضيته كما بينت عائشة رضى الله عنها "

ومن ذلك قول الله تعالى " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم

وجه الله " (٣) فقد يفهم منها أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة لا فى

السفر ولا فى الحضر ، وهو خلاف الاجماع كما قال السيوطى رحمه الله فاذا عرف

سبب نزول الآية ارتفاع هذا الفهم الخاطىء وتبين الصواب ، فقد أخرج الحاكم

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أنزلت - فأينما تولوا فثم وجه الله " (١١٥) أن

تصلى حيثما توجهت بك راحلتك فى التطوع " وقال صحيح على شرط مسلم (٤)

وبهذا يتبين المقصود من الآية وهو التنقل على الراحلة بأى جهة كانت

وجهتها لا الفريضة فانه لا بد لها من استقبال القبلة وهو شرط من شروطها

لا تصح بدونه ..

ومن فوائد أسباب النزول التى لا غنى لمفسر عنها بيان مبهمات القرآن

وأقصد بذلك بيان أسماء من نزلت فيهم بعض آيات القرآن اذ من المعروف أن

(١) المقصود من السنة فى قول عائشة رضى الله عنها "وقد سن رسول الله صلى الله

عليه وسلم " الخ " السنة بمعنى الفرض أى فرضه بالسنة وليس مراد هانئى فرضيتها

على اصطلاح الفقهاء المتأخرين ويؤيده قولها ، لم يتم الله حج أحدكم ولا عمرته ما لم

يطف بينهما ١٠ انظر فتح البارى شرح صحيح البارى ٤/٢٤٧

(٢) صحيح البخارى ٢/١٩٣ - ١٩٤

(٣) البقرة / ١١٥

(٤) أسباب النزول للسيوطى ص ١٧

القرآن لا يعنى بذكر الأسماء فى حوادث النزول وقد تكون الحكمة فى ذلك قصد تعميم الحكم لصاحب السبب وغيره ، وإذا كان الخلاف بين العلماء فى مسألة هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب ؟

فإنهم كلهم اتفقوا على أن دخول صورة السبب فى اللفظ العام قطعى فلا يجوز اخراجها بأى حال ، فمعرفة تعيين من نزلت فيه الآية توء كد حتمية دخوله فى الحكم وعدم جواز اخراجه عنه ، وأمثلة ذلك كثيرة جدا ، من ذلك قول الله تعالى " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ^(١) " فبمعرفة سبب النزول يتضح أن التى جادلت النبي صلى الله عليه وسلم فى زوجها هى خولة بنت ثعلبة ، وأن زوجها هو أوس بن الصامت " فقد أخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت تبارك الذى وسع سمعه كل شىء انى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول يا رسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر من اللهم انى أشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ، قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وهو أوس بن الصامت ^(٢) " .

ومن ذلك قوله تعالى فى قصة الافك " والذى تولى كبره منهم ليه عذاب عظيم ^(٣) " فمعرفة سبب نزول الآية يعين على معرفة من هو الذى

(١) المجادلة

(٢) لباب النقول فى أسباب النزول ص ٢١١ وأخرجه البخارى معلقا والنسائى بلفظ

آخر انظر جامع الأصول ج ٢ ص ٣٢٩

(٣) سورة النور آية ١١

توتى كبره ؟ حتى لا يحمل على غيره وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول عليه لعائن الله " اخرج البخارى وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن الزهرى قال : كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال الذى تولى كبره منهم على فقلت لا : حدثنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم سمع عائشة تقول ، الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى قال فقال لى فما كان جرمه ؟ قلت حدثنى شيخان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول كان مسيئا فى أمرى" (١)

وقال عبد الله بن أبى شيبه فى مسنده دخل سليمان بن يسار

على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان ، الذى تولى كبره من هو ؟ قال ابن أبى قال كذبت هو على ، قال أمير المؤمنين أعلم بما يقول ، فدخل الزهرى فقال يا ابن شهاب من الذى تولى كبره ؟ فقال ابن أبى ، قال كذبت هو على قال أدا

أكذب لأبأ لك ؟ والله لو نادى مناد من السماء ان الله قد أحل الكذب ما كذبت ثم قال حدثنى عروة وسعيد وعبيد الله وعلقمة عن عائشة أن الذى تولى كبره عبد الله ابن أبى " (٢)

أقول وتظهر أهمية معرفة سبب التزول وشدة الحاجة اليها للمفسر

فيما اذا حاول شخص أن يحمل الآية على غير من نزلت عليه كالحالة السابقة

(١) سورة النور آية ١١

(٢) نفس المصدر السابق

حيث حاول كل من الوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك أن يحمل الآية على غير من نزلت عليه وهو على بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أن محاولتهما باءت بالفشل. عندما ذكر سبب نزولها الحقيقي . .

ويشبه هذه القصة قصة عبد الرحمن بن أبي بكر مع مروان بن الحكم

فقد أخرج البخاري عن يوسف بن مامك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال لله عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقد روا عليه فقال مروان ان هذا الذي أنزل الله فيه "والذي قال لوالديه أف لكما أتعد انى" (١) فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى" (٢)

وقد فسر الشيعى الذى قاله عبد الرحمن بن ابي بكر لمروان فى

رواية ابي يعلى وابن ابي حاتم من طريق اسماعيل بن ابي خالد - قال - حدثنى عبد الله المدنى قال كنت فى المسجد حين خطب مروان فقال ان الله قد رأى أميرالمؤمنين رأياً حسناً فى يزيد ، وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر فقال عبد الرحمن هرقليه ؟ ان أبا بكر والله ما جعلها فى أحد من ولده ولا فى أهل بيته ، وما جعلها معاوية الا كرامة لولده (٤)

(١) السبب فى عدم قدرتهم عليه لما لعائشة من الاحترام والا جلال والمرعاة لحقها

(٢) الأُحلاف ١٧/

(٣) صحيح البخارى ١٦٧/٦

(٤) فتح البارى ١٠/١٩٨

وهذه الأمثلة التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكر تكفى دلالة

لبيان أهمية معرفة سبب النزول وأنه من أحسن الطرق لبيان معاني القرآن الكريم
وبه تتبين أهمية تفاسير الصحابة رضوان الله عليهم لأنه أهم جزء من تفاسيرهم
للقرآن حتى قال العلماء إنه مرفوع أوله حكم الرفع كما سبق بيانه .^(١)

ولأهميته فقد أفرد العلماء بالتأليف ، وكان أول من ألف

فيه شيخ البخارى على بن المدينى المتوفى سنة ٢٣٤ هـ ومن أشهر الكتب التي
ألفت فيه والمتداولة بين الناس

أسباب النزول للواحدى أبى الحسن على بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

وكتاب لباب النقول فى أسباب النزول للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن

أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وغيرها مما ألف فيه كثير .

أما ما يتعلق من تفاسير الصحابة بشرح ألفاظ القرآن الغربية أو بيان التراكيب

المشكلة أو استنباط الأحكام منه فأكثر من أن تحصر ، ويكفى أن نذكر فى ذلك أمثلة

من التفاسير اللغوية لعبد الله بن عباس إذ هو ترجمان القرآن ، والمعترف له

بالتبحر فى فن التفسير من بينهم حتى قال فيه ابن مسعود " نعم ترجمان القرآن

ابن عباس " ^(٢) وقد قال السيوطى رحمه الله فى نوع " معرفة غريب القرآن " من

" اتقائه " وهو فى صدق الكلام عن بيان أهمية معرفة اللغة للمفسر - قال -

بعد ذكره لأهم المراجع اللغوية فى ذلك " وأولى ما يرجع اليه فى ذلك ما ثبت

عن ابن عباس رضى الله عنه وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب

تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة .

(١) ص ١٣٢

(٢) جامع البيان فى تأويل القرآن للطبرى ج ١ ص ٣١

ثم قال رحمه الله " وما أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة خاصة فانها من أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبا لها على السور ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي (ح) وقال ابن جرير حدثنا المثنى قالا حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى "يؤمنون" (١) قال يصدقون يعمهمون — يتهادون — مطهرة — من القذر والأذى ، الخاشعين (٢) (٣) (٤) — المصدقين بما أنزل الله و" في ذلكم بلاء" (٥) نعمة ، وفومها (٦) (٧) — الحنطة

(١) ورد كلمة يؤمنون " في الآية ٣ من سورة البقرة

(٢) " ويعمهمون " في قوله تعالى " الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم

يعمهمون " البقرة / ١٥

(٣) البقرة / ٢٥ في قوله تعالى " ولهم فيها أزواج مطهرة "

(٤) البقرة / ٤٥ وصي قوله تعالى " وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين "

(٥) البقرة / ٤٩ وصي قوله تعالى " وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم "

(٦) والتفسير الذي رأيته معزوا الى ابن عباس في فتح القدير للشوكاني هو

أنه قال " نقمة " بدل نعمة هنا ، انظر فتح القدير ج ١ ص ٨٤

(٧) البقرة / ٦١ وهو قوله تعالى " واذ قلتم يا موسى لن يصبر على طعام

واحد فإدع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها

وعدسها ويصلها "

" الا أمانى " (١) - أحاديث " قلوبنا غلف " (٢) فى غطاء ، ما ننسخ من آية " (٣)
بديل ، " أو ننسها " (٤) نتركها فلا تبدلها ، " مثابة " (٥) يثوبون اليه ، ثم
يرجعون ، حنيفا ، حاجا ، شطره " (٦) نحوه " . . . " (٨) الى آخر ما أورد فى هذا
الباب فان استيعابه غير ممكن ، وفى القدر المذكور كفاية لمن الباقى . . .

والحاصل أن تفسير الصحابة لا ينبغى العدول عنه سواء هـ

ما كان يتعلق بأسباب النزول الذى قيل فيه ان له حكم الرفع أو ما كان يتعلق
منه بتفسير الغريب أو استنباط الأحكام لأن الله سبحانه وتعالى مدح من
اتبعهم باحسان فى قوله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
والذين اتبعوهم بأحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم " (٩) فى هذه الآية الكريمة

(١) البقرة / ٧٨ وهى قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى "

(٢) البقرة / ٨٨ - وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليل ما يؤمنون "

(٣) البقرة / ١٠٦ - ما ننسخ من الآية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها "

(٤) البقرة / ١٢٥ - واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمانا "

(٥) البقرة / ١٢٥ قل بل ملأه ابراهيم حنيفا "

(٦) البقرة / ١٤٤ - " فول وجهك شطر المسجد الحرام "

(٨) الاتقان ج ١ ص ١١٤

(٩) التوبة / ١٠٠

ثناء من الله سبحانه وتعالى لمن اتبع الصحابة باحسان، ووعد من الله سبحانه
بأن يدخلهم الجنة وما ذلك الا لأنهم حملوا العلم الصحيح عن مدرسة النبوة ونهلوا
من معينها الصافي، كيف يسوغ لتأخر أن يعدل عن طريقتهم في فهم كتاب الله
ان صح السند اليهم ؟ ومن يكون قدوته ان تركهم ؟ أيقن يمين دونهم في
العلم والفهم والورع ؟ أم يتبع هواه وما يتخيله " أنه صحيح بدون سند
ولا سلف والله المستعان وهو الهادي الى سواء الصبيل •

المبحث الرابع

تفسير القرآن بأقوال التابعين

الطريق الرابع من الطرق التي اعتمد عليها علماء التفسير بالمأثور فسى تفسير القرآن الكريم هو التفسير بأقوال التابعين ، وذلك اذا لم يوجد التفسير من القرآن نفسه أو من السنة أو من أقوال الصحابة وذلك لأن التابعين هم تلاميذ الصحابة الأئمة وناقلا علومهم الى من بعدهم ، وقد كان من بينهم شخصيات نبغوا نبهاً أخذوا جميع علم التفسير عن الصحابة رضوان الله عليهم يدل ذلك ماورد عن مجاهد بن جبر رحمه الله أنه قال " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة " (١) وروى عنه أيضا أنه قال " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأل فيم نزلت وكيف نزلت " (٢) وعن أبي مليكة قال رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فقال ابن عباس أكتب حتى سأله عن التفسير كله "

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٢

(٣) وقد وفق الدكتور الذهبي بين الروايتين فقال " ولا تعارض بين هاتين الروايتين ، لأن أخبار القليل لا ينافي أخبار الكثير ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة لتمام الضبط ودقة التجويد وحسن الأداء وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلبا لتفسيره ومعرفة ما دق من أسواره وخفى من معانيه كما تشعر بذلك ألفاظ الرواية " التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٠٤

(١) ولهذا كان الامام الثوري يقول " اذا جاء من التفسير عن مجاهد فحسبك به "

وقد اعتمد البخارى تفسيره فى جامعه الصحيح وأكثر من النقل عنه مع ما عرف عنه من التحرى فى الصححة فى جامعه ، وهذه تعتبر أكبر شهادة من الامام البخارى على علم مجاهد لكتاب الله وثقته وعدالته .

وهكذا سائر تلاميذ ابن عباس كسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس وطاووس بن كيسان اليمان ، وعطاء بن أبى رباح فانهم كلهم كانوا بمكانة عظيمة من العلم بكتاب الله . . .

وهكذا تلاميذ ابن مسعود رضى الله عنه كعلقمة بن قيس ومسروق ابن الاجدع ، والاسود بن يزيد ، ومرة الهمداني وعامر الشعبي ، والحسن البصرى ، وقتادة بن دعامة السدوسي وكذلك تلاميذ أبى بن كعب مثل يزيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظى ، فان هذه المدارس الثلاثة كانت أشهر المدارس فى عهد التابعين بالتفسير وهى مدرسة ابن عباس بمكة ومدرسة أبى بن كعب بالمدينة ، مدرسة عبد الله بن مسعود بالعراق ، وكانت مدرسة ابن عباس أهم هذه المدارس وذلك لمكانة ابن عباس رضى الله عنه فى التفسير ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى هذا المبحث " اذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجح كثير من الائمة فى ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه آية فى التفسير كما قال محمد ابن اسحاق حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمه أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها .

وبه الى الترمذى قال حدثنا حسين بن مهدى البصرى حدثنا عبد الرزاق عن
معمربن قتادة قال : ما فى القرآن آية الا قد سمعت فيها شيئا ، وبه اليه قال :
حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان بن عيينه عن الأعمش قال قال مجاهد لو كنت
قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت
وعن ابن ابي مليكة قال رأيت مجاهدا سأل عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال
ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ، ولهذا كان سفيان الثورى يقول
إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس
وعطاء بن ابي رباح والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب
وأبى العالية والربيع ابن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم ممن
التابعين ٠٠٠ ثم نقل رحمه الله قول شعبة بن الحجاج فى عدم حجية أقوال
التابعين فى التفسير فقال - قال شعبة بن الحجاج وغيره " أقوال التابعين
فى الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير ؟ يعنى أنها لا تكون حجة
على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب فى كونه
حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم
ويرجع فى ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة
فى ذلك " (١)

والخلاصة أن تفسير القرآن بأقوال التابعين طريق مهم اعتمد عليه علماء السلف
فى تفسير القرآن فلا ينبغى اللجوء الى الرأى المجرى مع وجود أقوالهم إذا صح
سند هذه الأقوال اليهم " والله أعلم .

المبحث الخامس

مزية التفسير بالمأثور وتطرق الضعف اليه

لا شك أن التفسير بالمأثور يتميز عن غيره بأنه يعتمد على النقل الموثق بالأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو التابعين وتابعيهم من أهل القرون المضلة ، وقد كانت هذه الطريقة عمدة العلماء في عهد السلف ثم كانت أيضا عمدة علماء أهل الحديث في كل عصر فمنها ينهلون وعليها يعولون ويعتمدون وبها كانت ثقتهم ، فلا يعدلون بها طريقة ، ولا يثقون بالاجتهادات والقياسات والآراء في فهم كتاب الله إلا حين تعوزهم الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم منقولة عنهم بالأسانيد .

وقد أجمعت كلمة العلماء الذين يعتمد قولهم في الدين على أفضلية هذه الطريقة على غيرها في تفسير القرآن الكريم بل اقتصر كثير منهم عليها وتوقف في جواز غيرها .

قال ابن عطية رحمه الله " كان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون القرآن ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم مع ادراكهم وتقدمهم ، قال أبو بكر بن الأنباري " وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن ؟

فبعض يقدراً أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل ، فيحجم عن القول ، وبعض يشفق من أن يجعل في التفسير ما يبني على مذهبه ويقتضي طريقه ، فلعل متأخرا أن يفسر حرفا برأيه ويخطئ فيه ويقول أما من في تفسير القرآن بالرأى فلان الامام من السلف " (١)

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٤

بل قد بلغ تعظيمهم للعلم المعتمد على الآثار مداه حين فسروا
الفرقة الناحية بأنهم أهل الحديث في حديث " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون
على الحق حتى تقوم الساعة ؟ قال يزيد بن مارون ان لم يكونوا أصحاب الحديث
فلا أدرى منهم ؟ " (١) وقال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث (٢)
وعن أحمد بن حنبل رحمه الله " ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من
هم ؟

وعن أحمد بن منان وقد ذكر حديث : لا تزال طائفة من أمتي على
الحق " فقال هم أهل العلم والآثار ، وقال : على بن المديني " هم أهل
الحديث وقال البخاري " هم أصحاب الحديث " (٤)

هذه هي طريقة علماء السلف في تشييد هم لعلم الأثر والتفسير
المأثور ولم يكتفوا في بيان فضل الاعتماد على المأثور بل نعو على كل من يعتمد
في تفسيره للقرآن على الرأي والقياس وأعرض عن الاعتماد على الآثار وكان المقصود
في معظم رد هم الفرق الضالة الموهلة في الاعتماد على الرأي والمعرضة
عن التمسك بالسنة وآثار السلف الصالح مما جعلهم في الاتجاه المنحرف عن طريق

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٧

(٤) أنظر هذه الآثار كلها ص ٢٧ من شرف أصحاب الحديث

أهل الحق والايمان كما أن ردودهم كانت موجهة الى طائفة من أهل السنة
غلب عليها الاعتماد على القياس والرأى وللمدر علماء السلف فى ذودهم عن
حياض السنة والاسلام ..

فقد صدق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا
العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين " (١)

فقد وقفوا ضد هؤلاء الذين أشار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم
ونفوا تحريفاتهم وغلوهم وتأويلاتهم الباطلة وحموا حوزة الاسلام من كل متحامل
فى التأويل والتحريف . حتى بقيت السنة واضحة المعالم " ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حى عن بينة " (٢)

وهنا ينبغى ملاحظة مفهوم الحديث السابق " وتأويل الجاهلين "
فانه يدل على أنهم لا ينفون تأويل العالم بل ينفون تأويل الجاهلين لأن تأويل
العالم مبني على العلم وعلى القواعد والأصول ، أما الجاهل فليس عنده قواعد
ولا علم حتى يراعيها عند ما يضطر الى التأويل ..

أما الذى يبنى فكره على الغلو ، والذى ينتحل : ابطال
النصوص بقصد فهو هؤلاء لا مفهوم لهم فيجب نفي انتحالاتهم عن النصوص والصد

(١) شرف اصحاب الحديث ص ١١ بتحقيق د . محمد سعيد خطيب أوغلى

(٢) سورة الأنفال آية ٤٢

دون وصولهم الى مقصودهم وغايتهم فسبحان الله ما أروع البيان النبوي الكريم
فكان الحديث تناول أصناف المتلا عيين بالنصوص معوجزة لفظه ، وهذا من
جوامع الكلم الذي أوتيته صلى الله عليه وسلم . . .

هذا ونختم المبحث بكلام للحافظ الخطيب البغدادي يدل بحق
على مدى ما عانا علماء الحديث في المدافعة عن السنة ومحافظة النصوص عن
تلاعب الموءولين والمخرفين وأحلام المحتكمين الى الأراء الفاسدة واشاداتهم
بمن يتمسك بالسنة ومترلة أهل الأثر وحملة لواء السنة .

قال رحمه الله " ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه
من العلوم وطلب سنن رسول رب العالمين واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين
لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه . . .
لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد
والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين والخبار عن صفات الجنة
والنار وما أعد الله تعالى فيهما للمتقين والفجار وما خلق الله في الأرضين
والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ، ونعت
السايفين والمسبحين ، وفي الحديث قصص الأنبياء وأخبار الزهاد والأولياء
ومواعظ البلغاء وكلام الفقهاء وسير ملوك العرب والعجم وأقاصيص المتقدمين من
الأمم وشرح مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه وحمل أحكامه وقضاياه
وخطبه وعذاته وأعلامه ومعجزاته وعدة أزواجه وأولاده وأصحابه وذكر
فضائلهم ومآثرهم وشرح أخبارهم ومناقبتهم ومبلغ أعمارهم وبيان أنسابهم . . .
وفيه تفسير القرآن العظيم وما فيه من النبأ والذكر الحكيم وأقاويل الصحابة في الأحكام
المحفوظة عنهم وتسمية من ذهب الى قول كل واحد منهم من الائمة الخالفين

والفقهاء المجتهدين وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة ، ومدم بهم
كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله من خليفته ، والواسطة بين النبي صلى الله
عليه وسلم وأمتة والمجتهدون في حفظ ملته أنوارهم زاهرة وفضائلهم سائرة وآياتهم
باهرة ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز الى هوى ترجع اليه
أو تستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ، فان الكتاب عدتهم
والسنة حجتهم والرسول فئتهم واليه نسبتهم لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون
الى الآراء يقبل منهم ما رووا عن الرسول وهم المؤمنون عليه والعدول ، حفظا لدين
وهزنته وأوعية العلم وحملته ، اذا اختلف في حديث كان اليهم الرجوع فما حكموا به
فهو المقبول المسموع — الى أن قال وكل مبتدع بأعتقادهم يتظاهروا على الافصاح
بغير مذاهبهم لا يتجاسروا من كادهم قصمه الله ومن عادهم خذلهم الله لا يضرهم
من خذلهم ولا يفلح من اعتر لهم المحتاط لدينه الى ارشادهم فقير وبصر الناظر
بالسوء اليهم حسير وان الله على نصرهم لقدير" (١)

وقال رحمه الله في مكان آخر : " قد جعل رب العالمين الطائفة
المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين
واقفائهم آثار الصحابة والتابعين فشانهم حفظ الآثار وقطع المغاوير والقارور كروب
البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى ، لا يعرجون عنه الى
رأى ولا هوى ، قبلوا شريعته قولا وفعلا وحرسوا سنته حفظا ونقلا حتى ثبتوا
بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها ، وكم من ملحد يروم ان يخلط بالشريعة

(١) شرف اصحاب الحديث ص ٧ — ٩

ماليس منها والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها فهم الحفاظ لأركانها
والقوامون بأمرها وشأنها اذا صد . عن الدفاع عنها ، فهم دونهما يناضلون أولئك
حزب الله ألا ابن حرب الله هم المفلحون " (١)

هذا هو كلام الحافظ الخطيب البغدادي في بيان دور أهل الحديث
في ذبهم عن السنة ، وقد أطلت في نقله لما رأيت فيه من النفاسة والدلالة
على المقصود الذي سقنا من أجله .

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١٠

مآخذ التفسير بالمأثور وتطرق الضعف اليه

بعد ذكر قيمة التفسير بالمأثور وميزته وكيف أنه كان عمدة علماء السلف وأهل الأثر في كل عصر نذكر هنا بعض الملاحظات عليه ومن أين يأتي اليه الخلل ؟ ليكون كل من يتصدى لتفسير القرآن على الحذر من الوقوع في تلك المآخذ وخاصة من يعتمد في تفسيره على المأثور .

يتطرق الخلل والمآخذ الى التفسير بالمأثور من جهة الاعتماد على الروايات الضعيفة والموضوعة والاسرائيليات . وهذه الأمور الثلاثة هي مظنة تطرق الخلل الى التفسير بالمأثور فان سلم منها فهو الطريقة المثلى في تفسير القرآن الكريم . .

ولنبداً في تعريف الألفاظ الثلاثة . .

الضعيف والموضوع والاسرائيليات ليكون القارئ على علم بكل واحد منها .
الرواية الضعيفة هي التي لم تتوفر فيها شروط الرواية الصحيحة ولا شروط الرواية الحسنة، فتعريف الصحيح هو ما رواه العدل الضابط متصل الاسناد غير معمل ولا شاذ .

والحسن هو ما رواه عدل خفيف الضبط متصل الاسناد بغير علة ولا شذوذ .
والضعيف هو ما لم تكن فيه شروط الصحيح ولا الحسن

اما الموضوعات فهي جمع موضوع اسم مفعول وهو في اللغة مأخوذ عن وضع الشيء يضعه وضعاً اذا حطه وأسقطه أو عن وضعت المرأة ولدها اذا ولدته ، وأما في اصطلاح ائمة الحديث فالموضوع هو الحديث المخلوق المصنوع ، المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على من بعده من الصحابة والتابعين ، لكنه

إذا أطلق ينصرف الى الموضوع على النبي صلى الله عليه وسلم وأما الموضوع على غيره فيقيد فيقال مثلا : موضوع على ابن عباس ، أو على مجاهد مثلا والمتاسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى ظاهرة * .

أما على المعنى اللغوي الأول ، فلا ته منحط مما قطف عن الاعتبار وأما على الثانى فلما فيه من معنى التوليد والتسبب فى الوجود ، والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان :

١ - أن يوضح الواضح كلاما من عند نفسه ثم ينسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم
أوالى الصحابى أو التابعى *

٢ - أن يأخذ الواضح كلاما لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء ، أو يروى فى الاسرائيليات ، فينسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليروج وينال القبول ، مثال ما هو من قول الصحابة :

ما يروى من حديث " أحبب حبيبك هو نا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هو نا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما " فالصحيح أنه من قول الامام على رضى الله عنه *

ومثال ما هو من قول التابعين حديث " كن - كانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تنزل .. فهو من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله ومثال ما هو من كلام الحكماء المعدة بيت الداء والحمية رأس كل داء " فهو من قول الحارث بن كلدة طبيب العرب

ومثال ما هو من الاسرائيليات " ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن " قال الامام ابن تيمية هو من الاسرائيليات وليس له أصل معروف عن

النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم والى الصحابة والتابعين كثير من الاسرائيليات فى بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية

معنى الاسرائيليات :

الاسرائيليات جمع اسرائيلية نسبة الى بنى اسرائيل ، والنسبة فى

مثل هذا تكون لعجز المركب الاضافى لا لصدوره "

واسرائيل هو يعقوب عليه السلام - ومعناه عبد الله وقد ذكر

الامام الشوكانى أن ذلك محل اجماع المفسرين (١)

وبنى اسرائيل هم أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد الى

عهد موسى ومن جاء بعده من الانبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد

نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد عرفوا باليهود أو بيهود من قديم

الزمان ، أما من آمن بعيسى : فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى ، ومن آمن

بخاتم الانبياء ، فقد أصبح فى عداد المسلمين ، ويعرفون بمسلمى أهل الكتاب (٢)

عداء بنى اسرائيل للمسلمين :

قد أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه عداء بنى اسرائيل للمسلمين

وأنه عداء بلغ غايته يريدون الكيد للمسلمين بكل وسيلة تمكنهم ، ذكرنا الله ذلك

فى عدد من آيات كتابه المبين من ذلك قول الله تعالى مخاطباً نبيه وخليطه

محمد صلى الله عليه وسلم " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " (٣)

فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة عن اليهود والنصارى

وعن مكائدهم وأعلمنا أن الغاية من تدبير مكائدهم ونصب عدائهم لنا هو شىء واحد

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٧٣

(٢) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور أبى شهبة ص ٢١

(٣) البقرة / ١٢٠

وهو أن تكون تبعاً لهم في دينهم ، ولا يمكن أن يحصل الوفاق أو المودة والرضا
بيننا وبينهم حتى يتحقق لهم هذا الهدف باتباع ملتهم لتكون لهم عبداً ويكونوا
لنا سادة بذلك . . .

وقد أخبرنا سبحانه وتعالى في آية أخرى عن شيء من وسائلهم
الخبثية لصرف المسلمين عن دينهم أو تشكيكهم فيه على الأقل قال تعالى
" وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار
وأكفروا آخره للعلم يرجعون " (١)

وجه النهار هو أوله ومقصودهم في ذلك هو تشكيك المسلمين في
دينهم قال الحافظ ابن كثير ، رحمه الله " هذه مكيدة أرادوا ليلبسوا على
الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أو ل
النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم
ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم إطلاعهم على نقيصه وعيب في
دين المسلمين ، ولهذا " قالوا لعلمهم يرجعون " (٢)

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى في آية أخرى أنهم متفاوتون في عدا
المسلمين وأن اليهود والمشركين أشد عداً للمسلمين من النصارى . قال تعالى
" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين وربابنا وأنهم
لا يستكبرون " (٣)

(١) آل عمران / ٧٢

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٣

(٣) المائدة / ٨٢

قال الشوكاني رحمه الله " والمعنى فى الآية أن اليهود والمشركين عليهم لعائن الله أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين وأصلهم فى ذلك وأن النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين " (١)

وقال الحافظ ابن كثير فى تحليل شدة عداوة اليهود التى أشارت إليها الآية و" ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباينة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيرا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجر مرة ، وسموه وسحروه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة " (٢)

وقال فى تفسير قوله تعالى " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى " أى الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهجنا نحلتهم فيهم مودة للاسلام وأهلها فى الجملة " (٣) تلك هى حكاية عداوة اليهود للمسلمين وهى لم تنف عند هؤلاء الذين كانوا فى وقت نزول القرآن الكريم بل امتدت خيوط هذه العداوة التى بدأت مع بعثة الرسالة المحمدية الى يومنا هذا ولا يزالون يحاولون بكل وسيلة متاحة لهم اقصاص المسلمين عن دينهم مرة بالقاء الشبه فى قلوب ضعاف المسلمين فى صحة بعض القضايا التى تضمنها القرآن الكريم ومرة بادعاء أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله الى غير ذلك من مكائدهم الخبيثة . .

(١) فتح القدير ج٢ ص ٦٧

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٨٥

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٨٦

هذا وكان على المسلمين بصفة عامة والمفسرين لكتاب الله بصفة خاصة

أن يقفوا من هؤلاء - الذين أخبر كتاب الله عن مكائدهم وعدائهم للمسلمين -

موقف الحذر والحيطه في كل شئونهم وخاصة فيما يتعلق بكتاب الله الذي لا يأتيه

الباطل بين يديه ولا من خلفه "

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن كتابهم عراه ما عراه من التحريف

والتبديل والتغيير من قبل علمائهم . .

قال تعالى " وان منهم فريقا يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب

وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله

الكذب وهم يعلمون " (١)

وقال تعالى " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من

عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " (٢)

فأخبرت هذه الآيات بأنهم تلاعبوا بكتابهم حسب أهوائهم فحرفوا وغيروا وبدلوا

كل ما لا يتفق مع أهوائهم كصفة النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يرجعون إلى

أصل صحيح وان نقلوا إلينا منه فسينقلون إلينا بما فيه من التحريف والتبديل

ولم يكن من طبعهم تحرى الصدق والصواب .

فدواعي الحذر منهم متوفرة من كل جهة وباعث الشك في نقلهم موجود

وما يدعوا إلى صون تسديد صفحات كتاب الله من نزاهاتهم وأباطيلهم كثير فليت بعض

علماء التفسير وقفوا موقف الحذر من تلك الروايات وسدوا تلك المداخل على

أعداء المسلمين . .

(١) آل عمران آية ٧٨

(٢) البقرة / ٧٩

ولعل عذر علماء التفسير بالمأثور على الأخصر أنهم كانوا يذكرون القصة بسندها
فيخرجون بذلك من العهدة لأن من أسند اليك فقد أحالك مع تمسكهم بحديث
" حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج " وكان بالامكان فى عهدهم التمييز بين
الصحيح وغيره لعمن عنده السند ولم يكن فى بالهم ان الامر يصل الى ما وصل
اليه اليوم عند اكثر المسلمين من التمسك بكل ما هو مكتوب من غير فرق بين الصحيح
والضعيف والموضوع والطيب والخبيث قالوا جب على علماء التفسير فى هذا
العصر أن يجر دوا كتب التفسير من هذه الروايات حتى ينهل الجيل من منهل
صاف ليس فيه دخن ولا كدر ، وهذه أمانة فى أعناقهم يسئلون عنها يوم القيامة
كل على حسب علمه ومقدرته للاقيام بهذا العمل . .

أقسام الاسرائيليات

وقد قسم العلماء الاسرائيليات الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم شهد شرعاً بصدقه وثبوته ، وهذا القسم لسنا بحاجة اليه استغناءً

بما عندنا . . .

٢ - وقسم شهد شرعاً ببطلانه وهذا القسم مردود ولا تجوز حكايته الا على

سبيل الانكار والابطال .

٣ - وقسم لم يشهد شرعاً بصحته ولا ببطلانه ، وهذا القسم هو المعنى بالا ذن

النبوى بقوله صلى الله عليه وسلم " حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج "

مع التقييد بأن يكون ذلك حكاية مجردة بدون تهديد ولا تكذيب كما جاء

في حديث أبي هريرة في البخارى قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة

بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالذى أنزل الينا

وما أنزل اليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون (١)

وقد وقف المفسرون فى تطبيق هذه القاعدة نحو الاسرائيليات مواقف

متباينة فمنهم من تساهل فى التزامها وتطبيقها فى تفسيره ومنهم من طبقها والتزم

بها وصان بذلك تفسيره من شر الاسرائيليات وأحسن مثال لتطبيق هذه القاعدة

هو الحافظ ابن كثير فإنه وقف من الاسرائيليات موقفاً تنهت أن يكون سائر المفسرين

قد وقفوه . . .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١٦

قال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى " في سورة الانبياء
" ولقد آتينا ابراهيم رشده " من قبل وكنا به عالمين " (١) قال يخبر تعالى
عن خليفه ابراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه
الحق والحجة على قومه كما قال تعالى " وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه " (٢)
وما يذكر من الأخبار في ادخال أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج به
بعد أيام فنظر الى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصة كثير من المفسرين
وغيرهم فعامتها أحاديث بنى اسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن
المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئا من ذلك ، ودناه وما ليس
فيه موافقة ولا مخالفة لا صدقة ولا نكذبه بل نجعله وقفا وما كان من هذا
الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة
فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائده تعود على المكلفين
في دينهم ! بيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة والذي نسله في هذا التفسير
الاعراض عن كثير من الأحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل
عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقه عندهم بين صحيحها
وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة " (٣)
وقال رحمه الله في قصة داود في سورة (ص) " قد ذكر المفسرون ما هنا قصة
أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب أتباعه

(١) الانبياء / ٥١

(٢) الانعام / ٨٣

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٨١

ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا " (١)

وهكذا فعل رحمه الله في قصة ذي القرنين وبأجوج ومأجوج حيث وجه النقد إلى القصة فأبطل الباطل وأثبت الحق قال " وقد أورد ابن جرير رحمه الله ما هنا والأُموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءوا به ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الاسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدور أي أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول وتكازر ورفع لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني اسرائيل والعجب أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة، وذلك غريب منه " (٢) وقد ذكر كلاما طويلا يبين فيه نكازة هذه القصة اقتضرت منه على القدر المتعلق بناحية السند

وقد انتقدها أيضا من الناحية التاريخية إلا أني تركتها خشية الإطالة .

وقال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى " وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " (٣) في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال رحمه الله " ذكر ابن أبي حاتم " وابن جريرها هنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها، وقد روى

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣١

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٠٠

(٣) الاحزاب / ٢٧

الامام أحمد ما هنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس
رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقها أيضا ^(١) ^(٢) وهذا القدر يكفي مثلا لمنهج
هذا الامام العظيم في الاسرائيليات فانه رحمه الله مشى على المنهج المستقيم
في الاسرائيليات والموضوعات منهج نهج علماء الحديث في النقد فأبطل ما فيها
من الباطل بالأدلة ، وأعرض عن ايراد كثير منها لعدم فائدتها فجزاه الله عنا
وعن جميع المسلمين خيرا الجزاء ..

هذا ومع هذه الوقفة المشرفة للحافظ ابن كثير من الاسرائيليات
في تفسيره العظيم فقد انتقده العلامة الشيخ أحمد شاكر لا يراده بعض
الاسرائيليات من النوع المأذون فيه في الحديث " حدثوا عن بنى اسرائيل
ولا حرج " في تفسيره فقال رحمه الله " ان اباحة التحدث عن بنى اسرائيل
فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه لشيء وذكر ذلك في تفسير القرآن
وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو تفصيل
ما أجمل فيها شيء آخر ، لان في اثبات مثل ذلك بجواز كلام الله ما يوهم أن
هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما
أجمل فيه وحاشا لله ولكتابه من ذلك ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩١

(٢) ايراد قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينا ب أولى في الموضوعات من
اقحامها في الاسرائيليات لأنها من تلفيق أعداء الاسلام بعد عهده عليه الصلاة
والسلام ولا يبعد أن يكون لأهل الكتاب مشاركة في تليقها وترويجها ..

— اذ أذن بالتحديث عنهم — أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فأى تصد يـسـق
لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن يقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير
والبيان ، اللهم غفرا (١)

والحق أن كلام الشيخ أحمد شاکر رحمه الله كلام وجهه جدا
ومقصوده هو صيانة كتاب الله من أى وجود لأى أثر من الآثار الاسرائيلية سواء
كانت من النوع المأذون فيه أو من الأنواع الأخرى ، لأن الاذن فى التحديث
عن بنى اسرائيل شىء ، ووضع رواياتهم بجانب الآيات القرآنية لتكون تفسيرا لها
شىء آخر ..

ولا سيما فى هذا العصر الذى قل فيه التمييز بين الحق والباطل
والغث والسمين وكثرفيه الاعتماد على كل مكتوب ..

فالأولى فى هذا العصر تجريد التفسير من الروايات الاسرائيلية
ولعل العلماء يقومون بهذا الواجب ويحولون بذلك بين الناس وبين التعليق
بالخرافات الاسرائيلية ، وابن كثير معذور فى ذلك ..

والحاصل أن التفسير بالمأثور قد داخله الخلل من جهة
هذه الروايات التى لم يصرح اسنادها الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى من
نسبت اليه عن الصحابة والتابعين كما يدخل اليه من تلك الروايات الاسرائيلية

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ج ١ ص ١٥٠

التي يسوقها نفر من مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأُخبار ووهب ابن منبه
وغيرهما فربما ينقل هؤلاء القوم من الاسرائيليات ماله اتصال بتفسير بعض
الآيات من قصص القرآن ويتلقاها بعض المفسرين دون أن يعوا بتحصيها
والتثبت في صحة روايتها فمن واجب الكاتب في التفسير أن يتوجه الى تحصيل
الروايات ، ولا يعول الا على ما صحت روايته ، والله أعلم ،

الفصل الثالث : تفسير القرآن بالرأى

وفيه مباحث

المبحث الأول : المقصود من تفسير القرآن بالرأى وما ورد من الأحاديث والآثار

فى التحوير منه

المبحث الثانى : أقسام تفسير القرآن بالرأى

المبحث الثالث : المصادر التى يعتمد عليها التفسير بالرأى الجائز

المبحث الرابع : تفسير القرآن بالرأى المذموم وتعريف الفرق الضالة

المبحث الأول

المقصود من تفسير القرآن بالرأى وما ورد من الأحاديث والأثر في التحذير منه

عرفنا فيما سبق المراد من كلمة " التفسير " (١) في بداية البحث فلسنا بحاجة الى اعادةها هنا ولم يبق عندنا الا تعريف كلمة القرآن والرأى حتى يتضح لنا بذلك معنى تفسير القرآن بالرأى .

تعريف القرآن :

هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبرئيل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول اليها بالتواتر المتعبد بتلاوته . المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس .

قال الشيخ محمد بن علي الديابوني حفظه الله بعمد ذكره هذا التعريف " وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين " (٢) ويقتضينا فهم هذا التعريف شرح بعض الأمور ، فقولنا (كلام الله) اشارة الى أن هذا القرآن كلام الله . فخرج بهذا القيد سواه من كلام البشر والجن والملائكة ، وقولنا (المعجز) اشارة الى أن هذا الكلام أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله . وقولنا (المنزل على محمد مخرج للكلام الالهي الذي نزل على الأنبياء السابقين ، وقولنا المكتوب في المصاحف المنقول اليها بالتواتر المتعبد بتلاوته ، مخرج للأحاديث القدسية والأحاديث النبوية التي

(١) انظر ص ٨ - ١٥ من البحث (٢) التبيان في علوم القرآن ص ٦

كانت وحيا من الله ، ولآيات التي نسخت تلاوتها فلم تعد مكتوبة في المصحف ،
والقرآآت الشاذة التي لم تنقل بطريق التواتر ، هذا هو تعريف القرآن مع شرح
محترزات هذا التعريف ، ولنبدأ الآن في بيان :-

تعريف كلمة (الرأي) في اللفظة .

الرأي في اللفظة هو الاعتقاد والعقل والتدبير كذا في معجم الوسيط (١) وفسى
القاموس أن من معاني مادة (رأى) الاعتقاد جمع آراء (٢) وفي معجم المقاميس
لابن فارس قال (رأى) الرأء والهزمة والياء أصل يدل على نظر وابصار بعين أو
ببصيرة فالرأي ما يراه الانسان في الأمر وجمعه الآراء (٣) وهذا المعنى الأخير
الذي ذكره ابن فارس أكثر تحديدا لمعنى الكلمة مع ايجازه وهو أن معنى الكلمة
مشترك بين النظر الذي يتم بواسطة العين والنظر الذي يتم بواسطة البصيرة
والمقل وهذا الأخير - أعن النظر الذي يتم بواسطة العقل - هو المقصود
هنا في تعريفنا هذا إذ لسننا بصدد التعريف النظر بالعين . وانما نريد تعريف
النظر بالعقل ، والاجتهاد والذي مصدره الرأي لا الرواية ومن هنا يمكن لنا أن
نعرف تفسير القرآن بالرأي بأنه هو تفسير القرآن بالعقل والفكر والاجتهاد دون
رجوع الى الآثار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة والتابعين في
تفسير القرآن الكريم . فان كان هذا الرأي مبنيًا على مقتضى اللغة العربية ومراعا
فيه القواعد الشرعية والأصولية يكون محمودا في الأغلب (٤) وان كان مبنيًا على

(١) ج ١ ص ٣٢٠ (٢) ج ٤ ص ٣٣٣ (٣) ج ٢ ص ٤٧٢

(٤) وقد قيدت كسوة الرأي المبني على القواعد الشرعية محمودا في الأغلب احترقا
من أن أعطيه هذه الصفة مطلقة غير مقيدة لأن من من اعتمد على الرأي فلا بد أن
يقع في اخطاء كثيرة ويكون نسبة خطئه مدى اغراقه في الأغذ بالرأي فان كسان
كثيرا لا اعتماد على الرأي يكون خطئه أكثر وأفحش وان كان قليلا يكون خطأ قليلا .
والله أعلم .

الأهواء ومناصرة المذاهب الفاسدة ولا يراعى فيه القواعد الشرعية يكون محرماً

مذموماً ، والله أعلم .

الأحاديث والآثار الواردة في التحذير

من الرأي .
~~~~~

روى الامام الترمذى بسنده عن ابن عباس ( رضى الله عنهما قال ) قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار "

قال الترمذى حديث حسن صحيح وأخرجه كذلك الامام أحمد والنسائى وابن جرير (١)

ورواه أيضا بسنده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اتقوا الحديث

عنى الا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " قال الترمذى

هذا حديث حسن .

ورواه بسنده الى جند بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ، قال الترمذى هذا حديث غريب

وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل بن <sup>الحن</sup> حزم " (٢)

هذه بعض الأخبار التى وردت فى التحذير عن رأى فى تفسير القرآن الكريم

---

(١) انظر الترمذى بشرح المبارك خوريسا ج ٨ ص ٢٧٧ وتفسير ابن جرير

ج ١ ص ٢٧

(٢) انظر الترمذى بشرح المبارك " " ص ٢٨١ وابن جرير فى

التفسير ج ١ ص ٢٧

ولكن أى رأى هو هذا الذى حذت الأخبار منه ؟ أهو كل رأى أم هو بنوع خاص من

الآراء ؟

عاشق آراء العلماء فى معنى هذه الأخبار حتى يتضح المقصود باذن الله .

أورد امام المفسرين ابن جرير الطبرى هذه الأخبار وجعلها بيانا لوجه من وجوه التفسير الذى لا يجوز لأحد أن يقول فيه بالرأى وذلك هو تفسير الآيات التى لا يدرك علمها الا ببيان من النبى صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه فهذا الوجه هو المعنى بهذه الأخبار عند الامام ابن جرير رحمه الله قال رحمه الله بعد ذكره لأوجه التفسير وأنه على أربعة أوجه التى رواها عن ابن عباس وهى :- وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يقله العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ، وبعد ما أورد الأخبار التى فيها النهى <sup>عن</sup> التفسير بالرأى قال " وهذه الأخبار نشاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان ممن تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه بل القائل فى ذلك برأية وان أمه ما بالحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقلبه فيه برأيه لأن أصابته ليست أصابة موقن أنه محق وانما هو أصابة خارض وطان والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم وقد جرم جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال " قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " (١) فالقائل فى

تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه الا لبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قوله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به وهذا هو معنى الخبر الذي حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبري ثم ساق بسنده السي جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ثم قال " يعني صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ في فعله بقوله فيه برأيه وان وافق قوله ذلك عين الصواب . عند الله لأن قوله فيه برأيه ليس بقيل عالم أن الذي قال فيه من قول حق ومواب فهو قائل على الله ما لا يعلم ثم بفعله ما قد نهي عنه وحظر عليه " (١) هذا هو رأى ابن جرير في معنى هذه الأخبار وأنها لا تعنى عصوم الرأى بل تعنى نوعا خاصا من أنواع التفسير الذي اختلف بعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . هذا وقد ذكر الحافظ ابن حجر ما يؤكد هذا التفسير فذكر أن أولى الناس بما في هذه الأحاديث من الوعيد هم أهل البدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعها ويسلبون ألفاظ القرآن بما دلت عليه وأريد بها أو يحملون على ما لم يدل عليه ولم يرد بها وهم فسبى كلتا الحالتين مخطئون فيما أرادوا نفيه أو اثباته من المعانى وهذا نص كلامه

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٧



قال رحمه الله " وأحق الناس بما فيه من الوعيد ، قوم من أهل البدع سلبوا لفظ القرآن ما دل عليه وأرتيد به أو حملوه على ما لم يدل عليه ولم يرد به فسى كلا الأمرين مما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى فهم مخطفون في الدليل والمدلول مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم والجباى وعبد الجبار والهاكفى والزمخشري وأمثالهم " (١)

ونجد أن كلام الحافظ هذا في غاية من الدقة لأنه وصف هذه الطائفة من أهل البدع بأنهم أولى الناس بهذا الوعيد ولم ينف تشال هذا الوعيد غيرهم من قد يقومون في هذه التأويلات الفاسدة الا أنه ذكر أن هؤلاء الذين وصفهم أحق الناس به .

هذا وقد وردت آثار كثيرة تروى عن عدد من علماء السلف من الصحابة والتابعين تثبت بأنهم كانوا يتوقفون عن تفسير القرآن الا اذا وجدوا رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره كما أن بجانب هؤلاء عدد آخر من علماء الصحابة والتابعين كانوا يفسرون القرآن ولا يرون الحرج في ذلك . . فمن كانوا يتوقفون عن تفسير القرآن فقهاء المدينة فقد روى ابن جرير استدره الى عبد الله بن عبد الله قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم لمعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع (٢)

---

(١) تحفة الأهودى شرح الجامع الترمذى ج ٨ ص ٢٢٨ .

(٢) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٩

وعن يحيى بن سعيد قال سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن

فقال لا أقول في القرآن شيئا<sup>(١)</sup>

وعن يحيى بن سعيد أيضا عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية

من القرآن قال أنا لا أقول في القرآن شيئا<sup>(٢)</sup>

وعن ابن سيرين قال سألت عبدة السلماني عن آية قال عليك بالسداد فقد ذهب

الذين علموا فيم أنزل القرآن<sup>(٣)</sup>

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعنكم لقال فيهما

فأبى أن يقول فيها<sup>(٤)</sup> وعن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب الى جندب

ابن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال له أخرج عليك ان كنت مسلما لما قمت عني

أو قال أن تجالسني<sup>(٥)</sup> وعن يزيد بن أبي يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب

عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس واذا سألناه عن تفسير آية من القرآن

سكت كأن لم يسمع<sup>(٦)</sup>

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٩

(٢) " " " " "

(٣) " " " " "

(٤) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٩

(٥) تفسير ابن جرير بنفس الجزء والصفحة

(٦) تفسير ابن جرير بنفس الجزء والصفحة.

وعن عبد الله بن أبي السفر قال : قال الشعبي والله ما من آية الا قد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله (١) هؤلاء وغيرهم كانوا يتوقفون عن تفسير القرآن . . .

أما من ورد عنهم من التفسير من السلف فهم كثيرون فهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذي روى عنه تلميذه مسروق أنه قال " والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته (٢) وعن مسروق أيضا قال " كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار " (٣)

ومن أشهر المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله <sup>عنه</sup> عنهما فعن شقيق قال : استعمل على ابن عباس على الحج قال فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا (٤) وغير هؤلاء ممن يفسرون القرآن كثيرون مثل ابي بن كعب والخلفاء الراشدون الأربعة ومثل مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح ومسروق بن الأجدع وغيرهم من مشاهير التابعين الذين سبق لنا تفصيل كلامهم .

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٨

(٢) " " " " "

(٣) " " " " "

(٤) مقدمة تفسير ابن كثير ص ٦

توجيه الآثار الدالة على تحرج بعض السلف في تفسير القرآن مع الآثار الأخرى  
الدالة على أن بعضهم كانوا يفسرون القرآن .

قال الحافظ ابن كثير " فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لفظة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن عؤالا وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى " لتبيننه للناس ولا تكتمونه " (١) ولما جاء في الحديث الذي روى من طريق " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " (٢)

ويؤيد " توجيهه ابن كثير هذا ما سبق من قول عبدة السلماني حين سئل عن تفسير آية قال " عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيهم أنزل القرآن وهذا يدل على أن هذا السائل سؤال عبدة عن بشي يتعلق بأسباب النزول

---

(١) آل عمران آية ١٨٢

(٢) رواه الامام احمد في مسنده ج ٢ ص ٢٤٤

ومعرفة أسباب النزول تتوقف على الرواية وليس لها مجال في الاجتهاد حتى أن العلماء قالوا ان تفسير الصحابي فيما يتعلق بأسباب النزول له حكم الرفع كما سبق لنا بيانه ، فعبادة توقف عن الجواب حيث لم يكن عنده شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة . والمجال ليس مجال اجتهاد .

ويؤيد ذلك توقف ابن عباس عن الجواب حين سئل عن تفسير اية في الآ السابق عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لوسئل عنها بعضكم لقال فيها ؟ مع كثرة ما ورد عن ابن عباس من التفسير فهذا يدل أنه كان يجيب فيما كان عنده فيه علم .

أما ما لا يعلم فكان يسكت عنه ، ولا يتكلف الجواب فيه ، وقد ذكر أبو بكر الأنباري أن أئمة السلف كانوا يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن (١) وهذا يدل على أنهم لم يكونوا يتوقفون عن تفسير غير المشكل .

قال أبو بكر الأنباري : وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن فبعضهم يقدر أن الذي يفهمه لا يوافق مراد الله عز وجل فيجسم عن القول . وبعضهم يشفق من أن يجعل في التفسير ا ما يبنى على مذهبه ويقتضى طريقة فلمل متأخرا أن يفسر حرفا برأية ويخطئ فيه ويقول ا ما في تفسير القرآن بالرأى فلان الامام من السلف .

---

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٤

مثل ما فعل أبو بكر الصديق حينما سئل عن تفسير الأب حيث قال "أى سماء  
تظلمنى وأى أرغى تقلبنى اذا قلت فى القرآن ما لا أعلم" (١) وكان بعضهم يشدد  
النكير على من يلجأ الى الرأى فى مشكل القرآن وهذا ما ثبت عن سعيد بن المسيب  
فانه كان لا يتكلم الا فى المعلوم من القرآن فمن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب  
بن المسيب أنه كان لا يتكلم الا فى المعلوم من القرآن " (٢) وعن عمرو بن مرة  
قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألنى عن القرآن  
وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شىء " يعنى عكرمة " (٣) وهذان الأثران  
عن سعيد بن المسيب يدلان على أن ما كان يتوقف عنه ابن المسيب من التفسير  
هو ما ليس معلوما عنده كما يدلان على أنه كان يفسر المعلوم من القرآن وهو  
ما أشار اليه الحافظ ابن كثير رحمه الله فى توجيهاته للأثار الواردة عن السلف  
الدالة على انكفا فهم عن التفسير " كما أن هناك أسبابا أخرى كانت تدعو  
بعضهم الى ترك التفسير من ذلك خوفهم بأن يتخذ الناس رأيتهم فى التفسير ما  
يقتضى المره .

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٧

(٢) مقدمة تفسير ابن كثير ص ٦

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦

## المبحث الثاني

### أقسام تفسير القرآن بالرأى

بعد تعريفنا لتفسير القرآن بالرأى واستعراضنا للأحاديث والآثار الواردة في التحذير منه وبيان ما هو هذا الرأى المقصود في هذه الأحاديث وذكر توقف بعض علماء السلف عن تفسير القرآن بالرأى وتوجيه سبب ذلك ، بعد ذلك كله يمكن لنا أن نقسم تفسير القرآن بالرأى الى قسمين رئيسيين :-

أحدهما تفسير القرآن بالرأى الجائز المحمود .

وثانيهما تفسير القرآن بالرأى الفاسد المذموم .

أما تفسير القرآن فى القسم الأول . فمعناه هو تفسير القرآن بالاجتهاد والفكر على مقتضى القواعد العربية والأصول الشرعية على أن يكون ذلك فيما لا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح من الصحابة ، وذلك لأنه تقرر عند العلماء أن الاجتهاد مع النص فمرتبة الاجتهاد متأجرة ، واللجوء اليه مع وجود النص خطأ ساقط الا ما كان من استنباط معنى صحيح نافع يتحملة اللفظ القرآنى ويدل عليه .

فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز أنه قال " لا رأى لأحد مع سنة . سننها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) . وهذا هو قول العلماء "

---

(١) الفقيه المتفقه للخطيب البعداوى ج ١ ص ٢٠٨





رسول الله صلى الله عليه وسلم فراح اليه عروة فقضا لي أن أخذ الخراج من الذي  
قضى به علي له " (١) هذا هو الرأي المحمود الذي كان العلماء يستعملونه  
في القديم والحديث ويخطئون من خرج عن نطاقه وتكلف الرأي مع وجود النصوص  
فكل ما ورد من ذم الرأي عن علماء السلف فهو من هذا النوع ، أما الرأي والاجتهاد  
في فهم نصوص الكتاب والسنة على مقتضى القواعد العربية فيما لم يرد تفسيره عن  
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمنعه أحد بل هو الطريقة التي كان عليها العلماء  
قدما وحديثا " كيف وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى تأمل كتابه والتفكير  
فيه في آيات كثيرة لنفعل عنه ، يقول تعالى " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا  
آياته وليتذكر أولوا الألباب " (٢) ويقول سبحانه وتعالى " كذلك يبين الله  
لكم الآيات لعلكم تعقلون " (٣) ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون " (٤)  
ففي هذه الآيات وغيرها أن الله سبحانه وتعالى يبين لنا آياته لتأمل فيها  
ونتفكر في أحكامها ونفهم عنه تشريعاته ، ففيها أن الله سبحانه وتعالى يحث  
عبادة على التفقه في القرآن والتفكير فيه لاستنباط تفاصيل الأحكام والحكم ، وهذا  
هو الاجتهاد ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " انا اجتهد الحاكم  
فأصاب فله أجران وانا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " أو كما قال عليه السلام

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب ج ١ ص ٢٠٧

(٢) سورة ( ص ) آيه ٢٩

(٣) سورة النور آيه ٦١

(٤) سورة البقرة آية ٢٢١

فالمجتهد مأجور على كل حال سواءً أسباب أم أخطأ على أن يكون ذلك فيما لا نص فيه كما أسلفنا وقد توسعت كُتُب التفسير وتفننت استنباطات العلماء في معاني القرآن بسبب ذلك ، فلو اقتصر العلماء على ما ورد تفسيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة لما كان حجم التفسير كبيراً كما هو الآن .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل ولهذا كان أعجوبة في تفسير القرآن حتى سمي ترجمان القرآن بسبب دقة استنباطه حتى أن علياً رضي الله عنه كان يثنى على تفسيره ويقول " ابن عباس " كأنما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق " (١) وكان ابن مسعود يقول نعمم ترجمان القرآن ابن عباس " (٢)

ومما يدل على دقة استنباطه في الأمور الخفية ما ورد عنه رضي الله عنه قال : كان عمر يدخلني مع أشيـاخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر انه من حيث علمتم " فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعا نبي يومئذ الا ليريبهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح " (٣) فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصر الله وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أذكك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا قال : فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال . اذا جاء نصر الله والفتح . وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً " فقال عمر ما أعلم منها الا ما تقول (٤)

(١) ، (٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٥ (٣) سورة النصر آية ١

(٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢١

فهذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية زملائه من الصحابة رضوان الله عليهم  
وانما فهمه هو وعمر رضى الله عنهما دون سائر الصحابة وهو فهم مبنى على  
الاستنباط الدقيق وهو عين الرأى المحمود ولهذا قال الحافظ فى شرح هذا  
الحدىث " وفى جواز تأويل القرآن بما يفهم من الاشارات وانما يتمكن من ذلك من  
رسخت قدمه فى العلم ولهذا قال على رضى الله عنه . أوفهما يؤتبه الله رجلا  
فى القرآن (١) . والخلاصة فى ذلك أن علم التفسير ليس مقصورا على المأثور  
وان كان التفسير المأثور هو المقدم والمفضل على الرأى ، وأن فيه مجالا للاجتهد  
والاستنباط وهو معنى التدبر والتذكر الذى أشار اليه القرآن فى كثير من آياته  
وقد كان ذلك طريق سلفنا الصالح حتى أن أبا بكر رضى الله عنه حين سئل عن  
الكلاية ولم يكن تفسيرها محفوظا عن النبى صلى الله عليه وسلم عنده قال . " أقول  
فيها برأى فان كان صوابا فمن الله وان كان غير ذلك فمنى . الكلاية ما خلا  
الوالد والولد " (٢)

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٠ ص ٣٦٧

(٢) أخرجه رواه البيهقى من طريق الشعبى انظر تلخيص الحبير فسى

تخريج أحاديث الرافعى الكبير ج ٣ ص ٨٩

وقد كان مقصود علماء السلف الذين روى عنهم الأحكام عن التفسير بالرأى -  
التوقف فيما لا يوثقون باصابتهم الحق فيه تورعا منهم واحتياطاً لأنفسهم مخافة أن  
لا ييلفسوا ما كلفوا به من إصابتهم الحق في القول وكانوا يرون أن التفسير شهادة  
على الله بأنه عني باللفظ كذا وكذا فأمسكوا عنه خشية أن لا يوافقوا مراد الله  
عز وجل ، وكان منهم من يخشى أن يفسر القرآن برأية فيجعل في التفسير إماما  
ينبغي على مذهبه ويقتضى طريقه . فربما جاء أحد المتأخرين وفسر القرآن برأية  
فوقع في الخطأ ويقول إمامي في التفسير بالرأى فلان من السلف أو إن أحكامهم  
كان مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه . أما إذا عرفوا وجه الصواب فكانوا  
يُخرجون من إبداء ما يظهر ولو بطريق الظن (١) فهذا أبو بكر رضى الله عنه  
يقول برأية في الكلاله مع أنه توقف في معنى الأب ، كما ثبت عن غيره أيضا ، وهذا  
التوجيه هو الذي سبق لنا عن ابن كثير وهو الذي تؤيده الأدلة .

---

(١) انظر هذا الكلام في التفسير والمفسرون مع تصرف فيه ج ١ ص ١٦١

المبحث الثالث

المصادر التي يعتمد عليها التفسير بالرأى الجائز

التفسير بالرأى المحمود هو التفسير الذي يعتمد على أصول صحيحة وقواعد سليمة ،  
والا ينتفى عنه هذا الوصف وهو كونه محمودا . اذا يجب على من أراد أن يخوض  
في تفسير القرآن أن يأخذ بنصيب وافر من هذه الأصول والا سيكون تفسيره مجرد  
الرأى أو الهوى وهذا لا يجوز ، وصاحبه معرض للوعيد الشديد ، وهناك سؤال  
يطرح نفسه الآن وهو ما هذه الأصول التي يعتمد عليها التفسير بالرأى (١)

ذكر العلماء هنا علوما يحتاج اليها المفسر لكتاب الله لا بد أن تتوفر لديه ،  
وبدونها لا يجوز له أن يدخل في هذا الميدان حتى لا يتعرض للوعيد السابق  
( من قال في القرآن برأية فليتبوأ مقعده من النار )

وهذه العلوم بعد اعتمادة على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ثبت  
نقله عن الصحابة رضوان الله عليهم ما نقل عن التابعين الذين تتلمذوا على الصحابة  
رضوان الله عليهم بعد اعتمادة على ذلك كله . هي علوم اللفظة العربية من لفظة  
ونحو وتدريبها واشتقاق وبلاغة بأنواعها الثلاثة المعانى والبيان والبدع شمس

---

(١) جامع الترمذى مع شرحة تحفة الأحنوفى ، ج ٨ ص ٢٧٨

المعرفة بعلم القراءات لأن بها يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض ثم المعرفة بأصول الفقه وأسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ ثم أخيراً ما سموه بعلم الموحية هذا اجمال ما ذكره العلماء فلنفصل ذلك بعض التفصيل :

ذكر السيوطي في الانسان أن المفسر بحاجة الى خمسة عشر علماً وأن من لم يجمع هذه العلوم فلا يجوز له أن يتصدى لتفسير القرآن الكريم ، وهي (١) علم اللفظة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومسئولاتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلفات العرب ولا يكفي في حقة معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد الممنيين والمراد الآخر . والثاني : النحو : لأن المعنى يتغير بتغيره ويختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتصقها حسن المنطق ويقوم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعسى بوجهها فيهلك فيها .

الثالث : التصريف : لأن به تعرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم لأن " وجد " مثلاً كلمة مبهمه فاذا عرفناها اتضحت بمصادرها ؟ وقال الزمخشري من بدع التفاسير من قال ان الامام في قوله تعالى " يوم نداءوا كل أناس بآمامهم جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بأمامتهم دون آبائهم قال وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فان أما لا تجمع على امام .

الرابع : الاشتقاق : لأن الأسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحه أو من المسح ؟

الخامس والسادس والسابع : المعاني والبيان والبديع : لأنه يعرف بالأول خواص

تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وبالتالي خواصها من حيث اختلافها

بحسب ونوع الدلالة وخفائها وبالثلث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة

هى علوم البلاغة وهى من أعظم أركاننا المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه

الاعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم وقال السكاكى اعلم أن شأن الاعجاز عجيب يدرك

ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحه ولا طريق الى تحصيله

لغير ذوى الفطرة السليمة الا التمرن على علمى المعانى والبيان . . . . .

والثامن علم القراءات : لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن والقراءات يترجح بعض

الوجوه المحتمله على بعض .

التاسع : أصول الدين بما فى القرآن : من الآيه الداله بظاهاها على ما لا يجوز

على الله تعالى فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجوز وما يجب (١)

( ١ ) السموات فى مثل ذلك هو اتباع منهج السلف واثبات ما أثبت الله لنفسه

من الصفات أو اثبته له رسوله من غير تشبيهه ولا تمثيل ولا تعطيل رضى ما

نفى عن نفسه من الصفات أو نفى عنه رسوله على الله عليه وسلم ، لا أن يتخيل

شخص بنفسه بأن الآية تدل بظاهاها على ما لا يجوز على الله بسبب شبهه

قامت فى نفسه هو " ثم . . . أن ينفى المعانى الصحيحة التى دلت عليها

الآية بسبب هذه الشبه التى تخيلها كما فعل ذلك المتكلمون فى آيات الصفات

التي ادعوا أن ظواهاها يدل على ما لا يجوز على الله ، فأولوا الآيات

طلبا منهم لتتنزيم الله عن هذه المعانى التى تخيلوها بأنفسهم .

العاشر أصول الفقه : ان به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادى عشر أسباب النزول والقصص : ان بسبب النزول يعرف معنى الآية

المتزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

والثانى عشر الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر الفقه ، الرابع عشر الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

والخامس عشر علم الموهبه ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة

بحد يث " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، قال ابن أبى الدنيا ، وعلوم

القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم التى هى كالكسوة

للمفسر لا يكون مفسرا الا بتحصيلها فمن فسّر بدونها كان مفسرا بالرأى المنهى

عنه قال ولصحابة التابعون كانت عند هم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفاد وا

العلوم الأخرى من النبى على الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> هذه هى العلوم التى ذكرها

العلماء بأنها لا بد للمفسر من الالمام بها والا يكون تفسيره بالرأى المجرد المنهى

عنه . وفى نظرى أن بعض هذه العلوم غير لازمة للمفسر ومعنىها لا يكون مستقلا عن

غيره . فمن غير اللازم أن يكون المفسر مثالا عالما لفروع الفقه ومسائله الجزئية فانا توفرت

عنده معرفة اللغة العربية بأنواعها ثم توفرت عنده معرفة السنة الشارحة للكتاب ومعرفة

أسباب النزول التى هى جزء من معرفتها مع معرفته بأصول الفقه والناسخ والمنسوخ

بعد معرفته ذلك كله فليس بحاجة الى أن يكون عارفا بالتفاصيل الفقهية لأن القرآن

والسنة هما مادة الفقه الاسلامى وان اكانت عنده هذه الأصول فبإمكانه استنباط الاحكام

من القرآن بنفسه والحالة هذه ثم ان القصد الأول من تفسير القرآن هو بيان ما فيه من

ارشاد للناس الى ما فيه سعادتهم فى دنياهم وأخرتهم ، وهذا يمكن لمن توفرت فيه

الشروط الأخرى بدون مادة الفقه . كما أن الموهبه لا ينبغى جعلها علما من علوم التفسير



( المبحث الرابع )

" تفسير القرآن بالرأى المذموم "

أما تفسير القرآن بالرأى المذموم فهو تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل يرجع اليه ، فهو تفسير القرآن من غير تأهل له بالملوم التى لا بسد منها للمفسر ، أو التفسير بالهوى والاستحسان أو هو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد والرأى الباطل ، أو هو تفسير المتناهب الذى لا يعلمه الا الله فتفسير القرآن بمجرد الرأى يشمل هذه الأنواع كلها ، وقد بين العلماء رحمهم الله عدم جوازه ، وذكروا أنه المقصود بالنهى والوعيد الشديد فى الأحاديث الواردة فى ذلك .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : " أما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام "

ثم أورد الاحاديث الواردة فى ذلك عن ابن عباس وغيره وعن ابن عباس ررضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " ، وعن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " (١)

وعن حنبل بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " قال الترمذى هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهيل بن أبى حزم .

(١) مقدمة أصول التفسير ص ١٠٥ .

وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم ، وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن ، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم ، أو من قبل أنفسهم . (١)

والحديث الأخير متكلم فيه وعلى صحته فقد بين العلماء معناه وهو أن من فسر القرآن بمجرد رأيه فقد أخطأ الطريق ، وإن أصاب المقصود فسبيلسه أن يرجع في تفسير الفاظه إلى أهل اللغة وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من السنن ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى ، قال تعالى :

” وأنزلنا إليك الذكر لتبين لنا رسماً نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ” (٢)

فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكره من بعده .

ولم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه

على ما لم يرد ، وقد يكون المراد به ” من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول

العلم وفروعه فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمود ” (٣)

ابن عطية في شرح الحديث من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ

ومعنى هذا أن يسئل الرجل عن معنى في كتاب الله فيسور عليه برأيه دون نظر فيما

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ١٠٧

(٢) سورة النحل آية ٤٤ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٩ .

قال العلماء أو اقتضته قوانين العلوم كالنجوم (١) والاصول ، وليس يريد خل فسي  
هذا الحديث أن يفسر اللغويون لفته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل  
واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة  
ليس قائلًا بمجرد رأيه " (٢)

قال القرطبي رحمه الله تعليقًا على كلام ابن عطية : " قلت هذا صحيح  
وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء ، فان من قال فيه بما سنع في وثمه وخطر  
على باله من غير استدلال عليه بالاصول فهو مخطئ " ، وان من استنبط معناه  
بحمله على الاصول المحكمة المتفق على معناها فهو مدوح " (٣)

وقال المباركفوري رحمه الله في شرح الحديث نقلاً عن الحافظ ابن حجر  
قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " أي أخطأ طريق الاستقامة بخوضه فسي  
كتاب الله بالتخمين والحدس لتمديه بهذا الخوض مع عدم اجتماعه لشروطه  
فكان اثماً به مطلقاً ولم يمتد بموافقه للصواب لانها ليست عن قصد ولا تحر بخلاف  
من كملت فيه آيات التفسير ثم قال وقد أخطأ الباطنية الذين يعتقدون أن للقرآن  
ظهوراً وباطناً وأن المراد باطنه دون ظاهره ، ومن هذا ما يسلكه بعض الصوفية  
من تفسيرهم ، فرعون بالنفوس وموسى بالقلب ان زعموا أن ذلك مراد بالآية  
لا اشارات ومناسبات للآيات ، وقد صرح الفزالي وغيره بأنه يحرم صرف شيء من

---

(١) في مقدمة ابن عطية هنا كللنجوم هكذا ، ولعل صوابه كالنحو ، وذلك لانه

لا يعقل أن يكون علم النجوم من علوم القرآن .

(٢) مقدمة ابن عطية في التفسير ص ٢٦٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٣ .

الكتاب والسنة عن ظاهره من غير اعتضام فيه بنقل من الشارع ومن غير ضرورة تدعو (١) إليه من دليل عقلي " (٢) .

هذا والرأى الفاسد الذى جاء نهييه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن ذكر الملماء بأنه على نوعين :

النوع الأول : أن يكون لصاحبه اعتقاد فاسد فيريد أن يحمل القرآن عليه ولو كانت اللغة العربية التى نزل بها القرآن والتفاسير الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام تأبى ذلك ، وهذا ما يفعله أهل الاهواى من الفرق الضالة كالباطنية والمعتزلة .

والنوع الثانى : أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر اللغة العربية من غير رجوع الى المنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وعلماء التابعين .

قال الشيخ المهاركفورى : " وانما النهى يعمل على وجهين أحدهما أن يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فىأول القرآن وعلى وفق هواه ليجنب على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ، وهذا قد يكون مع العلم بأن المراد من الآية ليس ذلك ، ولكن يلبس على خصمه ، وقد يكون مع الجهل وذلك ان كانت الآية محتملة فيميل فهمه

---

(١) الدليل العقلى الذى يدعو اليه هو الذى أوقع المتكلمين فى الحيرة والاضطراب

ونفى ظاهر النصوص المتعلقة بأسماء الله وصفاته .

(٢) تحفة الاحوذى ج ٨ ص ١٧٩ - ٢٨٠ .

الى الوجه الذى يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانِب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان  
يترجح عنده ذلك الوجه .

وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما  
يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول المراد بفرعون  
فى قوله تعالى : " اذهب الى فرعون انه طغى " (١) هو النفس .

الوجه الثانى : أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير  
استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بغير القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة  
والاختصار والحذف الاضمار والتقديم والتأخير ، فالنقل والسمع لا بد منه فى  
ظاهر التفسير أو لا ليتقى به مواضع الغلط ثم بمد ذلك يتوسع للتفهم ،  
والاستنباط والفرائب التى لا تفهم الا بالسمع كثيرة كقوله تعالى :

" وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها " (٢) معناه آية مبصرة فظلموا  
أنفسهم بقتلها ، فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد أن الناقة كانت مبصرة  
ولم تكن عييا ، وما يدرى بما ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم ، وما عندنا  
هذين الوجهين لا يتطرق النهى اليه مادام على قوانين العلوم العربية والقواعد  
الأصلية والفرعية " (٣) .

---

(١) سورة النازعات آية ١٧ .

(٢) لاسراء آية ٥٩ .

(٣) تحفة الاحوذى ج ٨ ص ٢٨١ .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هذين الوجهين ، وبين أن -  
تفسير السلف خالية منهما فقال رحمه الله : " وأما النوع الثاني من سببي  
الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من  
جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابيحهم باحسان ، فإن  
التفسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين  
الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق ، ووكيع ، وعبد بن حميد ، وعبد الرحمن  
ابن ابراهيم ، ومثل الامام أحمد واسحاق بن راهويه ، وبق بن مخلد  
وأبي بكر بن المنذر وسفيان بن عيينة ، وسنيد ، وابن جرير وابن أبي حاتم  
وأبي سعيد الأشبح ، وأبي عبد الله بن ماجه وابن مردويه .

أحدهما : قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها

والثاني قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريد من كان من الناطقين بلسة  
العرب بكلامه من غير نظر الى المتكلم بالقرآن والمنزل والمخاطب به ، فالأولون  
راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر الى ما تستحقه ألفاظ القرآن .

من الدلالة والبيان ، والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به عندهم

المعنى من غير نظر الى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام ، ثم هؤلاء كثيرا ما يفلطون  
في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللفظة ، كما يفلط في ذلك الذين قبلهم

كما أن الأولين كثيرا ما يفلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يفلط  
في ذلك الآخرون وان كان نظر الأولين الى المعنى أسبق ونظر الآخريين الى اللفظ

أسبق .

والأولون صنفان : تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به ،

وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به ، وفقى كلا الأمرين قد يكون -

ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلاً فيكون خطأ وهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقاً فيكون خطأ وهم فيه في الدليل لا في المدلول .

وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فانه وقع أيضاً في تفسير الحديث

فالذين اخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا

مذهباً يخالف الحق الذي عليه الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف

الامة واثمتها ، وعمدوا الى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون بآيات

على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون

به الكلم عن مواضعه .

ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة والقدرية

والمرجئة وغيرهم ، وهذا كالمتربه مثلاً فانهم أكثر الناس كاذماً وجدالاً وقد

صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم ، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم

والشيخ ابراهيم بن اسماعيل بن عليه الذي كان يناظر الشافعي ، ومثله

كتاب أبو علي الجبائي ، والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني

والجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى الرمانى ، والكشاف لأبى القاسم الزمخشري (١)

وفي مقدمة تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور زيادة ايضاح وبيان في المراد من

الرأى المذموم المنهى عنه في الحديث .

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٧٩ - ٨٢ .

قال رحمه الله : " المراد بالرأى هو القول عن مجرد خاطر دون  
استناد الى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة وتصارفها وما لا بد منه من  
معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول فهذا لا محالة ان أصاب فقد أخطأ  
في تصويره بلا علم ، لانه لم يكن مضمون الصواب كقول المثل : " رميه من غير  
رام " .

( ٢ ) أو أن لا يتهدبر المفسر القرآن حق تدبره فيفسره بما يخطر له من بادي  
الرأى دون احاطة بجوانب الآيه ومواد التفسير مقتصر على بعض الأدلة  
دون بعض كأن يعتمد على ما يبدو من وجهه في العربية فقط كمن يفسر قوله  
تعالى : " ما أصابك من حسنة فمن الله " (١) الآيه على ظاهر معناها  
يقول ان الخير من الله والشر من فعل الانسان بقطع النظر على الأدلة  
الشرعية التي تقتضى أن لا يقع الا ما أراد الله غافلاً عما سبق من قوله تعالى  
" قل كل من عند الله " (٢)

أو بما يبدو من ظاهر اللفظة دون استعمال العرب كمن يقول فسى  
قوله تعالى : " وآتينا ثمود الناقة مبصرة " فيفسر مبصرة بأنها ذات بصر  
لم تكن عمياء فهذا من الرأى المذموم .

( ٣ ) أن يكون له ميل الى نزعة أو مذهب أو نجلة فيتأول القرآن على وفق  
رأيه ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف فيجر

---

( ١ ) سورة النساء آية ٧٩ .

( ٢ ) سورة النساء آية ٧٨ .



شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه ما قيد عقله من التعصب عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير مذهبه حتى ان لمسع له بارق حق وبداله معنى يبين مذهبه حمل عليه شيطان التعصب حملة وقال كيف يخطر ببالك وهو خلاف مذهبك أو معتقدك ؟ كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار ، فان خطر له معنى قوله تعالى :

" القدوس " أنه المنزه عن كل صفات المحدثات حجه تقليده عن أن يتقرر ذلك في نفسه ولو تقرر لتوصل فهمه فيه الى كشف معنى ثان أو ثالث ، ولكنه يسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته مذهبه ، وجمود الطبع على الظاهر مانع من التوصل للغير كذلك تفسير المعتزلة لقوله تعالى : " الى ربها ناظرة " بمعنى أنها تنتظر نعمة ربها على أن " الى " واحد الآلاء مع ما في ذلك من الخروج عن الظاهر وعن المأثور وعن المقصود من الآية (١) .

هذا هو حكم العلماء في التفسير بالرأى المذموم ، وهنا مسألة ينبغي أن يتنبه لها وهي أن الرأى بخصوص القسم الذى سميناه مجمودا لا ينبغي اللجوء اليه مع وجود النص كما أنه لا ينبغي التعمق والفلو فيه والاستكثار منه والا سيلحق صاحبه بالقسم المذموم ، ويسيكتر تعثر صاحبه ، وهذا ما وقع فيه علماء الكلام في باب الصفات فانهم حين لجئوا الى العقول في باب صفات الله مع وجود النصوص لأجل ما قام في نفوسهم من الشبه وقصوا في الأخطاء الغلطية ، فأصبح رأيهم مذموما في هذه المسئلة .

---

(١) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٠ - ٣١ .

والآراء المخالفة للشرع هي من القاء الشيطان ووسوسته وان صدرت  
عن صاحبها بنية حسنة واجتهاد ، حتى وان كان صاحبها مأجورا ، وكان  
اجتهاده في محله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " والآراء والخطأ في الرأي من القاء  
الشيطان ولو كان صاحبها مجتهدا معذورا كما قال غير واحد من الصحابة  
كأبي بكر وابن مسعود في بعض المسائل " أقول فيها برأى فان يكن صوابا  
فمن الله وان يكن خطأ فمضى ومن الشيطان والله ورسوله برى منه " وما يكون  
من الشيطان اذا لم يقدر الانسان على دفعه لا يأثم به كما يراه النائم مسن  
أصفاك الشيطان ، وأكأحتلامه في المنام فانه وان كان من الشيطان فقد رفع  
القلم عن النائم حتى يستيقظ " . ( الرد على المنطقيين ص ٥٠٨ ) .

والتفسير بالرأى المذموم على النحو الذي تقدم لنا ذكره هو ديون الفرق  
الضالة من الروافض والمعتزلة والباطنية والخوارج والجهمية والقدرية والمرجئة  
وبعض المتصوفة وغيرهم من أهل الأهواء ويتفق هؤلاء كلهم على شيء واحد ،  
وهو جعل آرائهم ومذاهبهم أصولا ونصوص الكتاب والسنة فرعا تابعا لهذمه  
الاصول الفاسدة فتجدهم يتلاعبون بالنصوص ويتمحلون بالتأويلات الباردة البعيدة  
عن الحق حتى توافق أهوائهم ومذاهبهم وتراهم حين يريدون أن يتخلدوا عن  
نصوص الكتاب والسنة الصريحة الصحيحة المخالفة لمذاهبهم وأهوائهم يلجؤون الى  
ما يسمونه تأويلا ودهى أولى أن تسمى بالتحريف فيضرفون معاني النصوص الصحيحة  
الظاهرة الى معان أخرى موافقة لمذاهبهم لا تدل عليها النصوص الا من قرييب  
ولا من بعيد .

وكل هذه الفرق متفقة على هذا الاصل وان تفاوتت بعد مذاهبهم  
ونحلهم عن الاسلام ، وذكر تفاسير هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> المذمومة هنا غير ممكن فتقتصر على  
ذكر تعاريف موجزة لهذه الفرق وأهم معتقداتهم ، وأمثلة قليلة من تفاسيرهم .

الروافض : هم فرقة كبيرة من الفرق المنتسبة الى الاسلام لسموا

بذلك لان زيد بن علي بن الحسين بن علي امتنع من لعن أبي بكر وعمر وقال  
هما وزيرى جدى محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ، وقيل لانهم رفضوا  
رأى الصحابة لانهم بايعوا أبا بكر وعمر وهم الذين جعلوا الخلافة بعد الرسول  
لعلى رضى الله عنه . (١)

ومن أهم فرق الروافض الامامية وهم القائلون بأن النبي صلى الله  
عليه وسلم نبي على امامة على رضى الله عنه هنا ظاهرا لا بطريق التعريض بالوصف  
كما يقول الزيدية كما أنهم يحضرون الإمامة بعد على فى ولده من فاطمة  
رضى الله عنها .

وأصحاب هذا المذهب<sup>١</sup> بالفوا فى تشييمهم وتعد واحدة العقل  
والشرع فكفروا الكثير من الصحابة واعتبروا أبا بكر وعمر مفتصبين للخلافة ظالمين  
لعلى رضى الله عنه فأوجبوا التبرؤ منها ولم يسلم من هذا التطرف الا نفر قليل  
منهم كالطبرسى . (٢)

---

(١) الاحكام فى أصول الاحكام ج ١ ص ٨٦ من الهامش .

(٢) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٧ .

وقد انقسمت الامامية الى فرق كثيرة أوصلها الامام أبو الحسن الأشعري

في كتابه " مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين الى عشرين فرقه " (١)

وأهمها الامامية الاثني عشرية والامامية الاسماعلية وهم متفقون على أن الامامة  
لعلی رضی الله عنه ثم انتقلت بعده الى ابنه الحسن بالوصية له من أبيه ثم الى  
أخيه الحسين من بعده ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر  
ثم الى ابنه جعفر الصادق .

ثم اختلفوا بعد ذلك فيمن تكون له الامامة أما الامامية الاثني عشرية  
فيرون أن الامامة بعد جعفر الصادق انتقلت الى ابنه موسى الكاظم ثم الى ابنه  
الحسن العسكري ثم الى ابنه محمد المهدي المنتظر .

أما الامامية الاسماعلية فيرون أن الامامة بعد جعفر الصادق انتقلت  
الى ابنه اسماعيل بالنص من أبيه علي ذلك . . ثم انتقلت الامامة من اسماعيل  
الى ابنه محمد المكنوم وعمو أول الائمة المتأخرين

وبعد ه تتابع ائمة مستورون الى أن ظهر بالدعوة الامام عبد الله المهدي  
رأس الفاطميين . (٢)

وأهم عقائد الامامية الاثني عشرية هي العصمة والمهدية والرجعة والتقية  
ومقصودهم من العصمة أن الائمة معصومون من الصفائر والكبائر في كل حياتهم  
ولا يجوز عليهم شئ من الخطأ والنسيان والمقصود بالمهدية هو :

---

(١) انظر ج ١ ص ٨٨ .

(٢) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٨ - ٩ .

الامام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملاً الأرض أمناً وعدلاً ، بعد أن ملئت جوراً وخوفاً .

وأما الرجعة فهي عقيدة لازمة لفكرة المهدي ومعناها أنه بعد ظهور المهدي المنتظر يرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى الدنيا ويرجع على الحسن والحسين بل كل الائمة كما يرجع خصوصهم كأبي بكر وعمر فيقتضي لهؤلاء الائمة من خصوصهم ثم يموتون جميعاً ثم يحيون يوم القيامة .

أما التقية فمعناها المداراة والمصانعة وهي مبدأ أساساً سرعندهم وجزء من الدين يكتُمونه عن الناس في نظام سرى يسرون عليه فيدعون في الخفاء لامامهم المخفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الامر فاذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلمة في وجه الدولة القائمة الظالمة (١) .

هذه هي القواعد التي يبنى عليها اعتقاد الامامية الاثني عشرية وانطلاقاً منها فانهم يتأولون نصوص القرآن حتى توافق هذه الخرافات ويحجرون على الناس فهم القرآن الا عن طريق ائمتهم المعصومين فيختلقون ما يشاءون من الاكاذيب وينسبونها الى الائمة ، ولو كانت منافية للنصوص ، ان لا يعترفون من النصوص الا بقدر ما نسب الى ائمتهم فانهم ينصبون العداة للصحابة الذين وصل اليها الشرع بواسطتهم ولا يشقون ما جاء عن طريقهم من الاحاديث النبوية المفسرة لكتاب الله . . وليس انتحالهم لحد ائمة آل البيت عن طيبة نفس ولا لكونهم عم آل النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما هو لفرض في أنفسهم حتى يتستروا بهذا الحب

---

(١) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٩ .

الكاذب ويوجهوا سهامهم الى الاسلام عن طريق الدفاع لآل البيت والتباكي  
لمظالمهم على حساب عداوة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سبب  
بغض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ما سبب بغض صاحبيه صلى  
الله عليه وسلم أبى بكر وعمر إنما هو سلم للتخلص من الشريعة التي كانوا حملتها  
وحفاظها حتى لا تتعارض دساتيرهم .

أهم عقائد الاسماعيلية :

أهم عقائد هم هي ادعائهم بأن للقرآن ظاهراً وباطناً وأن المراد منه  
باطنه دون ظاهره ، ولذلك يسمون الباطنية وغرضهم من ذلك ابطال الشرائع  
فتستروا بهذه الحيلة وجعلوا مطيبتهم للوصول الى غرضهم الخبيث قتال الامام  
الغزالي رحمه الله ، أما الباطنية فانهم لقبوا بها لدعواهم أن الظواهر -  
القرآن والاخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشرة وأنها بظواهرها  
توهم عند الجهال الاغبياء صوراً جلية وهي عند العقلاء والاذكياء رموز واشارات  
الى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الفوص على الخفايا والاسرار واليوطن  
والاغوار وقنع بظواهرها مسارعا الى الاغرار أن تحت الاواصر والاعلال معنى بالاوزار  
والاثقال وأرادوا بالاغلال والتكاليف الشرعية فان من ارتقى الى علم الباطن انحط  
عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى :

" ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم " (١) وربما موهوا بالاستشهاد

عليه بقولهم ان الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى :

" فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب " (٢) وغرضهم  
الأقصى ابطال الشرائع .

(١) سورة الاعراف آية ١٥٧ . (٢) سورة الحديد آية ١٣ .

فانهم اذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى

الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين ، ان سقطت الثقة

بموجب الالفاظ الصريحة فما يبقى للشرع عصام يرجع اليه ويعمل عليه (١)

وللباطنية فهو لاء القاب وأسماء عرفوا بها خازل الصورة وتداولتها

الالسنة على اختلاف الازمنة وهي على حسب ما ذكره الامام الغزالي عشرة :

(١) الباطنية ، وقد ذكرنا سبب تسميتهم بذلك .

(٢) والقرامطة . (٣) والقرمطية ، وانما لقبوا بها نسبة الى رجل

له حمدان قرمط كان أحد فعاتهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته

رجال فسموا قرامطة وقرمطية . (٢)

(٤) الخرمية : لقبوا بها نسبة لهم الى حاصل مذهبهم وزيدته فانه

راجع الى طى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين وتسليط

الناس على اتباع الملذات وطالب الشهوات وقضاء الودار من المباحات

والمحرمات ، " وخرم " لفظ أعجمى ينسب عن الشيء المستلذذ

المستطاب الذي يرتاح الانسان اليه بمشاهدته ويهتزلرؤيته وقد كان

هذا لقباً للمزدكية . وهم أهل الاباحة من المجوس الذين نبضوا

في أيام قباز وأباحوا النساء وان كن من المحارم وأحلوا كل محظور

وكانوا يسمون : (٥) " الخرمدينية " فهو لاء أيضاً لقبوا بها لمشابهتهم

اياهم في آخر المذهب ، وان خالفوهم في المقدمات وسوابق الحيل في

الاستدراج " (٣)

(١) فضائح الباطنية ص ١١ - ١٢ .

(٢) " " ص ١٢ . (٣) فضائح الباطنية ص ١٤ .

(٦) البابكية : وهو مشيخة طائفة منهم بايعوا اسم رجل منهم يقال له بابك الخرمي .

(٧) الاسماعيلية : وهي نسبة لهم الى زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر ويزعمون أن أدوار الامامة انتهت اليه .

(٨) المسيحية : وانما لقبوا بها لامرين أحدهما اعتقادهم أن أدوار الامامة سبعة وأن الانتهاء الى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر لها .

والثاني قولهم أن تدابير العالم السفلي أعنى ما يحويه مقر فلك القمر منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر وهذا المذهب مسترق عن ملحدة المنجمين وطلعت الى مذاهب التنوية في أن النور يدبر أجزاءه -  
المترجمة بالثلثة بهذه الكواكب السبعة فهو سبب هذا التلقب (١)

المحمرة : لقبوا به لانهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك وليسوا وكان ذلك شعارهم .

والتعليمية : وسبب تلقيبهم به أن مبدأ مذاهبهم ابطال الرأي ، وابطال تصرف العقول ودعوة الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وأنه لا مدرك للمعلوم الا التعليم (٢) .

هذه هي ألقابهم وسبب تلقيبهم بها ، وقد تلاعبوا في تأويل القرآن انطازقا من هذه الاسر الفاسدة ، والاغراض الخسيسة ففسروا الالفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة بمعاني يدعون أنها باطنه وأنهم

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٦ .

(٢) " " ص ١٧ .



المقصودة من الالفاظ ، وتحقيق هذه المعاني هو ابطال للشريعة  
برمتها وذلك هو المقصود بالذات .

فمثلا : الوضوء عندهم عبارة عن مولاة الامام ، " والتيمم " هو  
الاخذ عن المأذون عند غيبة الامام الذي هو الحجة " والصلاة " عبارة  
عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى في الآية ( ٤٥ )  
من سورة المنكبوت : " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر "

و " الفسل " تجديد العهد ممن أقشى سرا من أسرارهم من غير

قصد وافشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى ( الاختتام )

و " الزكاة " عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين و ( الكعبة )

النبي و " الباب " على و " الصفا " هو النبي ( ١ )

الى غير ذلك من سخافاتهم وتحريفاتهم مما لا يقبله عقل ولا نقل وهم

بلا شك في مقدمة من يستعمل الرأي المذموم في القرآن الكريم ، بل

يتلاعب بالقرآن قصدا وبدون ارادة للخير .

والله المستعان

---

( ١ ) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٤١ .

المعتزلة : جماعة من المبتدعة ظهرت في زمن الحسن البصرى وزعيمهم هو

واصل بن العطاء ، وسبب تلقيبهم بالمعتزلة أن واصل هذا كان تلميذا

للحسن البصرى ثم حصل بينهما خلاف في القدر والمنزلة بين المنزلتين

فلرده الحسن عن مجلسه فاعتزل الى سارية من سور المسجد وانضم اليه

عمرو بن عبيد ، وأيده في بدعته فسموا معتزلة (١)

ومخالصة مذهبهم :

(١) نفى الصفات عن البارى .

(٢) يوجبون على الله اثابة المطيع وعقوبة العاصى فليسرله أن يعفو .

(٣) يوجبون على الله انفاذ وعده ووعيده .

(٤) يقولون ان مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ( أى بين الايمان

والكفر فلا يسمى مؤمنا ولا كافرا ) .

(٥) يفرضون على كل من ذهب مذهبهم أن يدعوا اليه ولو بالقوة

هذه هى أصولهم الخمسة ، قال الحافظ : " وقد سمي المعتزلة

أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفى

الصفات الالهية لاعتقادهم أن اثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله

بخلقه أشرك ، وهم فى النفى موافقون للجهمية (٢) .

وقد أقام المعتزلة تفسير القرآن على أصولهم هذه الخمسة وألوا النصوص

التي وجدوها مخالفة لهذه الاسس حتى توافقت أو أنكروها بحجة أنها

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٥ .

(٢) فتح البارى / ١٢ / ١١٤ كتاب التوحيد - طبعة الحلبيية بمصر .

خالفت العقل وأنها جاءت عن طريق الآحاد ، فقد أولوا قوله تعالى  
" واتخذنا الله ابراهيم خليلا " بمعنى اتخذه فقيرا الى رحمته وجعلوه  
من الخلعة بفتح الخاء استيحاشا أن يكون الله تعالى خليلا لاحد من  
من خلقه واحتجوا بقول زهير ، وان أناه خليل يوم مسغبة — يقول  
لا غائب مالى ولا حرم أى أن أنا فقير ، وأولوا اليد فى قوله تعالى :  
" وقالت اليهود يد الله مفلولة " <sup>(٣)</sup> بالنعمة فقالوا ان اليد ها هنا النعمة  
لقول العرب لى عند فلان نعمة (١) وفعلوا ذلك كله فرارا مما توهموا  
من التشبيه ومن ذلك أنهم أنكروا الروئية وألوهها بالانتظار فى قوله  
تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٤) وأنكروا جميع  
الاحاديث الواردة فيها بدعوى أنها جاءت عن طريق الآحاد وأنكسروا  
الجن والسحر وأخضعوا الآيات والاحاديث الدالة على وجودهما لعقولهم  
فألوهها حسب أهوائهم .

والله المستعان

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٨٢ .

(٢) النساء آية ١٢٥ .

(٣) المائدة آية ٦٤ .

(٤) القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ .

## الخوارج :

الخوارج فرقة من الفرق الاسلامية سمو بذلك لانهم خرجوا على علي

ابن ابي طالب في صفين عند اقامة الحكمين \* (١)

ومن أسسهم الذين خالفوا فيها أهل السنة تكفير أصحاب الكبراء وعلي

ضوء هذا فقد أولوا كل النصوي التي عاوضت مبدأهم ، وحملوا كل

النصوي التي فيها الوعيد بالنار بأن المقصود منها كفر صاحبها فمثلا

قوله تعالى : " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن

كفر فان الله غني عن العالمين " (٢) قالوا ان تارك الحج كافر ، وفي

قوله : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (٣) قالوا

وهذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر والفاسق ليس بمؤمن فوجب

أن يكون كافرا .

هذه بعض الآيات التي تمسك بها الخوارج في موقفهم من مرتكب الكبيرة

الذي لم يتب والتي حسبوا أنها حجج دامغة لمذهب مخالفهم من

المسلمين ولا يسه الذي يعرف سياق هذه الآيات وسباقها ويعرف

الآيات وسباقها والاحاديث الواردة في شأن عصاة المؤمنين ويتأمل قليلا

في هذه التخريجات والاستنتاجات التي يقولون بها ويمولون عليها لا يسه:

---

(١) الاحكام لابن حزم ج ١ ص ٨٦ يالهامش .

(٢) آل عمران آية ٩٧ .

(٣) المائدة آية ٤٤ .

(٤) التناين آية ٢ .

بعد هذا كله الا أن يحكم بأن القوم متعصبون ومدفمون بدافع العقيدة  
وسلطان المذهب (١) نحو الخروج عن جماعة المسلمين الذين يمثلهم  
بحق أهل السنة والجماعة .

### الجهمية :

الجهمية فرقة من أهل الاهواء انتحلت مذهب الجهم ابن صفوان ، قال  
الحافظ نقلًا عن الكرمانى "الجهمية فرقة من المبتدعة ينسبون الى جهم  
ابن صفوان مقدم الطائفة القائلة أن لا قدرة للمبد أصلا وهم الجبرية  
بفتح الجيم وسكون الموحدة ، ومات مقتولا فى زمن هشام بن عبد الملك  
وليس الذين انكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة وانما الذى أطبق  
السلف على دهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا أن القرآن ليس كلام  
الله وانه مخلوق (٢) وعقيدتهم كما هو ظاهر متركزة على نفى صفات الله  
سبحانه وتعالى ، وقد أولوا القرآن لتقرير هذا الهدأ وارتكبوا كل صعب  
وسهل من أجله .

قال الشيخ القاسمى فى خلاصة مذهب الجهم " هو تأويل آيات الصفات  
كلها والجنوح الى التنزيه البحت - على ادعائه - وبه نفى أن يكون  
لله تعالى صفات غير ذاته وأن يكون مرثيا فى الآخرة وأن يتكلم حقيقة  
وأثبت أن القرآن مخلوق هذه هى أشهر مسائل جهنم التى يقال لها

(١) التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) فتح البارى / ١٧ / ١١٢ - ١١٣ / كتاب التوحيد وانظر تعريف

لجهمية من شرح الطحاوية ص ٤٦٩ .

( مقالة الجهمية ) وله من الآراء سوى ذلك كالقول بنفي جهة الملو

والقول بالقرب الذاتى وأنه تعالى مع كل أحد ذاته (١)

القدرية :

أما القدرية فانهم نفاة القدر القائلين بأن الامر أنف كما أنهم ينغون سائر الصفات فيقولون مثلاً ليس لله عز وجل علم ولا قدره ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية كما أنهم ينغون اسماءه تعالى فيقولون ليس لله سبحانه وتعالى فى الازل اسم ولا صفة ويشارك المعتزلة هو "لا" فى كثير من آرائهم وكذلك الحمية كنفى الصفات (٢)

المرجئة :

والمرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن الايمان فيقولون لا تدخل الاعمال فى معنى الايمان ، والايمان عندهم مجرد التصديق ولا يتفاضل ولا يزيد ولا يتقصر ، وعند بعضهم أن الايمان هو المعرفة بالله ويرسله وجميع ما جاء من عند الله فقط أن ما سوى ذلك من الاقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والخوف من الله والعمل بالجوارح فليس بايمان . ولا يخفى ما فى أقوالهم من الفساد اذا يكون المناق على قولهم هذا مؤمن ويمكن أن يكون ابليس أيضاً مؤمناً لانه يعرف الله ، كما فى قوله تعالى :  
" لقد علمت ما أنزل هو "لا" الا رب السموات . . . الآية " (٣)

( ١ ) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٩ . ( ٣ ) الاسراء آية ٢ . ١٠٢ .

( ٢ ) انظر الفرق بين الفراق للبفدادى ص ٩٣ الى أى تنزيه جنح من نفى صفات الله تعالى وجعل الله ذاتا مجربة لمن الصفات والاولى أن يقال انهم جنحوا الى التعطيل .

وقد حاولت كل فرقة من هذه الفرق أن تجد من القرآن ما تؤيد به مذهبها وكلما لم يوافق مذهبها أولته حتى يوافق ، فالمذهب هو الأصل عندهم والنصوص فرع لا بد أن تخضع للأصل .

### والله المستعان {

#### المتصوفة :

المتصوفة هم الذين ينتحلون اسم التصوف وليسوا من أهله إذ التصوف هو عبارة عن الزهد عن حظوظ الدنيا الفانية وإيثار الآجلة على العاجلة والتفاني في طاعة الله والعناية بالنفس لإمارة بالسوء وأخذها بالطاعات على بينة من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا ما كان يدعوا إليه علماء السلف باسم الزهد ، وألغوا فيه المؤلفات مثل كتاب الزهد لإمام أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك وغيرهم وكان المتقدمون من الصوفية على هذا المنهج مثل الجنيد وسهل بن عبد الله التبريزي وعبد القادر الجبلي .

إلا أنه خلف من بعدهم خلف انتحلوا هذا الاسم تسترا واعتقدوا أفكارا غريبة ونحلا أخذوها من الفلاسفة والملاحدة وانتجوا إلى الحلول والاتحاد كطائفة ابن عربي والحلاج وغيرهم ، إذ فتقدوا الصوفية منهمجهم هو منهج أهل السنة والجماعة ، أما متأخروا المتصوفة فهم في الحقيقة قد جمعوا أن ياتوا شتى فهم فلاسفة وباطنية وحلولية واتحادية ، وقد أخذوا يتلاعبون بنصوص القرآن انطلاقا من مذاهبهم هذه الباطلة بل الكفرية .

كما أن هناك أيضا طوائف من الصوفية المتأخرين يفسرون القرآن بمواجيدهم  
وأذواقهم ، وقد تكون هذه المعانى التى يفسرون بها القرآن معانى  
صحيحة فى ذاتها الا أن القرآن لا يدل عليها فيخطئون فى دعواهم  
بأنها معانى للقرآن قال السيوطى رحمه الله : " وأما كلام الصوفية فى  
القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلابة فى فتاويه وجدت عن الامام أبى  
الحسن الواحد المفسر أنه قال صنف ابو عبد الرحمن السلمى حقائق  
التفسير فان كان قد اعتقل أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن صلاح وأنا  
أقول الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا  
ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك  
الباطنية وانما ذلك منهم لتذليل ما ورد به القرآن فان التذليل يذكر بالنظير  
ومع ذلك فى البيت لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الالهام والالبا (١)  
وقد ذكر الحافظ ابن القيم رحمه الله شروطا لما يقبل من تفسير الصوفية  
فقال : " وتفسيرنا سريدر على ثلاثة أصول تفسر على اللفظة وهو الذى  
ينحو اليه المتأخرون وتفسير على المعنى وهو الذى يذكره السلف وتفسير  
على الاشارة والقياس وهو الذى ينحو اليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا  
لا بأس به بأربعة شرائط أن لا يتناقض مع معنى الآية ارتباط وتلازم فانما  
اجتمعت هذه الامور الاربعة كان استنباطا حسنا (٢)  
أما اشتقاق اسم الصوفية ففيه كلام كثير واختلاف بين العلماء واسع نتركه  
لطوله فمن أراد فليرجع الى كتاب " نقد العلم والعلماء لابن الجوزى (٣)  
ص ١٥٥ وما بعدها والتفسير والمفسرون ج ٢ ص ٣٣٧ وما بعدها وغيرهما

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٨٤ . (٢) التبيان فى أقسام القرآن ص ٧٩

(٣) الاسم الذى اشتهر به هذا الكتاب هو تلبس إبليس .



من المراجع .

والذي يهنا هو مضمون منهج هو "هولاء" وليس اسمهم فقد حدثت أسماء كثيرة  
واصطلاحات عديدة لم تكن معروفة في عصر النبوة والصحابة الكرام وإذا كان  
هذا الاسم حادثا بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم فهو كغيره من الأسماء  
والاصطلاحات الحادثة والمهم أن يرد على "هولاء" وما ابتدعوا من البدع  
المخالفة للشرع وليتسموا بعد ذلك شاءوا من الأسماء .

وقد لاحظت كثيرا من بعض طلاب العلم الفيوريين على الإسلام إذا سمعوا  
اسم الصوفية عملوا عليهم حملة شعواء بدون تفریق بينهم وكأن اسم الصوفية  
يدل على ضلال "هولاء" ، وهذا خطأ يتبغى التنبيه عليه وهو ما حملتني  
أن أقف وفقه متأمل لأميز بين الحق والباطل في هذه الكلمات ، وليس هذا  
منى دفاعا عن شطحات الصوفية وخرافاتهم وبدعهم وضلالاتهم ، كما  
بل قصدى من ذلك أن يؤخذ صاحب الجريمة بجريمته ولا يؤخذ البرىء  
بذنب غيره .

قال الله تعالى : " ولا تزر وازرة وزر أخرى " النجم ٣٨

والله أعلم .

" خلاصة البحث "

ينبغي على المفسر أن يحافظ على خواص تفسير القرآن وملاحظة أنه  
أنه فن يقصد منه خدمة القرآن وبيان هدياته للناس لا خدمة المذاهب  
المنحرفة بالقرآن التي يجب أن تخضع هي لحكم القرآن ولا خدمة اللغويين  
بالقرآن ولا خدمة الفقهاء بالقرآن ولا تطبيق آيات القرآن على نحو  
سيبويه أو بلاغة عبد القاهر أو فلسفة اليونان أو الرومان أو الشطحات  
الصوفية ووجدانا تهم أو تطويع آيات القرآن للأراء الفقهية .

والله المستعان

( الباب الثالث )

" أصول التفسير عند شيخ الاسلام ابن تيمية "

وفيه فصلان :

~~~~~

الفصل الأول : ترجمة لشيخ الاسلام .

الفصل الثاني : أصول التفسير عند شيخ الاسلام

الفصل الأول

ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية

مهممممممممممم

هو الامام الحبر العلم المفسر المحدث الحافظ الناقد الحجة الفقيه
الاصولي المجتهد المطلق مفتي الفرق محيي السنة وقامع البدعة فـارس
المعاني والالفاظ ترجمان القرآن وُحد العباد وامام السالكين بقية السلف
وقدوة الخلف ، وحيد عصره ، ونسيح وحده ، بحر العلوم ومجمع الفضائل
الصابر على المحن ، عمدة المحدثين وكثر المستفيدين الامام العلامة
أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن
عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات
عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن
الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني - ولد بحران عاشر ربيع
الاول سنة احدى وستين وتحول به أبوه الى دمشق سنة سبع وستين (وتوفى
سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى) .

شيوخه وطلبه للعلم :

قال الحافظ " فسمع من ابن عبد الدائم القاسم الأربلي والمسلم بن علان
وابن أبي عمر (١) وفي طبقات المفسرين للسيوطي أنه سمع من ابن عبد الدائم
وابن أبي اليسر والمجد بن عساكر ويحيى ابن الصيرفي الفقيه وابن أبي الخير
الحداد والقاسم الأربلي والشيخ شمس الدين بن أبي عمر والمسلم ابن علان

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٥٤ .

وابراهيم بن الدرجي وخلق (١)

وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود وحصل الاجراء ونظر في الرجال
والعلم وتفقّه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الاقران وصار عجا
في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول والاطلاع
على مذاهب السلف والخلف (٢)

" وعنى بالحديث وسمع السند " مرات والكتب الستة ومعجم
الطبراني الكبير وما لا يحصى من الكتب والأجزاء (٣) ، وقرأ بنفسه وكتب
بخطه جملة من الاجزاء

وأقبل على العلوم في صغره فأخذ الفقه والاصول عن والده وعن الشيخ
شمس الدين ابن أبي عمر والشيخ زين الدين ابن المنجا وبرع في ذلك ،
وقرأ في العربية أياما على ابن عبد القوي ثم أخذ كتاب سيويه فتأمله ففهمه
وأقبل على تفسير القرآن الكريم وبرز فيه وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب
والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ونظر في علم الكلام والفلسفة وبرز في
ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ومهر في هذه الفضائل وتأهل
للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وأفتى من قبل العشرين أيضا وأمدّه
الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم ويطء النسيان حتى قال
غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئا فينساه ثم توفي والده وكان له حينئذ احدى

(١) طبقات المفسرين للسيوطي ج ١ ص ٤٦ .

(٢) الدرر الكامنه ج ١ ص ١٥٥ .

(٣) الجزء عند المحدثين تأليف الاحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة
أو من بعدهم .

وعشرين سنة فقام بوظائفه بعده فدرس بدار الحديث السكرية في أول سنة ثلاث وثمانين وخصر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي والشيخ تاج الدين القزاري وزين الدين بن المرحل والشيخ زين الدين ابن المجا وجماعة وذكر درسا عظيما في البسمة وهو مشهور بين الناس وعظمة الحجارة الحاضرون وأثنوا عليه ثناء كبيرا . (١)

وقال ابن كثير " قدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير فسمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبد الله والشيخ شمس الدين الحنبلي والشمس الدين بن عطاء الحنفى والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ومجد الدين ابن عساكر والشيخ جمال الدين - البغدادي والنجيب ابن المقداد وابن أبي الخير وابن علان وابن أبي بكر اليهودى والكمال عبد الرحيم والفخر على وابن شيبان والشرف ابن القواس ، ولابن بنت منكى ، وخلق كثير سمع منهم الحديث .

وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطبايق والاثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين وقل أن يسمع شيئا الا حفظه ثم اشتغل بالعلوم وكان ذكيا كثير المحفوظ فصار اماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه فيقال انه كان أعرف بفقهاء المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه وغيره ، وكان عالما باختلاف العلماء عالما فى الأصول " (٢)

(١) طبقات المفسرين ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣٧ .

" صفاته الخلقية "

قال الامام الذهبي في وصفه :

" كان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة
أذنيه وكان عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد ما بين
المنكبين ، جهورى الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها
بالحلم " (١)

تفوقه في العلم اعتراف معاصريه ومن بعدهم له بذلك :

كان رحمه الله متجراً في العلوم ز متفنناً فيها دقيق الاستنباط
قال الحافظ ابن كثير : " كان ذكياً كبير المحفوظ فصار اماماً في التفسير
وما يتعلق به عارفاً بالفقه فيقال انه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها
الذين كانوا في زمانه وغيّره ، وكان عالماً باختلاف العلماء عالماً في
الاصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وما قطع
في مجئس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن أن ذلك الفن منه
ورآه عارفاً به متقناً له .

وأما الحديث فكان حمله رأيته حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه
عارفاً برجاله متضلعا من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الاصول

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٦١ .

والفروع كمل منح جملة وبيضت وكتبت عنه وقرأ عليه أو بعضها وجملة كبيرة
لم يكملها وجملة كملها ولم تبيض الى الآن .

واثنى عليه وعلى علومه فضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخوي
وابن دقيق العيد وابن النحاس والقاضي الحنفى قاضى قضاة مصر ابن
الحريرى وابن الزملىانى وغيرهم .

ووجدت بخط ابن الزملىانى أنه قال اجتمعت في شروط الاجتهاد
على وجهها وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة ،
والترتيب والتقييم والتدين وكتب على تصنيف له هذه الابيات .

ماذا يقول الواصفون له - وصفاته جللت عن الحصر
هو حجة لله قاهره - هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آيقى الخلق ظاهرة - أنوارها أربت على العجز

وقال الحافظ ابن حجر فى ترجمته : " قرأ بنفسه ونسخ سنن أبى
داود وحصل الاجراء ونظر فى الدجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وص
وصنف ودرس وأفتى وفاق الاقران وصار عجبا فى سرعة الاستحصار وقسوه
الجنان والتوسع فى المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف (١)

وقال الذهبى فى ترجمته " عنى بالحديث ونسخ الاجزاء ودار على
الشيخ وخرج وانتقى وبرع فى الرجال وعلل الحديث وفقهه ، وفى علوم

الاسلام وعلم الكلام وغير ذلك وكان من بحور العلم ومن الاذكياء المعدودين
والزهاد الافراد والشجعان الكبار والكرماء الاجواد ، أثنى عليه الموافق
والمخالف وصارت بتصانيفه الركبان " (١)

وقال الامام الشوكاني رحمه الله : " أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله
وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما " (٢)

وقال الذهبي في معجم شيوخه : " شيخنا وشيخ الاسلام وفريد
العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء " وتنويرا اليهيا وكرما ونصحا للامة
وأدبرا بالمعروف ونهيا عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه بن طلبه
وكتب وخرج ونظر في الدجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع
في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد الى
مواضع الاشكال واستنبك أشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث
وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزوا الى أصوله وصحابيه مع
شدة استحضار له وقت اقامة الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف
الدينه كتب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث اذا أفتى لم يلتزم بمذهب
بل بما يقوم دليله عنده وأتقن العربية أصولا وفروشا وتعليلًا واختلافًا ونظر
في العقلية وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطأهم وحذر ونصر
السنة بأوضح حجج وأبهر براهين وأوذى في ذات الله من المخالفين وأغيف
في نصر السنة المحضة حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته
والدعاء له وكبت أعدائه وهدى به رجالا كثيرة من أهل المل والنحل .

(١) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩٦ . (٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد
القرن السابع ج ١ ص ٦٤ .

وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته وأحى به الشام بل الاسلام بعد أن كاد ينتلم خصوصا في كائنه التتار وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى فلو حلفت بين الركن وللمقام لحلفت أنى مارأيت بعينى مثله وأنه ما رأى مثل نفسه " (١)

وقال الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى في ترجمة شيخه المزى " وهو الذى حدا بى على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمیه فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا وكاد أن يستوهب السنن والآثار حفظا ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر فى الحديث فهو صاحب علمه وذو درايته أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته برز فى كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه .

كان يتكلم فى التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ويودون من بحره

العذب النمير ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير " (٢)

(١) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى

ج ٦ ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدمشقى ص ٢٦ .

وقال ابن الزمطكانى : " كان اذا سئل عن فن من العلم ظل الرأى والسامع
أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرف مثله وكان الفقهاء
من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه ما لم يكونوا
عرفوه قبل ذلك ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ولا تكلم فى علم من
العلوم رسوا كان من علوم الشرع أو غيرها الافاق أهله والمنسوبين اليه
وكانت له اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب -
والتقسيم والتبيين " (١)

ومدحه أبو حيان صاحب البحر المحيط بالابيات التالية :
لما أتينا تقى الدين لاج لنا - داع الى الله فرد ماله وزر
على محيا من سما الاولى صحيو- خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا - بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا- مقام سيد تيماذ عصمت مضر
فأظهر الحقاذ آثاره درست - وأحمد الشراذ طارت له شرر
كناحدث عن حبر يجىء فيها - أنتالامام الذى قد كان ينتظر (٢)

وكتبنا لذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه فى حق ابن
تيمية فأجابه ومن جطة الجواب ، أما قول سيدى فى الشيخ تقى الدين

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدمشقى ص ٥٨ .

(٣) الرد الوافر ص ٦٣ - ٦٤ .

فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي تجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسه أكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا يفرض سواه وجرية على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وفراية مثله في هذا الزمان بل من أزمان " (١)

وقال أيضا لم ير من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة ، والشدة

من الناقل - أحفظ منه " (٢)

ومن نوادر ما حكى عنه من قوة الحفظ وفرط الذكاء ما ذكره ابن - عبد الهادي في كتابه " العقود الدرية " فانه قال انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه ، قال واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم الى دمشق وقال سمعت في البلاد بصبي يقال له أ: عمد بن تيمية وانه سريع الحفظ وقد جئت قاصدا لعلى أراه فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو الى الان ما جاء فاقعد عندنا الساعة يجي يعبر علينا ذاهبا الى الكتاب فجلس الشيخ الحلبي قليلا فمر صبيان فقال الخياط للحلبي : هذاك الصبي التي معه اللوح الكبير هو أحمد ابن تيمية فناده الشيخ فجاء اليه فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) الحافظ ابن تيمية للندوي ناظلا عن القول الحلبي ص ١٢٠ .

يا ولدى اصح هذا حتى املى عليك شيئا تكتبه ففعل ، فأملى عليه من فنون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا وقال له اقرأ هذا لم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته اياه ثم دفعه اليه وقال اسمعه على فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع فقال له يا ولدى اصح هذا ففعل فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ثم قال اقرأ هذا فنظر فيه كما فعل أول مرة فقال الشيخ وهو يقول ان عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم فان هذا لم ير مثله " (١)

وقال الذهبي : " كان يحضر المدارس والمحافل في صغره ويناظر ويفهم الكبار ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم " (٢)

وقال : " له باع طويل في معرفة أقوال السلف وقل أن تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلا بالاسكندريشة التمس منه صاحب سيفة أن يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة أوراق بأسانيد من حفظه بحيث يصجز أن يعمل بعضه أكبر من يكون وأقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين " (٣)

(١) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية ص ٤ .

(٢) " " " " " " (٢)

(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٦٨ .

وقال الزار (١) : " أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم

القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لاقوال العلماء في تغييره واستشهاده بخ
بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره ،
وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته فإنه فيه من الغاية التي ينتهي إليها
النهاية التي يعول عليها ولقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن
العظيم يشروع في تفسيرها فينقضي للمجلس بجملة والدرس برمته وهو في
تفسير آية منها وكان مجلسه في ^{بغداد} يقدر بربع النهار يفعل ذلك
بديهية من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئا معيناً بيته ليتستعد
لتفسيره بل كان من حضر يقرأ ما تيسر ويأخذ هو في تفسيره .

وكان غالباً لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد
لاورد أشياء أخر في معنى ما هو فيه من التفسير لكن يقطع نظراً في مصالح
الحاضرين ولقد أملى في تفسير " قل هو الله أحد " مجلداً كبيراً .

(١) هو الشيخ العالم الفقيه المحدث سراج الدين أبو حفص عمر بن علي

بن موسى بن خليل البغدادي الأزجي الزار .

ولد سنة ٦٨٨ تقريباً وسمع من علماء بغداد من عبد الله بن عبد المؤمن

الواسطي واسماعيل بن الطبال ومحمد بن عبد المحسن وغيرهم .

ثم رحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها ومن بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية

الذي لازمه وجالسه وخصه بترجمة مستقلة .

توفي رحمه الله سنة ٧٤٩ هـ وهو في طريقه إلى الحج من بغداد -

انظر ترجمته من الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٥٦ والرد الوافر ص ١١٧ .

أما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعاه وعزواته وسراياه وبعوثه وناخضه الله تعالى من كرماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيم وبقية المنقول عن الصحابة رضی اللہ عنہم فی أقوالہم وأفعالہم وقضایاہم وفتاویہم وأحوالہم وأحوال مجاہداتہم فی دین اللہ وما خصوا بہ من الامۃ فانہ کان رضی اللہ عنہ من أضبط الناس لذلك وأعرضهم فيه ، وأمرهم استحضارا لما يريدہ منہ فانہ قل ان ذکر حدیثا فی مصنف أو فتوی أو استشہد بہ أو استدلال بہ الا ، وعزاه فی أى دواہین الاسلام ہو ومن أى قسم من الصحیح أو الحسن غیرہما و ذکر اسم روایۃ من الصحابة وقل ان یسأل عن أثر الا وین فی الحال حاله وحال أمره وذكره .

ومن أعجب الاشياء فی ذلك أنه فی محنته الاولى بمصر لما أخذ وسجن وحیل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغارا وكبارا وذكر فيها ما احتاج الى ذكره من الاحاديث والاثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين وموافقاتهم وعزا كل شىء من ذلك الى ناقله وقائله بأسمائهم وذكر أسماء ¼ الكتب التي ذكر فيها وأى موضع هو فيها ؟ كل ذلك بديهية من حفظه لانه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطلعه ونقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير ومن جملة كتاب " الصارم الصلوم على شاتم الرسول " (١)

(١) الاعلام العلية فى مناقب - ابن تيمية ص ٢٢ - ٢٤ .

زهده وورعة وتعبدده :

كان شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله متفوقا في العلوم كما ذكرنا على أقرانه وكان هذا التفوق الذي ناله يمكنه من أن يتقلد الوظائف العالية مثل رئاسة القضاء التي كان هو بحاجة اليها لكثرة مناوئيه وأعدائه ولو أنه سعى لذلك لما كان يحول أحد دونه لما كان له من المنزلة عند الحكام وقد مر بنا قول الامام الذهبي " وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته " ، الا أنه مع توفره الاهلية فيه وتيسر الاسباب الى الوصول تعفف وزهد عن ذلك ولم يعرف أنه تولى شيئا من المناصب طول حياته فخلصت منافحته للاسلام لا دخل فيها لحب المناصب والمنافسة في الوصول الى السلطنة والحرص على الجاه بل انه أبلغ من ذلك عن كل من آذاه حين قدر عليهم واستطاع أن ينتقم منهم وذلك حين عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الحكم فقتل استشاره في قتل العلماء الذين آذوه وسجنوه بل وحكموا بقتله فأبى عليه بل وأثنى عليهم ودافع عنهم مما كان له أبلغ الاثر في نفوسهم بعد ذلك قال ابن عبد الهادي : " وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله

يذكر أن السلطان لما جلسنا بالنباتك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتاه في قتل بعضهم قال : ففهمت مقصوده وأن عنده

حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس (١)

(١) بيبرس الجاشنكير هو بيبرس البرجي العثماني الجاشنكير الملك المظفر أحد السلاطين في عهد المماليك كان موصوفا بالخير والديانة والتعفف والعقل التام وهو الذي تسلطن في عهد الملك الناصر في مصر كانت وفاته في أواخر ذي القعدة ٧٠٩ هـ ، انظر ترجمته في الدرر الكامنه ج٢ ص ٣٦٠

الجاشنكير فشرحت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في نزلتك ، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي وسكنت ما عنده عليهم قال فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعسي في فيه ولما قدر علينا عفا عنا (١) .

هذا هو شيخ الاسلام ابن تيمية بلغ الى هذه المرتبة من العلم والفضل أولا ثم الجاه عند السلطان ثم لا يحمله ذلك كله على الفرور بل يزداد تواضعا كلما ارتفع شأنه ويزداد زهدا كلما أقبلت عليه الدنيا يقوم المعاصرون ضده ويتكالبون عليه بدافع الحسد والحقد من ذبوع صوته وارتفاع سمعته في المجتمع ، ينالون منه ثم يبطل الله كيدهم بعد حين فيكون الامر بيده في شأنهم ثم يعفو ويصفح ويدافع عنهم ولا يركن الى الانتقام بل يحتسب كلماناله من الاذى عند الله انه لا يطلب شيئا من الوظائف مع أنه لو طلبه لما تردد السلطان في توليته بأي وظيفة يريد الا أنه آثر بأن يكون على وظيفته الاصلية وظيفته الارشاد والتعليم والتدريس والدفاع عن الاسلام بعيدا عن حظوظ الدنيا واغراءاتها قال صاحب فوات الوفيات في ترجمته بعد كلام سبقه في ذكر نسبه وولادته وشيوخه قال : " وصار من أئمة النقد ومن علماء الاثر مع التدين والذكر والصيانة والنزاهة من حطام هذه الدار " والفراغ عن ملاذ النفس من اللباس الجميل والمأكّل الطيب والراحة الدنيوية (٢)

(١) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية ص ٢٨٢ .

(٢) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ ج ١ ص ٧٤

وقال الذهبي : " ولم أر مثله في ابتهاله واشتغاله وكثرة توجهه (١)

وقال في مكان آخر : " فيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس " (٢)

وقال : " انه دائم الابتهاال كغير الاستعانة قوى التوكل ثابت الجأش له

أوراد وأذكار يدبجها بكيفية وجمعية " (٣)

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله قال بعض قدماء أصحاب شيوخنا

وقد ذكر نبذه من سيرته ، أما مبدأ أمره ونشأته فقد نشأ من حين نشأ

في حجور العلماء ، اشفا كوس الفهم راتعا في رياض التفقه ودوحات -

الكتب الجامعة لكل فن من الفنون لا يلوى الى غير المطالعة والاشتغال

والاخذ بمعالي الامور خصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها

ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا متأثرا من الدنيا صينا تقيا برا

بأمره ورعا عفيفا عابدا ناسكا صواما قواما ذا كرا الله تعالى في كل أمر

وعلى كل حال راجعا الى الله تعالى في سائر الاحوال والقضايا والاعمال

عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر

لا تكاد نفسه تشبع من العلم فلا تروى من المطالعة ولا تمل من الاشتغال

ولا تكل من البحث . . . الى أن قال - ولقد سمعته في مبادئ أمره

يقول : انه ليقف خاطري في المسئلة والشيء أو الحالة التي تشكل على

فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٦١ .

(٢) الرد الوافر ص ٣٣ .

(٣) الرد الوافر ص ٣٤ .

اشكال ما أشكل قال وأكون اذ ذاك فى السوق أو المسجد أو الدرب
أو المدرسة ، فلا ينعنى ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال
مطلوبى قال هذاالصاحب : ولقد كنت فى تلك المدة وأول النشأة
إذا اجتمعت به فى ختم أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين
وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب وتأثيرا فى
النفوس وهيبة مقبولة ونفعا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التى سمعته
أياما كثيرة بعقبه حتى كان مقاله بلسان حاله وحاله ظاهر فى مقالته
شهدت ذلك منه غير مرة .

قال ابن عبد الهادى : " قلت ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله
فى ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والاشغال وبث العلم ونشره
والاجتهاد فى سبل الخير حتى انتهت اليه الامامة فى العلم والعمل
والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والاناء والجلالة والمهابة
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة
والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله وكثرة الخوف منه
وكثرة المراقبة له وشدة التصك بالاثر والدعاء الى الله وحسن الاخلاق
ونفع الخلق والاحسان اليهم والصبر على من آذاه ويصفح عنه والدعاء
له وسائر أنواع الخير ، وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين وشجى
فى حلوق أهل الاهواء المبتدعين ، واماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين (١)

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٥ - ٧ .

(شجاعته)

أما شجاعته وجرأته على الحق وعدم مبالاته فيما يناله في ذلك من
الاذى فشىء يفوق التصور والا يقع بالبال وقد أجمعت كلمة المترجمين
له بذلك قال الذهبى رحمه الله : " أما شجاعته وجهاده واقدامه
فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت " (١) وموقفه في الحرب الحاسمة مع
التر معروف وذلك حين جاءت جنود التتر الى الشام وهزمت صاكرالناصر
ابن قلاوون وفشتوهم بعد أن أبلى الجيش بلاءً حسناً فولى جند مصر
والشام الأديبار قافلا الى مصر وأقربت جيوش التتر الى مدينة دمشق مما
جعل أهلها في ذكر وخوف شديد ولأن كثير من أعيان العلماء الى الفرار
والرحيل الى مصر وكان من هؤلاء الأعيان قاضى الشافعية امام الدين
وقاضى المالكية الزواوى وغيرهم من كبار العلماء حتى صار البلد خاليا
من العلماء والحكام ففي هذه الحالة بقى شيخ الاسلام ابن تيمية مع الناس
فلم يخرج لان له قلبا يحول بينه وبين الفرار .

فلم يرضه أن يترك الناس من غير مواس في هذه البؤساء تكرر أمور
الناس فوضى لا حاكم يردع ولا نظام يمنع فجمع أعيان البلد واتفق معهم على
ضبط الامور وارسال وفد الى ملك التتر يكلمونه في الامتناع عن دخول دمشق
فكان هو على رأس هذا الوفد فالتقى بلقازان ملك التتر وقد كسا الله الشيخ
حله من المهابة والايمان والتقى فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله

(١) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية ص ٢٣ .

فى العدل ويرفع صوته ويقرب منه والسلطان مع ذلك مقبل عليه مصغ لما
يقول شاخص اليه لا يفض عنه وان السلطان من شدة ما أوقع الله فى قلبه
من الهيبة والمحبة سأل من هذا الشيخ ؟ انى لم أر مثله ولا أثبت
قلبا منه ولا أوقع من حديثه فى قلبى ولا رأيتنى أعظم انقيادا لاحد منه
فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ومما خاطبه عن طريق الترجمان
" قل للقاان أنتزعم أنك مسلم ومعك قاضي وامام وشيخ ومأذنون على
ما بلغنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذى عملت عاهدا فوقيا
وأنتعاهدت فغدوت وقلت فما وفيت وجرت ثم خرج بعد هذا القول
من عنده معززا منكرا بحسن نيته (١) هذه واقعة وهى تدل على شجاعته
النادرة وقد خاض بعد ذلك المعارك مع الجيوش المصرية والشامية ضد
التتر فى الدفاع عن المسلمين فى الشام وقد كان يحرض الجيوش على
الجهاد ويقرء عليهم آيات الجهاد ويذكر لهم ما وعد الله للمجاهدين
من الاجر العظيم والشهادتقى سبيله حتى كتب الله لهم النصر فى وقعة
" شقحب " المشهورة هذا فى ساحة القتال أما محاربة البدع والخرافات
ومقاومة شتى الفرق الضالة والزاهم الحجة حتى لجأوا الى القوة أحيانا
فأمر كان ينفرد به رحمه الله ولا يشاركه فيه أحد وكان لا يعرف الخوف ،
والمداهنتقى ذلك وهذا كله يدل على أنه بلغ فى الغاية القصوى من ا-
الشجاعة ولولا ذلك لما وقف بهذه المواقف ، ولعمري الله ان التمرد على

(١) ابن تيمية لابي زهرة ص ٣٧ مع تصرف .

الاضاع الفاسدة ومخالفة ما ألف الناس في مجتمهم من التقاليد ومواجهة
اساطينهم وأئمتهم ليس بالشىء الهين الذى يستطيع أن يتصدى له كل
أحد كلاً لا لا يمكن أن يتصدى لذلك الا من رزقه الله بشجاعة
نادرة وعزيمة ماضية وتوفيق من الله سبحانه .

وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله صاحب هذه الأوصاف
كلها ولذلك دخل كل ميدان وفاق فيه أهله ميدان العلم وميدان الجهاد
والشجاعة والزهد والقناعة والذكاء والحفظ والحلم والعفو وغير ذلك من
الميادين .

جهوده الإصلاحية :

عاش شيخ الاسلام ابن تيمية فى عصر شاب الاسلام - أصوله -
وفروعه - ما شابه من البدع ، وعلق به معلق به من معلومات أجنبية عنه
وصارت القدوة التى تقتبس منها الآراء والقواعد قدوة أجنبية .

ففى أصول الدين دخلت الفلسفة اليونانية فى أصول الدين عن
طريق علماء الكلام الذين تأثروا بها أيمتأثر ونقلوا مصطلحاتها الى مباحث
التوحيد وصفات البارى جل جلاله .

وقد ظهر علم الكلام لمقاومة الفلسفة ونصرة الدين - كما يقولون -
وكان ذلك لازماً غير انه تأثر بالفلسفة وتسربت اليه روحها حتى تكونت "فلسفة
دينية" تنتهج نفس المنهج وتبحث نفس الموضوع وتتبع نفس الاسلوب فى

البحث والاستدلال ومتعبد نفس الخطأ في اعتبار ذات الله وصفاته وقضايا ما وراء العقل أمورا عقلية يمكن اثباتها عن طريق العقل وكذلك تسيطر عليه روح عدم الاقتناع بما جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من شرح وتعبير في هذا الموضوع واستخدام مصطلحات يونانية تقوم على علم محدود ناقص وتثير الشبهات الامر الذي دعا الى تعقد القضايا وتوسعها بله أن تنحل أو تختصر ووجدت " فلسفة الهية " وكتب ضخمة في شرح العقائد ازاء اسلوب مقنع مؤثر كان جديرا بشحن النفوس بالايمان والاذعان واقناع العقول في كل زمان وكان مؤسسا على نصوص الكتاب والسنة (١) .

ومن جهة أخرى فقد علق في قلوب كثير من الناس ركام من الخرافات عن طريق أهل التصوف باعتقادهم بأن للاولياء تصرفا في الكون وأن العبد اذا حزه أمر يناديهم بأسمائهم ويستغيثهم فيقضون له حاجته والعكوف على قبورهم وتقديم النذور والقربات اليهم واعتقاد كثير منهم بعقيدة ابن عربي - الحلول والاتحاد - وتقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، (وقتنة الرموز والاسرار والعلم الدفين وسقوط التكاليف الشرعية عن الكاملين والواصلين واستنواؤهم من الاحكام الشرعية كل ذلك كانت معتقدات وأفكارا نالت اعجاب طبقة كبيرة من المتصوفين (٢) والعوام المغرورين بهم

(١) رجال الفكر والدعوة في الاسلام للندوي ص ١٠ - ١١ .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الاسلام ص ١٤ .

كما أن الروافض كانوا يقومون بدور خطير في بث أفكارهم الهدامة من سب للصحابة الكرام وادعاء العصمة لائمتهم وادعائهم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا وأن الباطن لا يمكن معرفته الا عن طريق أئمتهم المعصومين وادعائهم الزيادة والنقص في القرآن الى غير ذلك من صلاتهم ودعائهم الباطلة .

فروع الشريعة

~~~~~

أما فروع الشريعة فقد شاع فيها التعصب المذهبي ومع أن هناك علماء فلاحا حل عصرنا شيخ الاسلام ابن تيمية كقاضي القضاة كمال الدين ابن الزمطكاني المتوفى ٧٢٧ هـ وقاضي القضاة جلال الدين القزويني المتوفى ٧٣٩ هـ وقاضي القضاة تقي الدين السبكي المتوفى ٧٤٦ هـ والعلامة أبي حيان النحوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ والحافظ أنى الحجاج المزى المتوفى ٧٤٢ هـ والحافظ علم الدين البرزالي المتوفى ٧٣٩ هـ والعلامة لشمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٧ هـ والحافظ المؤرخ اسماعيل ابن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ وغيرهم ، الا أن مع وجود هؤلاء كلهم كان العلم والتأليف يتسم بالسعة وقلة العمق ويغلب عليه طابع النقل والاقتباس باستثناء عدد من الشخصيات كان أغلبهم من تلاميذ شيخ الاسلام .

وتكونت للمذاهب الفقهية قوالب من جديد لا تقبل المرونة والتسامح وان كان القول السائد أن الحق دائر بين المذاهب الاربعة ولكن اتبع



كل مذهب يرجحون مذهبهم الفقهي على سائر المذاهب الفقهية ويعتبرونه مقبولا وموئيدا من الله كانوا يبذلون كل ذكائهم وقوة بيانهم وتأليفهم فسي ترجيحه وتفضيله على غيره (١) ، وقد كان الامر يصل أحيانا الى حد المواجهة ويستخدم صاحب المنصب منصبه ضد أصحاب المذاهب الأخرى ويستخدم صاحب المنصب منصبه ضد أصحاب المذاهب الأخرى لنصرة أهل مذهبه أو كسر شوكة الآخرين ، يتولى مثلا أحدهم رئاسة القضاء فيعزل عن القضاء كل من ليس في مذهبه ويولى أهل مذهبه ثم يأتي آخر من المذاهب الأخرى على رئاسة القضاء فيفعل مثل ذلك وهكذا دواليك . . .

عاش شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا العصر الذي تقدمت صفته وقد كانت تتلخص جهوده الإصلاحية ارجاع الاسلام الى عهده الاول وتنقيته مما شابه من البدع والانحرافات ، وهذا في حد ذاته ليس أمرا هينا فان هذا يتطلب أولا علما واحاطة بالاسلام اصوله وفروعه ثم علما بما شابهه وعلق به وليس منه حتى يمكن فصله واستبعاده عنه ، ثم يتطلب أيضا جرأة وشجاعة لمواجهة أصحاب هذه الافكار التي يزعم ابعادها وتصفيتها عن الاسلام لان من المعلوم أن أصحاب هذه الافكار سوف لا يقفون مكتوف الايدي مع محاربة ما يعتقدون صوابا فانهم باختلاف مذاهبهم واعتقاداتهم يستحذرون عدوهم المشترك الذي يريد أن ينتقد مذاهبهم فيحسب من يريد نقد مذاهبهم لهم ألف حساب ويصبر محتسبا ان نالوا منه الأذى وهذا كله كان من شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

---

(١) رجال افكر والدعوة في الاسلام ص ٢٩

فانه كان عالما بالاسلام متضلعا منه سحيطا بأطرافه ثم عارفا بما  
طرأ عليه من المذاهب والفلسفات والبدع ثم رزقه الله جرأة وشجاعة وثباتا  
على الحق وصبرا على ما يناله من الاذى فى سبيل ذلك ، وقد كانت هذه  
عناصر نجاحه فى ذلك وسر تحركه الى هذه الامور ، وأى داعية تحققت  
فيه هذه الصفات فانه سيكون مضمون النجاح فى دعوته ، وسيكون فشله  
فى الدعوة بقدر ما فقد من هذه الصفات .

وشيوخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كان منهجه محمدا واضحا  
لا يقبل اللبس وهو منهج السلف الصالح ، فتجده رحمه الله مهاجلا فى  
الاحتجاج وصال فى المناظرة فهو ينطلق منه ويؤوب اليه وقد صدق الشيخ  
أبو زهرة فى تحديد منهجه حيث قال : " وكان مهاجلا من كل الوجوه  
هو آراء السلف دائما لا يتجاوزها الى غيرها ولا يعدوها قيد أنملة  
وحيث ما وجد فكرة لسلفه ليس فى الآثار ما يناقضها اعتبرها الاسلام فى  
موضعها ولا يتجاوزها الى غير سبيلها لان سبيلهم سبيل المؤمنين وشرع  
رب العالمين " (١)

وقد سار فى انتقاداته ومناظراته ودعوته كلها على هذا المنهج  
الواضح الذى لا يتعدى حدود العقل ولا هداية الفطر السليمة .

وقد ناقش شيخ الاسلام رحمه الله هؤلاء الفرق بدون مهادة يشترط  
عليهم حينما ويلين لهم القول أحيانا أخرى .

---

(١) ابن تيمية - حياته وأراءه الفقهية لأبي زهرة ص ٢٢٠ .

وكان مما أخذ عال المتكلمين مثلاً اعتمادهم على العقول واجلالهم

للفلاسفة والفلسفة اليونانية ، وقد كانت مناقشة معيهم تتسم بالشدّة وكان

الموقف يتطلب ذلك لانه في جانب الله سبحانه وتعالى وجانب سلف

هذه ثلاثة الذين هم حملة هذا الدين الى الاجيال المتأخرة ويهكّن تلخيص

مآخذة على الفلاسفة وأهل الكلام فيما يلي : -

١ - أسلوب أهل الكلام يختلف عن أسلوب القرآن فهم يخطون في الاثبات

ويفصلون في النفي ، وأسلوب القرآن بالعكس يجعل في النفي ويفصل

في الاثبات أي في صفات الله تعالى .

٢ - تقديم العقل على النقل وادعاء أن العقل أصل النقل .

٣ - تقتضي كلام الفلاسفة وأتباعهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم

واخوانه من الانبياء لم يبينوا الشرائع لا اتباعهم ولا يعرفون الخوض

في المسائل الباطنة وهذا لا يقوله مسلم .

٤ - انتقادهم لسلف هذه الامة واتهامهم بعدم الفهم والتعمق في

معاني القرآن والحديث ، واعطاء هذه الصنفة للخلق التي غير ذلك

مخالفة أسلوبهم لاسلوب القرآن :

---

فأسلوبهم يخالف الاسلوب الذي جاء به الانبياء فالقرآن جاء بالاثبات

الفصل في أسماء الله وصفاته ، قال تعالى : " الله لا اله الا هو الحي

القيوم ... الآية " (١) .

---

(١) البقرة آية ٢٥٥ .

وقوله : " قل هو الله أحد الله الصمد " (١) ، وقوله :  
" وهو العليم الحكيم " (٢) ، " وهو العليم القدير " (٣) ، " وهو السميع  
البصير " (٤) ، " وهو العزيز الحكيم " (٥) ، " وهو الغفور الرحيم " (٦)  
" وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد " (٧) ، " هو  
الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم " (٨) ، " هو الذى  
خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى  
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما  
كنتم والله بما تعملون بصير " (٩) وقوله " وكلم الله موسى تكليما " (١٠)  
وقوله " هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن  
الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن  
المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون " .

---

(١) سورة الاخلاص آية ١ ، ٢ .

(٢) سورة التحريم آية ٢ . (٣) صورة الروم آية ٥٠ .

(٤) سورة الشورى آية ١١ .

(٥) سورة لقمان آية ٩ .

(٦) سورة يونس آية ١٠٧ .

(٧) سورة البروج آية ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٨) سورة الحديد آية ٣ .

(٩) سورة الحديد آية ٤ .

(١٠) سورة النساء آية ١٦٤ .

وقوله تعالى : " هو الله الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنى

يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " (١)

الى أمثال هذه الآيات الكثرة والاحاديث الثابتة عن النبى

صلى الله عليه وسلم فى أسماء الرب تعالى وصفاته فان فى ذلك من اثبات

ذاته وصفاته على وجه التفصيل واثبات زهدانيته بنفى التمثيل ، ما هدى ال

الله به عباده الى سوا السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين (٢) . ¼

أسلوب الفلاسفة وأتباعهم :

---

" أما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا

الكتاب ومن دخل فى هوء لا من الصائبة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة

والباطنية ونحوهم فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه

التفصيل ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل وانما

يوجع الى وجود فى الازمان يمتنع تحققه فى الايمان ، فقولهم غاية

التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونه بالمتنعات والمعدومات والجمادات

ويعطلون الاسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات ففلاتهم يسلبون عنه

النقيضين فيقولون لا موجود ولا معدوم ولا حى ولا ميت ولا عالم ولا جاهل

---

(١) الحشر الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٣ ص ٥ - ٧ بحذف بعض الفقرات  
الفقرات للاختصار .

لانهم يزعمون أنهم اذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات واذا وصفوه  
بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين ، وهذا ممتنع في بداهة  
العقول وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول فوقعوا في شر  
ما فروا منه فانهم شبهوه بالمتنعات اذ سلب النقيضين كجمع النقيضين  
كلاهما من المتنعات ، وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة  
ومن اتبعهم فأثبتوا لله الاسماء دون ما تضمنته من الصفات فمنهم من جعل  
العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات ومنهم من قال  
عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سميع ولا بصير ، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه  
من الصفات . . . مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٧ - ٨ .

تقديم العقل على النقل :

---

أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أن العقل الصحيح لا يخالف  
النقل الصحيح فاذا حصل التعارض بين العقل والنقل ينظر الى النقل  
فان ثبتت صحته كان دليلا على فساد العقل المعين لان العقل لا يمكن  
له أن يخالف النقل الصحيح وقد ألف في ذلك كتابه " درء تعارض العقل  
والنقل " وأثبت في هذا الكتاب عدم مخالفة العقل للنقل وأنها متوافقان  
وأن النقل الصحيح هو الاصل وهو الحاكم على العقل والموجه له وأن مقتضى  
تشييد العقل ورفع شأن الفلاسفة وأتباعهم أن الرسول لم يبين الشرائع وقد  
بين رحمه الله فساد قانونهم العقلي الذي عارضوا به النقل الصحيح قال  
رحمه الله : " ولما كان بيان مراد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه

الأبواب لا يتم الا بدفع المعارض العقلي وامتناع تقديم ذلك على نصوح  
الانبياء بينا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به  
الناس عن سبيل الله <sup>بين</sup> فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر اذ كان  
أى دليل أقيم على بيان مراد الرسول لا ينفع اذا قدر أن المعارض —  
العقلي القاطع ناقضه بل يصير ذلك قدحا في الرسول وقدحا فيمن —  
استدل بكلامه وصار هذا بمنزلة المريض الذي به أخلط فاسدة تمنع —  
انتفاعه بالفداء فان الفداء لا ينفعه مع وجود الاخلط الفاسدة التي  
تفسد الفداء فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع  
على نفس الصفات أو بعضها أو نفى عموم خلقه لكل شيء أو نفى أمره و—  
أو امتناع المعاد أو غير ذلك لا ينفعه الاستدلال عليه في ذلك بالكتاب  
والسنة الا مع بيان فساد ذلك المعارض " (١)

ثم بعد دفع المعارض العقلي " قد علم بالا اضطرار من ديين  
الرسول والنقل المتواتر انه دعا الخلق الى الايمان بالله ورسوله ولم يدع  
الناس بهذه الطريق التي قلم انكم اثبتتم بها حدوث العالم ونفى كونه  
حسبما وآمن بالرسول <sup>بين</sup> آمن به من المهاجرين والانصار ودخل الناس  
في دين الله أفواجا ولم يدع أحدا منهم بهذه الطريق ولا ذكرها أحد  
منهم ولا ذكرت في القرآن ولا حديث الرسول ولا دعابها أحد من الصحابة  
والتابعين لهم باحسان الذين هم خير هذه الامة وأفضلها علما وايماننا  
وانما ابتدعت هذه الطريق في الاسلام بعد المائة الاولى وما انقرض عصر

أكابر التابعين بل وأوساطهم " (١)

أما موه خذته عليهم بعدم تقديرهم بعلم السلف واتهامهم بعدم التعق في المعاني فقد كانتفى غاية من القوة والشدة وفى مثل هذا ال الموقف لا ينفع اللين .

قال رحمه الله : " فان موهلاء الصبذة الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم : " ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني " (٢) وأن طريقة الخلف هى استخراج — معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الاسلام وراء الظاهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس لله فى نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الامر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا متردد بين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهى التى يسمونها " طريقة السلف " .

(١) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٩٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٧٨ .



وبين صرف اللفظ الى معان أخرى بنوع تكلف وهى التى يسمونها "وطريقة الخلف" فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع ، فان النفى انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهى شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه ، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكهريتتين كانت النتيجة استجهاال السابقين الاولين واستنبلاهم واهتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهى وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله .

وهذا القول اذا تدبره الانسان وجدته فى غاية الجهالة بل فى غاية الضلالة ، كيف هو "لا" المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب ممن المتكلمين الذين كثر فى الدين اضلرابهم وغلظ من معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه أمرهم حيث يقول :

لعمرى لقد باغت فى المعاهد كلها - وسيرت طرفى بين تلك المعالم فلم أرا الا واضعا كف حائر - على ذقن أوقارعا سن نادم

وقال بعد حكاية كلامهم وندامتهم فى اشتغالهم بعلم الكلام ورجوعهم عن مذاهبهم الكلامية قال : " كيف يكون هو "لا" المحجوبون المنقوصون المسبوقون المفضلون الحيارى المتهوكون .

أعلم بالله واسمائه وصفاته وأحكم فى باب ذاته وآياته من السابقين الاولين ، من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب

وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع  
الانبياء فضلا عن سائر الامم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف  
وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لا استحي من يلمسب  
المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير هذه الامة أنقص في العلم والحكمة لاسيما  
العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هو "لا" الا صاغر بالنسبة اليهم ؟  
أم كيف يكون أفراخ الفلاسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس  
والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم وأشباههم أعلم  
بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان ؟

وانما قدمت هذه المقدمة لان من استقرت عنده هذه المقدمة علم  
طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره ؟ وعلم أن الضلال والتهوك  
انما استولى على كثير من المتأخرين بنهذهم كتاب الله وراه ظهورهم  
واعراضهم عما بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من البيئات  
والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم  
معفرقة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه وشهادة الأمة على ذلك (١)

---

(١) نقلا عن العقود الدرية ص ٧١ - ٧٦ .



كما بين أنهم ليسوا معصومين بل العصمة للأنبياء فقط فيما يبلغون  
عن بسم جل وعلا وليست للأولياء وأن خوارق العادات ليست دليلا على  
الولاية وأن الأنبياء أفضل من الأولياء ورد بعض من كان يعتقد أن من  
الأولياء من يفضل الأنبياء .

كما أنه رحمه الله بين فيه صفات أولياء الشيطان وعلاماتهم وأحوالهم  
الشيطانية . .

قال رحمه الله : " إذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والغبائث التي  
يحبها الشيطان أو يأوى الى الحمامات والحشوش التي تحفرها الشياطين  
أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وأذان الكلاب التي هي خبائث  
وفواسق أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان أو يدعو  
غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد الى ناحية شيخه  
ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يلبس الكلاب والنيران أو يأوى الى المزابل  
والمواضع النجسة أو يأوى الى المقابر ولا سيما الى مقابر الكفار من اليهود  
والنصارى أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويتدح سماع الاغانى  
والاشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات  
أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن ، قال ابن مسعود رضى الله عنه  
لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله  
وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله " (١)

وألف كتابه الآخر " التوسل والوسيلة " وبين فيه حكم التوسل الجائز

منه والممنوع وأن النوع الذي يزاوله أهل التصوف هو من أنواع الشرك وليس

من الأنواع الجائزة ، قال رحمه الله : " دين الاسلام بمنى على أصلين " :

١ - أن نعبد الله وحده لا شريك له وأن نعبد به بما شرعه من الدين

وهو ما أمرت به الرسل أمر ايجاب أوامر استجاب فيعبد في كل زمان

بما أمر به في ذلك الزمان . . . فكل من لم يعبد الله بعد بعث

محمد صلى الله عليه وسلم بما شرعه الله من واجب أو مستحب فليس

بمسلم .

ولا بد في جميع الواجبات والمستحبات أن تكون خالصة لله رب العالمين

قال تعالى : " وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم

البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " آية ٤ ، ٥ من البينة .

وقال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم - انا أنزلنا اليك

الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص "

سورة الزمر آية ١ ، ٣ فكل ما يفعله المسلم من القرب الواجبه والمستحبة

كالايمان بالله ورسوله والعبادات البدنية والمالية ومحبة الله ورسوله والاحسان

الى عباد الله بالنفع والمال هو ما مور بأن يفعله خالصا لله رب العالمين

لا يطلب من مخلوق عليه جزاء لا دعاء ولا غير دعاء فهذا مما لا يسوغ أن -

يطلب عليه جزاء لا دعاء ولا غيره .

وأما سوء ال المخلوق غير هذا فلا يجب بل ولا يستحب الا فى بعض  
المواضع ، ويكون المسئول مأمورا بالاعطاء قبل السؤال واذا كان المؤمنون  
ليسوا مأمورين بسوء ال المخلوقين فالرسول أولى بذلك صلى الله عليه وسلم  
فانه أجل قدرا وأغنى بالله من غيره فان سوء ال المخلوقين فيه ثلاث مفاسد  
مفسدة الافتقار الى غير الله وهى من نوع الشرك ، ومفسدة ايذاء المسئول  
وهى من نوع ظلم الخلق وفيه ذل لغير الله وهو ظلم للنفس فهو مشتمل على  
أنواع الظلم الثلاثة " (١)

وهكذا وقف أمام الخرفين وأهل البدع بأنواعهم كما أنه أعاد الى  
الاسلام حيويته وفتح باب الاجتهاد والتحقيق الذى قد أغلق منذ زمن  
وأثبت أن معين الاسلام لم تنصب ، وأن صلة المتأخر بالمتقدم لم تنقطع  
بل هى موصولة بعرى موثوقة لا يخاف منها الانقطاع ، والحقيقة أن دور شيخ  
الاسلام التجديدي لا يمكن الالمام به فى فصل أو فصول بل يحتاج الى مجلد  
ذلك لان دعوته كلها تانت دعوة تجديد وارجاع الاسلام الى عهده السابق  
وربط الناس بسلفهم الصالح .

وشملت دعوته التجديدية جميع نواحي الاسلام أصوله وفروعه كما شملت  
انتقاداته وردوده جميع الفرق المنحرفة عن جادة الاسلام من الفلاسفة  
والجهمية والمعتلة والجبرية والشيعية والمتصوفة ومقلدة المذاهب وأهل  
الاديان الاخرى

( الفصل الثانی )

أصول التفسیر عند شیخ الاسلام ابن تیمیة رحمہ اللہ تعالیٰ

---

وفیہ مباحث :

المبحث الأول : كلمة موجزة عن أصول التفسیر عند شیخ  
الاسلام .

المبحث الثاني : تفصیل الأصول التي يعتمد عليها شیخ  
الاسلام ابن تیمیة فی تفسیره .

المبحث الثالث : مراتب أصول التفسیر عند شیخ الاسلام  
ابن تیمیة .

المبحث الرابع : بیان ما یمتاز به منهج السلف عند شیخ  
الاسلام ابن تیمیة .

( البحث الأول )

كلمة موجزة عن أصول التفسير عند شيخ الاسلام

ابن تيمية رحمه الله

مهممممممم

كل من قرأ كتب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قراءة تأمل وتدبر  
لا يعسر عليه أن يفهم الاصول التي يعتمد عليها في تفسيره وذلك لانه لا يكتفى  
بالاعتماد عليها بل يدعو اليها ويشيد مآرهابها ويرى أن سبب وقوع كثير من  
علماء التفسير في الخطأ هو انحرافهم عن هذه الاصول الصحيحة في تشبيههم  
بأصول مبتدعة باطلة .

فالاصول الصحيحة عنده هي أصول سلفنا الصالح أو بعبارة أخرى منهج  
سلفنا الصالح ، وهذا الضميمة هو منهجه في حياته العلمية كلها وليس  
خاصا بالتفسير .

فأول أصل يعتمد عليه هو كتاب الله ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم  
ثم تفاسير الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ثم تفاسير التابعين ، ويعظم  
دائما سلف هذه الامة ويقر لهم بالفضل في كل شيء في العلم والفهم والاستقامة  
والزهد والتقوى كما أنه يعظم أهل الحفديث والأثر اللذين هم دعاة السنة  
وحماة الأثر ويرى عدم جواز تفسير القرآن بالرأى المجرد .



ولا يحد الانسان كلمة أحسن دلالة في منهاجه من كلمة الشيخ أبي  
زهره : " وسنجده سلفيا في تفسيره لا يعدوا منهاج السلف وكأن منهاجه  
في كل الجوه هو آراء السلف دائما لا يتجاوزها الى غيرها ولا يعدوها قيد  
أنملة وحيثما وجد فكرة (سلفية) <sup>(١)</sup> ليس في الآثار ما يناقضها اعتبرها الاسلام  
في موضعها ولا يتجاوزها الى غير سبيلها لان سبيلهم سبيل المؤمنين  
وشرع رب العالمين . (٢)

---

(١) في الكتاب ( سلفيا ) ولعل الصواب كما أثبت .

(٢) ابن تيمية حياته عصرة - ارأوه الفقهية لابي زهره ص ٢٢٠ .



أما الدليل العقلي لذلك فانه من غير المعقول أن يكون الصحابه مع النبي صلى الله عليه وسلم ويأخذوا عنه ألفاظ القرآن المجردة بدون فهم معانيه مع أن المعلوم أن المقصود من كل كلام فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، ولم تجر العادة أيضا أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب وهم لا يفهمونه ولا يطلبون شرحه فكيف كلام الله الذي هو عصمتهم ، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم .

هذا وقد اعترف الصحابة أنفسهم رضوان الله عليهم أنهم " ما كانوا يتجناوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل " ولشدة اهتمامهم من الناحية المعنوية كان أحدهم يبقى في حفظ السورة الواحدة مدة من الزمن .

قال رحمه الله " يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقله تعالى " لتبين للناس ما نزل إليهم " يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبيد الرحمن السلمي (١) حدثنا الذين كانوا

---

(١) أبو عبيد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب الكوفي المقرئ من كبار

التابعين ثقة ثبت ولا يهمله صحبه ، من تاريخ السلفيين ص ١٧٠

يقرءوننا القرآن : كعثمان بن عفان (١) وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزها حسنتي يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعها ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة وقال أنس : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جيل في أعيننا وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمانين سنين ذكره مالك .

وذلك أن الله تعالى قال " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته " سورة ص

آية (٢٩) وقال " أفلا يتدبرون القرآن " الآية ٢٨ من سورة النساء والآية

٢٤ من سورة محمد " وقال " أفلم يدبروا القول " ( الآية ٦٨ من سورة المومنون )

وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وكذلك قال تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا

لعلكم تعقلون " يوسف آية ٢ وعقل الكلام متضمن لفهمه ومن المعلوم أن كل

كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك .

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص أمير المؤمنين ذو النورين أحد العشرة

المبشرة بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين استشهد في ذي الحجة بعد

الأضحى سنة خمس وثلاثين ( ٣٥ )

ص ٢٣٥ باكستانية

وأيضاً فالعادة تضع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب - ولا  
يستشرونه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم  
وقيام دينهم وديارهم (١)

هذا وقد رتب شيخ الاسلام رحمه الله على تقرير هذه القاعدة قلّة اختلاف  
الصحابة رضوان الله عليهم وجعل ذلك كنتيجة لاستفائهم علوم التفسير من  
النبي صلى الله عليه وسلم قال رحمه الله " ولهذا كان النزاع بين الصحابة في  
تفسير القرآن قليلاً جداً وهو وان كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو  
قليل بالنسبة الى ما بعدهم وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والاختلاف  
والعلم والبيان فيه أكثر " (٢)

ثم قرر رحمه الله أن التابعين رحمهم الله تلقوا تفسير القرآن الكريم عن الصحابة  
وبذلك صار التفسير متناقلاً بين الأجيال يأخذ كل جيل عن الجيل الذي سبقه.  
قال " ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة كما قال مجاهد  
عرضت المصاحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ، ولهذا قال  
الشورى اذا جاوك التفسير عن مجاهد فحسبك به ولهذا يعتمد على تفسير  
الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم وكذلك الامام أحمد وغيره ممن جئنا في  
التفسير يكرر الطبرق عن مجاهد أكثر من غيره .

---

(١) المقدمة في أصول التفسير ص ٣٥ - ٣٧

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٣٧

والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم السنة وان كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال . (١)

تبين مما تقدم أن شيخ الاسلام يعتقد اعتقادا حازما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا صغيرا ولا كبيرا في القرآن الا بينه لأصحابه ولا جرئية بحاجة الى توضيح وتفسير الا وضحاها وفسرها لهم .

ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في غاية من الحرص والاهتمام في تلقي ألفاظ القرآن وتفسيره عنه عليه الصلاة والسلام فلم يهملوا شيئا من هذه التفاسير الستى تلقوها عنه عليه الصلاة والسلام .

وكذلك كان حال التابعين في تلقيهم وحرصهم واهتمامهم وكذلك حال من جاء بعدهم من تابعى التابعين حتى أصبح التفسير النبوي متوارثا بين هذه العصور المفضلة المشهود لها بالخيرية .

قال رحمه الله " فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلتها وبيانها .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٧ - ٣٨ ومجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٣٢

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبد الله بن مسعود الذي كان يقول " ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تبلغه آباؤ الأهل لأتيته . وعبد الله بن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم . . ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع عن تفسير آية . (١)

ويقول " والذين خوطبوا به كانوا عرباً وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة . ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه الى التابعين حتى انتهى الينا . (٢) وقصده رحمه الله من تقرير هذه المسئلة وتدعيمها بالأدلة ليهين أننا قد كفيينا المؤونه في هذا الباب فلسنا بحاجة الى أن نعتمد على الآراء في تفسير القرآن مع وجود بيان النبي صلى الله عليه وسلم ومسان أصحابه الكرام الذين نقلوا علومه الى الأجيال ثم التابعين الذين تتلمذوا عليهم فعلينا أن نعتمد على تفاسير هؤلاء ولسنا بحاجة الى شيء آخر . وطبيعى أن من يعتقد هذا الاعتقاد أن يرسى قواعد أصوله على هذا المنهج الذى يمتقده ، وهذا ما نجد شيخ الاسلام رحمه الله قد فعله ، فانه التزم بهذا المنهج بدون حيزه عنه في جميع حياته العلمية فى التفسير وغيره ولكنه فى التفسير أشد وألبس .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨

(٢) الايمان ص ١١٩

وهذا ما جعل النصر والصواب حليفه دائما لأنه ينطلق من أسس قوية ثابتة يؤمن لمن تمسك بها الوقوع في الخطأ والزلل ومن المسلم به عند العقلاء قاطبة أن أى بناء لا يعتمد على أساس قوى ومتين لا يكتب له الثبوت بل سرعان ما تتداعى أركانه الى السقوط والانهيار ، وقد تحاشا شيخ الاسلام رحمه الله أن يعتمد مثل هذه الأصول المنهارة واعتمد على أصول ثانية لا يأتى اليها الخلل بحال عليها بالنواجز ألا وهى التفاسير السلفية .

وقد بين هو نفسه أن من خالف هذا المنهج سيكون مبتدعا مخطئا . قال رحمه الله " وفى الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا وان كان مجتهدا مفسورا لسه فالمقصود بيان طرق العلم وأدلتها وطرق الصواب ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتبعوهم ، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم . فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ فى الدليل والمدلول جميعا (١)

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٦١



هذا وقد بين رحمه الله في أماكن كثيرة من كتبه في مناسبات مختلفة أن سلف هذه الأمة وعلى مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم أفضل في كل شيء في العلم والفهم والتقوى ممن بعدهم وأنهم أولى بأن يوفقوا ما لم يوفق غيرهم من العلم والصواب والفهم وهذا ما يستوجب علينا أن نقتضى على آثارهم ونعول على مناهجهم في التفسير وغيره ونقدم أتوالهم على أقوال من بعدهم يقول رحمه الله " ومعلوم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من السابقين الأولين والتابعين لهم باحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وسكنوا بالشام والعراق ومصر وغير هذه الامصار وهم كانوا أعلم بالدين وأتبع له من بعدهم وليس لاحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه . (١)

ونجده رحمه الله يستفتى منه في مسألة - فيقول في مقدمة الجواب عنها " قولنا فيها ما قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . والسابقون الأولون ممن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعدهم هؤلاء الذين أجمع المسلمون على عدايتهم ودرأيتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره . (٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٨

(٢) فتوى الحموية الكبرى ص ٣٠٩

وقال رحمه الله " ان الأوائل كانوا أكثر فهما للشرع من غيرهم . فالمعقول عندنا ما وافق هد يسهم والمجهول ما خالفهم ولا سبيل الى معرفة هد يسهم وطريقتهم الا هذه الايثار . (١)

وقد شدد النكير على بعض المتأخريين الذين قد موا منهج الخلف على منهج السلف ولم يكتفوا عند هذا الحد . بل فضلوا عليه حيث اشتهر عنهم " بأن السلف أسلم وأن الخلف أعلم " . قال رحمه الله " لا يجوز أن يكون الخالفون أعلم مسن السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف . بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها . من أن " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم " فان هؤلاء الصمد عن الذين يفضلون طريقة الخلف . من المتفلسفة ومن هذا حظهم . على طريقة السلف انما أتوا من حيث ظنوا . أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحد يث من غير فقه لذلك بمنزلة الأصميين الذين قال الله فيهم . " ومنهم أصميون لا يعلمون الكتاب الا أماني " البقرة آية ٧٨ وأن طريقة الخلف " استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائق نواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظاهر . . ثم قال رحمه الله " كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوعون السموقون الحيارى المتهركون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان . من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى

(١) اقتضاء السراط المستقيم ص ٤٣٨

نقص المنطق ص ٣٠٩

ومصايح الدجى الذين بهم قاتل الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا  
الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما يبرزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلا  
عن سائر الامم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق  
بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لا ستحى من يطلب المقابلة . ثم كيف يكون خير  
قرون الأمة أنقص فى العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته .  
من هؤلاء الأصغر بالنسبة اليهم ؟

أم كيف يكون أفراخ المتفلسفه وأتباع الهند واليونان وورثه المجوس والمشركين  
وضلال اليهود والنصارى والمبايئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثه الأنبياء  
وأهل القرآن والايمان . . . ثم قال وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استمرت  
هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو فى هذا الباب وغيره ؟

وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين ينبذهم كتاب  
الله وراء ظهورهم واعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البيان  
والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله  
من لم يعرف الله باقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة . (١)

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى وعلى مع مجموعة اطلق عليها اسم النفاث

هذا وقد يبدو لبعض الناس أن في رد شيخ الإسلام على هؤلاء تحاملاً أو شدة  
وينسى هؤلاء أو يتنافسون أن الموقف هو موقف الدفاع عن منهج السلف الصالح  
عن ههؤلاء الذين فضلوا عليه من تأثر بالفلاسفة اليونانيين وأهمل  
الديانات الباطلة الأخرى . فهل يستحق مثل هذا الموقف اللين . مع العلم بأن  
الفلاسفة والمتفلسفين قد علا صوتهم في هذه الحقبة وعم بلاؤهم في الآفاق  
وظن كثير من الأغرار أن منهجهم هو منهج التحقيق لا غير حتى بلغ بهم الأمر إلى  
أن يتفوهوا بمثل هذه الكلمة التي تصف نسل هذه الأمة بالجهل وعدم التعمق  
في فهم مسائل الصفات وغيرها وأن الخلف أعلم منهم .

والمعجب أن هذا الفهم لا يزال سائداً في كثير من أقطار العالم الإسلامي بسبب  
ولا تزال الكلمة ذاتها تتناقل بين الناس من غير تكبير . . . فما أحوج العالم  
إلى شيخ الإسلام من جد يد ؟ والله المستعان .

هكذا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يلتزم منهج السلف الصالح  
التزاماً كاملاً يعود عليه في تفسيره ويدافع عنه ، ويدعو إليه ولا يرى الخروج عنه  
في لحظة من اللحظات بل يرى الاعتماد عليه في كل شيء في التفسير والفقه وفقى  
المقائد والسلوك ، وقد عهدنا عليه اتخاذ هذا المنهج معولاً يهدم به كل فكر  
منحرف مخالف للشرع فيكفي عنده في الرد عليه أن يثبت بأنه محدث ومخالف لما  
كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم باحسان .

ولكن التزامه بهذا المنهج في التفسير أشد لأن التفسير حكاية عن الله أنه عنى في  
معنى الآية بكذا وهذا الأسبيل إليه إلا بطريق النقل عن صاحب الرسالة صلى الله  
عليه وسلم أو عن الصحابة الذين أخذوا عنه . ولهذا نجد بمعنى علماء السلف يتوقفون

عن التفسير اذا لم يحضر عندهم المعنى الذى حفظوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يسأ عن معنى "الأب" فيقول أى أرض تظلى  
أى سماء تظلى اذا قلت فى كتاب الله ما لم أعلم " وورد عن عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه أيضا أنه تسأل عن معنى الاب ، وهو على المنبر ثم راجع  
نفسه فقال ، ان عذا لهو التكلف فما عليك أن لا تدريه ؟ وهذا كله يقتضى عند  
شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أن لا يعتمد فى التفسير الا على المأثور . فلا  
 مجال للرأى عنده فى التفسير لأن الرأى لا يمكن له الاستقلال بالفهم فالمعقل  
الصحيح هو الذى يوافق المنقول وهو الذى يفهم على ضوء النص . فلذا قال  
 رحمه الله " ان الأوائل كانوا أكثر فهما للشرع من غيرهم فالمعقول عندنا ما وافق  
هدىهم والمجهول ما خالفهم . ولا سبيل الى معرفة هدىهم وطريقتهم الا هذه  
الآثار (١)

---

(١) نقص المنطق ص ٣٠٩

المبحث الثالث

فى مراتب أصول التفسير عند شيخ الاسلام

يتدرج شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى أخذه بالتفسير المأثور فأعلى درجة وأحسنها فى نفس الوقت عنده هو تفسير القرآن بالقرآن ثم يليه تفسير القرآن بالسنة الصحيحة ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم .  
ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين وهم حجة اذا أجمعوا على شىء وان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ،

تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة

قال رحمه الله " فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب ان أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر . (١)

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٩٣

فان لم يوجد تفسيران من القرآن نفسه فيطلب تفسيره من السنة . فانها شارحة للقرآن وموضحة له وخير ما يفسر به القرآن بعد القرآن السنة ، وقد قال الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ما فهمه من القرآن .

قال تعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما آراك الله ولا تكن للخائنين خصيما " ( سورة النساء آية ١٠٥ )

وقال تعالى " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ( النحل آية ٤٤ )

وقال تعالى " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهمسدي ورحمة لقوم يؤمنون " ( النحل آية ٦٤ ) . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه " (١) يعني السنة .

والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا أنها تتلى كما يتلى . وقد استدل الامام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤

والفرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فان لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعماد حين بعثه الى اليمن بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله قال فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فان لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي . قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الحديث فى المسانيد والسنن باسناد جيد \* (١) (٢)

### تفسير القرآن بأقوال الصحابة

وحيثئذ اذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفقه التام والعلم الصحيح والعمل السالح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٦٤

(٢) الحديث رواه الترمذى فى جامعة انظر تحفة الأخوذى ج ٤ ص ٥٥٦ رقم

الحديث ١٣٤٢ ورواه أبو داود أنظر مختصر سنن أبى داود مع شرح

معالم السنن للحطابى ٥ / ٢١٢ وسنن الدارمى ١ / ٦٠



ونراه هنا رحمه الله وهو يفاضل بين الصحابة في التفسير فيجعل الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعاليما وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم جميعا في المقدمة الأولى . ويخص عبد الله بن عباس بالشأن والتنويه لتقدم وفات الخلفاء الأربعة وابن مسعود ، مما جعل المأثور عن ابن عباس في التفسير أكثر .

قال رحمه الله " لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود . قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري حدثنا أبو كريب قال : أنبأنا جابر بن نوح أنبأنا الأعشى عن أبي النضحي عن مسروق قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود " والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته . (١)

وقال الاعشى أيضا - عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن (٢)

---

(١) المقدمة في أصول التفسير ص ٩٦

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٦

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال :  
" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (١) قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار  
أنبأنا وكيع أنبأنا سفيان عن الأعمش عن مسلم قال عبد الله - يعني ابن مسعود  
نعم ترجمان القرآن ابن عباس " (٢)

ثم رواه عن يحيى بن داود عن اسحاق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم -  
ابن سبيح أبي النخعي عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : " نعم الترجمان  
للقرآن ابن عباس " (٣)

ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك فهذا اسناد صحيح الى  
ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة :  
وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح وعمر بعده ابن عباس  
ستا وثلاثين فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود .

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده

(٢) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٨

(٣) " " " " "

وقال الأعمش عن أبي وائل استخلف على ابن عباس على الموسم فخطب الناس  
فقرأ في خطبته سورة البقرة - وفي رواية سورة النور - ففسرنا تفسيراً لو سمعته  
الروم والترك والديلم لأسلموا " (١)

ولهذا فإن غالب ما يرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن  
هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما  
يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
حيث قال " بلفوا عني ولو آية وحدثوا عني بني اسرائيل ولا حرج " .  
رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٢)

---

(٢) ج ٤ ص ٢٠٧ وتامه بلفوا عني ولو آية وحدثوا عني بني اسرائيل  
ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

### تفسير القرآن بأقوال التابعين

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه آية فسي التفسير ، كما قال محمد بن اسحاق حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها .

وبه إلى الترمذي قال حدثنا الحسن بن مهدي البصري حدثنا عبد الرزاق عن

مصر عن قتادة قال ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً (١)

وبه إليه قال : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان بن عيينه عن الأعشى قال :

قال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج أن أسأل ابن عباس

عن كثير من القرآن مما سألت (٢)

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي

عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهد سأل عن تفسير القرآن ومعه أبو الواحه

قال ابن عباس : اكتب حتى سأله عن التفسير كله . (٣)

ولهذا كان سفيان الثوري يقول إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . (٤)

وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصرى  
ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية ، والربيع بن أنس وقتادة  
والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم  
في الآيات فيقع في عباراتهم تباين . في الألفاظ بحسبها من لا علم عنده اختلافها  
فيحكيها أقوالا . وليس كذلك فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره .  
ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن ،  
فليتفطن اللبيب لذلك .

والله الهادي .

هل يكون قول التابعى حجة فى التفسيرأولا ؟

قال شعبة بن الحجاج وغيره أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير ؟ معنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح أما اذا أجمعوا على الشئ فلا يرتاب فى كونه حجة فانا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع فى ذلك الى لغة القرآن ، أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة فى ذلك . (١)

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص ١٠٥

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد المتى مولا هم أبو سظام الواسطى ثم البصرى . ثقه حافظ متمين . كان الثورى يقول هو أمير المؤمنين فى الحديث . وهو أول من فتن بالعراق عن الرجال وذب عن السنة وكان عابدا من السابعة . مات سنة ستين ومائة (١٦٠) .  
تعريب التهذيب ص ١٤٥ طبعة الباكستانية .

## لغة القرآن والسنة

تبين فيما سبق أن شيخ الاسلام رحمه الله يتدرج في أخذه بالتفسير فيجعل تفسير القرآن بالقرآن في المرتبة الأولى . ثم تفسير القرآن بالسنة ثم بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم . ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين . وهم حجة اذا أجمعوا على شيء .

أما اذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن والسنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك . ويظهر من ذلك أنه لا يرى الخروج عن تفسير السلف المأثور عنهم ، وانما يلجأ الى ما يسميه لغة القرآن والسنة أو عموم اللغة العربية عندما تتعارض التفاسير المأثورة عن السلف . فيرجح بعضها على بعض يردّها الى لغة القرآن والسنة فما وافقهما فهو الجد يرب بالأخذ والصواب . وما خالفها من التفاسير فهو مردود على صاحبه ، والمقصود من لغة القرآن والسنة هو القياس عليهما وهو أن ينظر هذا التفسير هل يوافق الاستعمالات المتعارف عليها في نظير هذه المسئلة في الكتاب والسنة والتي تتكرر في آيات التنزيل والأحاديث النبوية حتى أصبحت عرفاً لا يخرج عنه خطابه تعالى وخطاب رسوله عليه الصلاة والسلام فمن أراد فهم قضية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فسبيله أن يرجع الى نظير تلك القضية في القرآن والسنة وماذا قصد منها ؟ وكيف كان حكمها ؟ فبهذا يتبين له المعنى المطلوب ويعرف بها لغة القرآن والسنة والعرف والعبادة التي خاطب الله بها عباده .

ولا شك أن هنا نكتة جديرة بالاعجاب والتقدير من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتسترعى انتباه القارئ وهي تمييزه بين لغة القرآن والسنة وبين عموم لغة العرب ، وتخصيصه لغة القرآن والسنة بمزيد الاعتناء والبحث وجعله مصدرا أساسيا يرجع إليه في فهم القرآن ، وقل أن تجد من تنبه لهذه المسئلة من المفسرين أو تظن لأهميتها فضلا من أن تجد من أبرزها بهذا الموضوع ، وجعلها قاعدة أساسية يرجع إليها عند الاشكال . ولا شك أن شيخ الإسلام قد وفق كل التوفيق في هذه المسئلة وقد حل بها اشكالات كثيرة في مصنفاته وأكثر الاستدلال بها والاحتكام إليها عند اختلاف الآراء . وترجيح بعضها على بعض قال رحمه الله " ينبغى أن يقصد اذا ذكر لفظ من القرآن . والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه . ثم اذا كان لذلك ، نظائر في كلام غيره وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللفظة مشتركة عامة لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتقاء ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللفظة وان جاز في الاستعمال فانه لا يجوز في الاستدلال . (١)



وقال رحمه الله \* بل الواجب أن يعرف اللفظة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة وما كان الصحابة يعلمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ فبتلك اللفظة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك . (١)

### عموم لفظة المرء

يرى شيخ الاسلام رحمه الله أن المعرفة باللفظة العربية مما يعين على فهم القرآن وفهم السنة . وهو لا يرى ضرورة الاعتماد عليها في تفسير القرآن لأنه يرى أن تفسير القرآن المنقول عن الصحابة والتابعين يغني عن ذلك ولسنا بحاجة إلى أن نجعل اللفظة العربية عمدة في تفسير القرآن . بل هي عامل مساعد يضاف إلى ترجيح الآراء عند ما تختلف التفاسير المنقولة عن السلف ورتبتها متأخرة عن رتبة لفظة القرآن والسنة ، فالعمدة في تفسير القرآن هو النقل أي ما ورد من القرآن نفسه بيانا لما أجمل في بعض الأماكن أو ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة أو التابعين . قال رحمه الله " ولا يدعى تفسير القرآن والحديث ممن أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه . فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة أهل ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك . (٢)

(١) كتاب الايمان ص ١١٠ - ١١١

(٢) الايمان ص ١١١ - ١١٢

اشكال والجواب عنسه  
=====

سبق لنا قول شيخ الاسلام " يجب أن يعلم أن النبي قد بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه .

وقد أشكلت هذه العبارة الدكتور الذهبى رحمه الله وناقشها مع عبارة أخرى لبعض العلماء مفادها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن الا القليل واعتبر كلاً من الرأيين ضرباً من المبالاة .

قال رحمه الله : " ومن يتأمل فيما تقدم من أدلة الفريقين يتضح له أنهما على طريقتى نقيض ورأى أن كل فريق منهم مبالغ فى رأيه . وما استند اليه كل فريق من الأدلة يمكن مناقشته بما يجعله لا ينهض حجة على المدعى " (٢)

ثم ناقش أدلة شيخ الاسلام بما خلاصته أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه كل معانى القرآن بل فسر لهم ما أشكل عليهم ولم يفسر لهم ما كانوا يعرفونه ، ثم قال فى اختياره " والرأى الذى تميل اليه النفس - بمد أن اتضح لنا مبالاة كل فريق فى دعواه وعدم صلاحية الأدلة لاثبات المدعى

---

(١) مجمع الفتاوى ج ٣ ص ٢٦١

(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٥١

هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معانى القرآن لأصحابه كما شهد بذلك كتب الصحاح ، ولم يبين كل معانى القرآن . لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد فى جهالته كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير قال " التفسير على أربعة أوجه . وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله . (١) وبدهى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم ما يرجع فهمه الى معرفة كلام العرب لأن القرآن نزل بلغتهم ولم يفسر لهم ما تتبادر الأفهام الى معرفته وهو الذى لا يعذر أحد بجهالته . لأنه لا يخفى على أحد ولم يفسر لهم اما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من كل ما يجرى مجرى الفيوب التى لم يطلع الله عليها نبيه وانما فسر لهم بعض المفاهيم التى أخفاها الله عليهم وأطلعها عليها وأمره ببيانها لهم وفسر لهم أيضا كثيرا مما يندرج تحت القسم الثالث وهو ما يعلمه العلماء ويرجع الى اجتهادهم كبيان المجل أو تخصيص العام وتوضيح المشكل وما الى ذلك من كل ما خص معناه والتبس المراد به .

هذا وما يؤيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر كل معاني القرآن أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات فلو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف أو لارتفع بعد الوقوف على النص (١) هذا كلام الدكتور الذهبي ومناقشته لكلام شيخ الإسلام ثم اختيار ما رآه الصواب ؟ وفي نظري أن الدكتور الذهبي توهم المفصلة في كلام الشيخ الإسلام والحقيقة أنه لا مفصلة فيه وأن ما قرر الشيخ الذهبي لا ينافي ما قرره شيخ الإسلام بل ما يهدف إليه يوافق بما اختاره الذهبي نفسه ، وذلك لأن شيخ الإسلام لا يقصد من قوله " أن النبي بسين لأصحابه معاني القرآن . . . الخ " أنه فسر لهم ما يعرفون معناه من كلامهم فان هذا تحصيل حاصل وتضييع الوقت بما لا فائدة فيه ولا يقول ذلك شيخ الإسلام بل قصده أن النبي صلى الله عليه وسلم شرح لهم كل ما كانوا بحاجة الى تفسيره . وأجابهم بكل ما استفسروه أو استشكلوه . هذا ما يفهم من كلامه . يقول :

" فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابها في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشروه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه تجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم وديانهم . (٢)

هذا نص كلامه وكل الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بما أوكل الله اليه من بيان كتابه للناس وأن الصحابة رضوان الله عليهم يمتنع أن يقوم عندهم اشكال فسي شيء من معاني القرآن والرسول بين ظهرانيهم فلا يسئلونه حتى يزيل عنهم هذا

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٥٣ - ٥٤

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٣٦

الاشكال فهو يعمد أن يكون من الصحابة ، وهذا ما كان يريد شيخ الاسلام أن يبينه وما يؤيد ذلك أن شيخ الاسلام رحمه الله قد أورد أثر ابن عباس فى تقسيم التفسير الى أربعة أوجه وكان القصد من إيراد تقرير نفس هذا المعنى الذى دل عليه الأثر من أن من التفسير ما استأثر الله بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر أحد بجهالتها . (١)

وبهذا أرى أن ما ادعاه صاحب " التفسير والمفسرون " من المغالات فى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية منتفى عنه وأن قائل هذه المقالة لم يحالفه التوفيق فى ذلك وأنى من قبل أساءة فهمه لعبارة الشيخ وحملها على غير محلها .

وبهذا لا أرى خلافا بين اختياره هو فى المسئلة وبين ما سماه مفالاة من شيخ الاسلام بل يظهر التدايق بين القولين عند تدقيق النظر فيهما . والله أعلم .

وهناك معنى آخر يقصده شيخ الاسلام فى مثل كلامه هذا قد لا يقع فى بال كثير من الناس ، وقد يكون الدكتور الذهبى فهم . وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع الأسس والقواعد التى تبني عليها الفروع فى جميع شرائع الاسلام وبهذا يكون قد بين كل شئ ولهذا يقول رحمه الله " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره . علمه وعطه فان هذا

---

(١) انظر هذا الأثر فى آخر المقدمة فى أصول التفسير ص ١١٥

الأصل هو أصل العلم والايان ، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا . ومن كان أهدى عن الحق علما وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعرفون حقائق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التحييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لا عند أهل المعرفة . (١)

ويقول رحمه الله أيضا " أما ما يحتاجه المسلمون الى معرفته فان الله تعالى قد نسب على الحق فيه دليلا . (٢)

ويقول فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا فكيف بأصول التوحيد والايان . (٣) وقد ألف رسالة بين فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين أصول الدين وفروعه . وليس معنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم في كل جزئية من جزئيات الدين بخصوصها . ولكنه عليه الصلاة والسلام قد وضع من النصوص والأسس والقواعد ما لا يبقى غموضا أى جزئية من جزئيات الدين الاسلامي .

والله أعلم بالصواب .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٥٦

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٧ ص ٤٤٣

أما الفريق الآخر الذين أشار إليهم الدكتور الذهبي رحمه الله وهم القائلون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن الا القليل النادر وأن ما صح من الأحاديث تفسيراً للقرآن قليل جداً . فقد أصابت مناقشته معهم الهدف أو الحق معه بلا شك . ومن نظر الى ما صح من الأحاديث النبوية المتعلقة بأحكام الصلاة والزكاة والحج وغيرها . وكلها بلا شك شرح وتفضيل وبيان لمجمل القرآن - في مثل قوله تعالى " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " البقرة / ٤٣ وقوله تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً " آل عمران آية ٩٧

من نظر الى ذلك كلمة تبين له أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فسر الكثير والكثير من القرآن الكريم بل فسر كل ما كان الناس بحاجة اليه ولم يتركهم الا وقد كمل لهم الاسلام وتعت لهم النعمة . قال الامام الشافعي رحمه الله :

" كل ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو ما فهمه من القرآن " . (١)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٢٦

## تفسير القرآن بالرأى المجرد

أما تفسير القرآن بالرأى المجرد فلم يكن شيخ الاسلام رحمه الله يعتمد عليه أو يلتفت اليه بل كان يرى أن ذلك حرام لما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار في النهي والتحذير عنه ، قال رحمه الله " فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى - فحرام . لحدِيث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " . (١)

وحدِيث حنبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " . (٢)

وقد أورد هنا آثارا كثيرة عن السلف في النهي عن التفسير بالرأى المجرد . وآثارا كثيرة تدل على توقف كثير من علماء السلف عن التفسير خشية الوقوع في الخطأ كما أنه أورد آثارا كثيرة تدل على أنهم كانوا يفسرون القرآن الكريم ولا يرون في ذلك بأسا ثم وفق بين الرأيين على أنهم كانوا يفسرون من القرآن ما كان عندهم علمه .

---

(١) رواه الترمذى فى جامعة ج ٨ ص ٣٧٧ مع التحفة

" " " " " " " (٢)



وكانوا يتوقفون ما ليس عندهم علمه . وان هذا الواجب على كل مسلم ،  
قال : بعد ايراد لهذه الآثار " فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن  
أئمة السلف محمولة على تحرجهن عن الكلام في التفسير بما لا علم لهن به  
فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لفة وشرعا فلا حرج عليه " . (١)

---

(١) المقدمة في أصول التفسير ص ١١٤

### المبحث الرابع

#### بيان ما يمتاز به منهج السلف عند شيخ الاسلام

اذا كان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يفضل منهج لسلفنا الصالح في التفسير وغيره على منهج من جاء بعدهم فهو لم يفعل ذلك اعتباطا وبدون تقديم أدلة تقنع القارىء وتوجب عليه الرجوع الى هذا المنهج وتحذر من مغيبة مخالفتسه فمن أهم الأدلة التي تدل على فضل منهج السلف قلة اختلافهم في التفسير، وهذه من أهم الميزات فبينما نجد المتأخرين يختلفون اختلافا كثيرا . نجد علماء السلف لا يختلفون بمثل هذا الاختلاف بل يفلب عليهم الاتفاق وما يوجد لهم من الاختلاف فهو يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .

وانا كان الخلاف والتفرق سمة لأهل الضلال والهدع فمكسه وهو الاتفاق سمة لعلماء السلف المتبعين للأثر ، وفي صدو بيان هذا قال رحمه الله " الخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد " / مقدمة

ثم حصر اختلاف التنوع هذا على صنفين : أحدهما أن يصبر كل واحد منهما  
عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فسى المسمى غير المسمى  
الأخر مع اتخاذ المسمى بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة  
كما قيل في اسم السيف : الصارم ، والمهند ، وذلك مثل أسماء الله الحسنی  
وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأسماء القرآن فان أسماء الله تدل على مسمى  
واحد فليس دعاؤه باسم من أسماء الحسنی مضادا لدعائه باسم بآخر بل الأمر  
كما قال تعالى :

” قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنی ”

الاسراء آية ١١٠ . وكل اسم من أسمائه يدل على الذات الصماء وعلى الصفة  
التي تضمها الاسم : كالعلم يدل على الذات وعلى العلم والقدير يدل على  
الذات والقدرة . والرحيم يدل على الذات والرحمة . ومن أنكر دلالة أسمائه  
على صفاته ممن يدعى الظاهر فقوله من جنس غلاة الباطنية القرامطة الذين  
يقولون لا يقال هو حي ولا ليس بحي بل ينفون عنه النقيضين . (١)

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٣٩

وهكذا أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مثل محمد ، وأحمد ، والمحي ، والحاشر  
والعاقب ، وكذلك أسماء القرآن مثل : القرآن والفرقان ، والهدى ، والشفاء  
والبيان ، والكتاب وأمثال ذلك .

فان كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأى اسم كان اذا عرف سمي  
هذا الاسم وقد يكون الاسم علما وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله تعالى : -

" ومن أعرض عن ذكرى " - ما ذكره ؟ فيقال له هو القرآن مثلا أو ما أنزل به  
من الكتب . فان الذكر مصدر والمصدر تارة يضاف الى الفاعل وتارة الى المفعول  
فان قيل ذكر الله بالمعنى الثانى كان ما يذكر به . مثل قول العبد سبحان الله  
والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . وان قيل بالمعنى الأول كان ما يذكر  
هو وهو كلامه .

وهذا هو المراد فى قوله ( ومن أعرض عن ذكرى ) لأنه قال قيل ذلك فأما يأتيكم  
منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " سورة طه ١٢٣ . وهداه  
هو ما أتوله من الذكر .

والمقصود أن يعرف أن الذكر كلامه المنزل أو هو ذكر العبد له فسواء قيل ذكرى  
كتابى أو كلامى أو هداى . أو نحو ذلك . فان المسمى واحد .

وان كان مقصود السائل معرفة ما فى الاسم من الصفة المختصة به فلا بد من قدر زائد على تعيين المسمى ، مثل أن يسأل عن ( القدوس السلام المؤمن ) (١) . وقد علم أنه الله لكن مراده : ما معنى كونه قدوسا - سلا ما - مؤمنا ؟ ونحو ذلك .

اذا عرف هذا ، فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه وان كان فيها من الصفة ما ليس فى الاسم الآخر كما يقول : أحمد - الحاشر - والماهى والعاقب ، والقدوس هو الغفور الرحيم ، أى ان المسمى واحد لأن هذه الصفة هى هذه .

ومعلوم أن هذا ليس اختلافا تضاد كما يظنه بعض الناس ، مثال ذلك : تفسيرهم للصراط المستقيم ، فقال بعضهم : هو القرآن . أى اتباعه لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث على الذى رواه الترمذى ورواه أبو نعيم من طريق متعددة - " هو حبل الله المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم " (١) وقال بعضهم هو الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث النواصب سمعان الذى رواه الترمذى وغيره . ضرب الله مثلا : صراطا مستقيما وعلى حنبلى الصراط سو ران .

وفى السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وداع يدعو من فوق الصراط وداع يدعو على رأس الصراط ، قال فالصراط المستقيم هو الاسلام والسوران حد ود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مؤمن . (١)

فهذان القولان متفقان . لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهنما نبه على وصف غير الوصف الآخر . كما أن لفظ الصراط يشمر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال . هو طريق العبودية . وقول من قال : هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بمصفة من صفاتها .

الصف الثاني : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدد فى عمومه وخصوصه . مثل سائل أعجمى سأل عن مسمى لفظ ( الخبير ) فأرى رغيفا وقيل له هذا ، فلاشارة الى نوع هذا لا الى هذا الرغيف . وحده مثال ذلك : ما نقل فى قوله تعالى " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات " الآية ٣٢ من سورة فاطر .

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٤٢

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات ، والسابق يدخل فيه من سبق فتعرب بالحسنات مع الواجبات .

فالمقتصدون هم أصحاب اليمين . والسابقون السابقون أولئك المقربون . ثم ان كلا منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى أول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى أثناءه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر الى الاصرار . (١)

أو يقول : السابق والمقتصد والظالم قد ذكر فى آخر سورة البقرة فانه ذكر المحسن بالصدقة . والظالم بأكل الربا والمادل بالبيع والناس فى الأمور اما محسن واما عدل واما ظالم . فالسابق : المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات والظالم أكل الربا . وامثال هذه الأقاويل فكل قول فيه ذكر نوع دخل فى الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية لــــه وتنبهه به على نظيره ، فان التعريف بالمشال قد سهل أكثر من التعريف بالحد المطابق (٢)

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٤٣

(٢) المقدمة ص ٤٤

ومن التنازع الموجود عنهم : ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين :  
اما لكونه مشتركا في اللفظة كلفظ قسورة الذي يراد به الرامي ، ويراد به الأسد ،  
ولفظ عسعس الذي يراد به اقبال الليل وادباره ، واما لكونه متواطئا في الأصل  
لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالمضائر في قوله ثم دنا فتدلى  
فكان قاب قوسين أو أدنى \* النجم آية ٩

وكلفظ الفجر ، والشفع والوتر ، وليال عشر (١)

ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا أن يعبروا عن المعاني  
بالفاظ متقاربة لا مترادفة فان الترادف في اللغة قليل وأما في ألفاظ القرآن فاما  
نادر واما معدوم . وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه  
بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب اعجاز القرآن . فاذا قال القائل :  
\* يوم تمور السماء مورا \* ( الطور آية ٩ ) . ان المور هو الحركة كان تقريبا  
ان المور حركة خفيفة سريعة وكذلك اذا قال الوحي الاعلام أو قيل أو حيننا اليك ،  
أنزلناه اليك ، أو قيل : وقضيا الى بنى اسرائيل (٢)

أعلمنا وأمثال ذلك ، فهذا تقريب لا تحقيق فان الوحي هو اعلام سريع خفي ،  
والقضاء اليهم أخص من الاعلام ، فان فيه انزالا اليهم وايحاء اليهم ، والمرب  
تضمن الفعل معنى الفعل وتمد به تمديه . ومن هنا غلط من جعل بعض

---

(١) هذه الآيات في أول سورة الفجر.

(٢) الاسراء آية ١٧



الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون : في قوله " لقد ظلمك بسؤال نعجتك اللى

نعاجه " (١) " ومن أنصاري الى الله " (٢) ، (٣)

والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمن فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها

الى نعاجه وكذلك قوله وان كاد وا ليفتنوك عن الذى أوحينا اليك ، ضمن معننى

يزيفونك ويصد ونك .

وجميع عبارات السلف فى مثل هذا نافع جدا فان مجموع عباراتهم أدل على المقصود

من عبارة أو عبارتين . ومع هذا فلا بد من اختلاف مخفف بينهم كما يوجد مثل ذلك

فى الأحكام .

ونحن نعلم أن عامة ما يضطر اليه عموم الناس من الاختلاف معلوم . بل متواتر عند

العامة أو الخاصة كما فى عدة الصلوات ومقاديرها ركوعها ومواقيتها وفرائض الزكاة

ونصبتها وتعيين لشهر رمضان والطواف والوقوف ورمى الجمار والمواقيت وغير ذلك (٤)

---

(١) سورة ص آية ٢٤

(٢) سورة آل عمران آية ٥٢

(٣) مقدمة أصول التفسير ص ٥٤

(٤) مقدمة أصول التفسير ص ٥٤

## الباب الرابع

فى المقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين

وفيه فصلان:

الفصل الأول : شيخ الاسلام مع بعض علماء التفسير بالمأثور

الفصل الثانى : شيخ الاسلام مع بعض علماء التفسير بالرأى

## الباب الرابع

فى المقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين

تمهيد :

يعرف قيمة الشيء ومدى أصالته أو عدمها بمقارنته مع غيره فيما يشترك معه من الصفات أو يمتاز عليه . وبهذه المقارنة يظهر ما بينهما من المساواة أو التفاوت أو التقارب ..

ومن هنا فاننا اذا أردنا أن نعرف أصالة منهج شيخ الاسلام ومدى عمقه ورسوخ كعبه فى معرفة علم التفسير فلا بد أن نقارنه بغيره من علماء التفسير حتى نعرف موقعه ومكانته بينهم ، وحتى نعرف المصادر التى استمد منها معلوماته ..

وقد نهج علماء التفسير فى تفاسيرهم على منهجين اثنين :

أحدهما يعتمد فى شرحه لكتاب الله على المأثور سواء كان هذا المأثور مأثورا عن الله جل وعلا أو عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة الكرام أو عن التابعين أو تابعيهم .

وثانيهما يعتمد على رأى والاجتهاد سواء كان هذا الرأى ممدوحا أو مذموما . وسأختار بحول الله تعالى نماذج من علماء التفسير بالمنهجين

المذكورين للمقارنة مع شيخ الاسلام ابن تيمية ، إذ الاستيعاب غير ممكن .

الفصل الأول

شيخ الاسلام مع بعض علماء التفسير بالمأثور

وفيه مباحث :

المبحث الأول : شيخ الاسلام مع علماء التفسير بالمأثور ، مقارنة عامة .

المبحث الثاني : شيخ الاسلام مع اصنام المفسرين ابن جرير الطبري

المبحث الثالث : شيخ الاسلام مع الثعلبي

## المبحث الأول

شيخ الاسلام مع علماء التفسير بالمأثور

يوجد التوافق بين شيخ الاسلام ابن تيمية وبين علماء التفسير بالمأثور

في الأطار العام وهو الاعتماد على التفسير المأثور وتفضيله على غيره وعدم

الاعتماد على الرأي المجرد . .

الا أن الفرق بينه وبينهم يظهر في التطبيق على القواعد التي مشى

عليها كل منهم واختارها لنفسه . .

وفي مراعاة الظروف الزمنية التي عاشوا عليها :

فمثلا : في وقت النهضة العلمية التي عاش عليها علماء السلف لم يكن الناس

بحاجة الى مناقشة كثير من الجزئيات التي كانت الحاجة ماسة الى مناقشتها وبيان

بطلانها في عصر شيخ الاسلام وذلك لعدم خفاء ذلك على أهل تلك الحقبة من الزمن

ولهذا تجد علماء التفسير بالمأثور يذكرون المأثور بسنده ويكتفون بذلك ولا يتعرضون

لنقد المتن وذلك لأن مجرد ذكر السند كان كافيا عندهم في التمييز بين الصحيح

والضعيف الا أن ذلك لم يعد كافيا في القرون المتأخرة لغلبة الجهل على أهلها

وقلة المختصين في علم الرجال .

فكان من نتيجة ذلك تعلق الناس بكل ما هو منقول عن النبي صلى الله

عليه وسلم أو الصحابة والتابعين من التفاسير من غير أن يعيروا أى اهتمام لصحة

النقل أو ضعفه . مما يستدعي من أمثال شيخ الاسلام أن ينظر الى تلك الروايات

بعين الناقد البصير ويستعمل الأسس والقواعد التي وضعها علماء الحديث

ليجهر من على ضوئها ما يصح اعتماده من التفاسير المنقولة ولتكون هذه القواعد عوناً

على المفسرين من بعده تمييز الطريق وتعصمهم من الزلل والانحراف •  
والتفاسير المنقولة أشد حاجة من غيرها في نقد أسانيدها وتمييز  
صحتها من سقيمها وذلك لأن الغالب في التفسير المراسيل والمنقطعات حتى  
قال الامام أحمد " ثلاثة أشياء ليس لها اسناد : التفسير والملاحم والمغازي •  
وقد كان هذا كله في نصب عيني شيخ الاسلام ، ففي الوقت الذي  
كان علماء السلف يكتفون بإيراد الحديث أو الأثر بسنده كان شيخ الاسلام  
يناقش السند ويحكم على الحديث أو الأثر بالصحة أو بالضعف •  
وكان مما امتاز به تفسير السلف وعلى رأسهم الصحابة الكرام البساطة  
ووضوح العبارة وسهولة الأخذ وقرب تناول ذلك لأن علوم الفلسفة  
والمنطق اليوناني لم تختلط بعلومهم كما أن تفسيرهم كان خاليا عما تطرق الي  
التفاسير من مسائل أخرى نحوية أو خاصة بالقراءات أو بلاغية أو غير ذلك من  
المصطلحات التي حدثت بعدهم ولم يكن عندهم الا شيثان كما قال ابن القيم  
رحمه الله " أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسول الله كذا ، والثاني معناه  
كذا وكذا " (١)

أما بعد عصر السلف فقد حدثت اصطلاحات كثيرة وترجمت الفلسفة  
اليونانية الى العربية وأعجب العلماء بالمناهج الفلسفية العقلية فبدأوا يفسرون  
بها كتاب الله عوضا عن مناهج سلفنا الصالح كما أن أهل الأهواء الذين كانت  
نشأتهم في عهد السلف الصالح قد استفحل أمرهم وكثرت عليهم بالنصوص وعم  
فسادهم في العالم الاسلامي ، وكان لنصوص القرآن الكريم النصيب الأوفر  
لتلاعبهم هذا ••• مما كان يستدعي من شيخ الاسلام مناقشة هذه المذاهب

وتهافتها وأنها لا توصل الى الحقيقة عكس ما يدعى لها أصحابها كما يستوجب ذلك منه بأن يخوض في معتقدات الفرق الضالة ومناقشة مذاهبيهم الهدامة وتمحلاتهم في تأويل نصوص كتاب الله مما جعل تفسيره تغلب عليه سممة المناقشة والجدال مع الفرق الضالة من فلاسفة ورافضة وخوارج وصوفية وجهمية وجبرية وغيرهم ..

فقد كان في جدال مستمر معهم لا تلين له قناة وهو أهل لذلك اذ هو صاحب قريحة وقادة وذهن نفاذ وقدرة على الجوار والجدال والمناقشة يحاربهم بنوع سلاحهم وينفس أسلوبهم لأنهم لا يقتنعون بغير ذلك ..  
ولأن تطهيق منهج السلف الصالح الذي سار عليه شيخ الاسلام وأخذ على نفسه باتباعه لا يتأتى الا بهدم كل ما شيد من أفكار كان من أولها مناهج البحث اليونانية التي اغتر بها كثير من علماء عصره وظنوا أنها العلم الصحيح الذي يوصل الى اليقين ، وقد كان العكس هو الصحيح حيث كان من نتيجة اتباع هذا المنهج الحرفات خطيرة أبعثت المسلمين عن النهج الصحيح وحالت دون الامتداء بهدى القرآن الكريم ..

وجدير بمنهج أساطينه الفلاسفة والمتكلمون بأن لا يوصل الا الى الضلال والانحراف وأن لا يجنى من تشبث به الا الأخطاء القطيعة ..  
ولعل ما يؤيد كد عذريته شيخ الاسلام في اطالته المناقشة مع الفرق الضالة أثناء تفسيراته لايات الكتاب العزيز ، ما امتزج بكتب التفسير من آثار معتقدات هذه الفرق وما نقل الى كتب التفسير من قوانينهم واصطلاحاتهم وإنما راتهم التي أصبحت حجبا بعضها فوق بعض تدع الرواية الصائبة لتفسير القرآن الصحيح ..  
وفي بيان ما امتزج بكتب التفسير في العصور المتأخرة يقول الدكتور

محمد حسين الذهبي رحمه الله " ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة هي  
أوسع الخنلا وأفسحها امتدت من العصر العباسي الى يومنا هذا ، فبعد أن كان  
تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة تجاوز به هذه  
الخطوة الواسعة الى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلى  
وكان ذلك على تدرج ملحوظ فى ذلك . .

بدأ ذلك أولا : على ميعة محاولات فهم شخصى وترجيح لبعض  
الأقوال على بعض وكان هذا أمرا مقبولا ما دام يرجح الجانب العقلى منه الى  
حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية ، ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصى  
تزداد وتتضخم ، متأثرة بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة ، والآراء المتشعبة  
والعقائد المتباينة حتى وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل  
بالتفسير الا عن بعد عظيم .

دونت علوم اللغة ، ودون النحو والصرف وتشعبت مذاهيب  
الخلافاً الفقهى ، وأثيرت مسائل الكلام ، وظهر التعصب المذهبى قائما على  
قدمه وساقه فى العصر العباسى . .

وقامت الفرق الاسلامية بنشر مذاهيبها والدعوة اليها ، وترجمت  
كتب كثيرة من كتب الفلاسفة ، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من  
أبحاث بالتفسير حتى طفت عليه وغلب الجانب العقلى على الجانب النقلى  
وصار أظهر شئ فى هذه الكتب ، هو الناحية العقلية ، وان كانت لا تخلو من ذلك  
من منقول يتصل بأسباب النزول أو بغير ذلك من الآثار . .

وهكذا تدرج التفسير ، واتجهت الكتب المولفة فيه اتجاهات متنوعة



وتحكمت الاصطلاحات العلمية ، والعقائد المذهبية فى عبارات القرآن الكريم  
فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين فى تفسير القرآن كما ظهرت  
آثار التصوف واضحة فيه ، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهورا جليا  
وانا لللاحظ فى وضوح وجلاء : أن كل من برع فى فن من فنون العلم يكاد  
يقتصر تفسيره على الفن الذى برع فيه ، فالنحوى تراه لاهم له الا الاعراب  
وذلك ما يحتمل فى ذلك من أوجه ، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافياته  
وذلك كالزجاج والواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر المحيط .  
وصاحب العلوم العقلية تراه يعنى فى تفسيره بأقوال الحكماء  
والفلاسفة كما تراه يذكر شبههم والرد عليها وذلك كالفخر الرازى فى كتابه  
مفاتيح الغيب وصاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلة للفروع الفقهية  
والرد على من يخالف مذهبه وذلك كالجصاص والقرطبى ، وصاحب التاريخ ليس  
له شغل الا القصص وذكر أخبار من سلف ما صح منها وما لا يصح وذلك  
كالثعلبى والخازن وصاحب الهدى ليهمل له قصد الا أن يؤول كلام الله وينقله  
على مذهبه الفاسد وذلك كالرمانى ، والجبائى والقاضى عبد الجبار والزمخشرى  
من المعترلة والطبرسى ، ولا محسن الكاشى من الامامية الاثنى عشرية  
وأصحاب التصوف قصدوا الى ناحية التعريب والتعريب واستخراج المعانى الاشارية  
من الآيات القرآن بما يفسق مع مشاربهم ويتناسب مع رياضتهم

ومواجهتهم، ومن هؤلاء ابن عربي، وأبو عبد الرحمن السلمي .. (١)

وهكذا فسركل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فله أو يشهد لمذهبه وقد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية وراجت في بعض العصور رواجاً عظيماً (٢)

هذا وإن كتاب الله لم ينزل ليفسره مناهج الفلاسفة ونظرياتهم واصطلاحاتهم ولا اصطلاحات أهل التصوف وأشاراتهم وليس هو بحاجة إلى ذلك كله .

كما أنه لم ينزل ليقرر جزئيات مسائل النحو والصرف والبلاغة

---

(١) لم يكن قصد ابن عربي وأمثاله الترغيب ولا الترهيب وإنما كان قصدهم افساد عقائد المسلمين وبث الالحاد والشكوك بينهم والتستر باسم التصوف والزهد، وهم ليسوا من العلماء الذين يستهد بكلامهم أو يبحث عن اتجاهاتهم في التفسير بل ولو من المسلمين نقل الخطيب الشربيني في شرحه على المنهاج عن السبكي قوله " ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وابن سبعين والقطب القونوي والعفيف التلمساني فهؤلاء ضلال جهال خارجون عن طريق الاسلام فصلا عن العلماء وقال ابن المقريء في روضة: ان المشك في كفر طائفة ابن عربي كقبر" معنى المحتاج ج ٢ ص ٦١ وإذا كان من الصوفية من يقصد الترفيب والترهيب من تفسيراته فليس ابن عربي واصحابه من هذا الصنف أبداً بل قصده ما ذكرت من بث الالحاد بين المسلمين، وإن عد من هذا النوع خطأ واضح ..

(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٨

بإل أنزل الله لهداية البشرية ، ويكفى من التفسير ما يجلى هذه الناحية  
أما ما يحجب هذه الناحية فليس من التفسير في شيء ..

وان كتب التفسير التي أخذت فيها تلك الناحية المقبولة بهذا الركام  
من الاصلاحات والمذاهب وايراد جزئيات مسائل النحو والصرف لهن بحاجة  
الى من يقوم بمناقشتها وترتيبها واجلاء جانب الصواب والهداية فيها وهذا  
ما جعل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يطلب في مناقشة هؤلاء عند تفسيره  
للآيات التي شحن هؤلاء آراءهم ومذاهبهم فيها ..

وإذا كنا نجد من علماء السلف من يتعرض لنا نقشة أهل الأهواء كالامام  
ابن جرير الطبري رحمه الله فلا نكاد نجد من يسهب في مناقشتهم مثل شيخ  
الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذلك لأن الأمور لم تصل في عهد علماء السلف  
الى ما وصلت اليه في القرون الأخيرة "

ولنحاول الآن عقد مقارنة موجزة بين منهج شيخ الاسلام ابن تيمية  
في التفسير وبين منهج امام المفسرين ابن جرير الطبري في التفسير . رحمهما الله  
في المبحث التالي حتى تكون لنا الصورة أوضح وحتى نكون قد ضربنا حجرا واحدا  
بعضفوريين حيث نعلم بذلك منهج امامين عظيمين في آن واحد ..

## المبحث الثالث

(١) شيخ الاسلام مع امام المفسرين ابن جرير الطبري رحمهما الله تعالى :

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الامام رأس المفسرين على الاطلاق أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشارك فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالما بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرا بأيام الناس وأخبارهم له التصانيف العظيمة منها " تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير، لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء قاطبة، منهم النووي في تهذيبه، وذلك لأنه جمع فيه بين الرواية والدراسة ولم يشاركه في ذلك أحد لاقبله ولا بعده، ومنها تهذيب الآثار قال الخطيب لم أر مثله في معناه ومنها تاريخ الأمم، وكتاب اختلاف العلماء، وكتاب القراءات وكتاب " أحكام شرائع الاسلام " وهو مذهبه الذي اختاره وجوده واحتج له وكان أو لا شافعيًا ثم انفرد بذهب مستقل، وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون وله في الأصول والفروع كتب كثيرة . . .

قال الشيخ أبو حامد الاسفراييني شيخ الشافعية : لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا، وقال ابن خزيمة : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ولد بآمل سنة أربع وعشرين وماتين ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيتا من شوال سنة عشر وثلاثمائة " انظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٥ والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٥ وطبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ١٠٦

لا يتوقع من المقارنة بين منهج شيخ الاسلام ابن تيمية فى أصول التفسير ومنهج  
امام المفسرين ابن جرير الطبرى رحمهما الله الا التوافق وذلك لانهما أسلفنا  
مرايا أن منهج شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هو منهج السلف فهو يقدم  
السلف فى كل شىء فى التفسير وغيره من العلوم الاسلامية ، فالأصل فى  
الاقتداء عنده فى التفسير - بعد تفسير القرآن نفسه بنفسه وتفسيره بأحاديث  
الرسول صلى الله عليه وسلم - الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعون ومن  
استمسك بعدهم بمنهجهم الصحيح عقيدة وعبادة وسلوكا ولهذا كان يقول ردا  
على من حاد عن طريق السلف " ان الأوائل كانوا اكثر فهما للشرع من غيرهم  
فالمعقول عندنا ما وافق هديهم والمجهول ما خالفهم ولا سبيل الى معرفة  
هديهم وطريقهم الا هذه الآثار " (١)

ويقول رحمه الله " ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب  
والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون  
هذه الأمة فى الأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة - أن خيرها القرن  
الأول . ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبى صلى الله  
عليه وسلم من غير وجه وأنهم أفضل من الخلف فى كل فضيلة من علم وعمل وإيمان  
وعقل ودين وبيان وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل هذا لا يدفعه الا من  
كابر المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وأضله الله على علم " (٢)

---

(١) نقض المنطق ص ٣٠٩

(٢) انظر تعليقات الاستاذ الدكتور مصطفى حلمى لكتاب المستشرق الفرنسى

والامام ابن جرير الطبري رحمه الله في مقدمة علماء السلف  
الذين يجعل شيخ الاسلام ابن تيمية عمدته في منهجه السلفي بعد  
الصحابة والتابعين فهو في القرون الثلاثة المفضلة التي يقدمها شيخ الاسلام  
ابن تيمية على غيرها من القرون كما سبق ، وبالإضافة الى ذلك فهو الواسطة  
في نقل علوم السلف الى المتأخرين فكتابه التفسير دائرة معارف في نقل  
أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم بالأسانيد ، اذا كان الأمر كذلك فكيف لا يكون  
منهج شيخ الاسلام مطابقا مع منهج شيخ المفسرين ابن جرير الطبري . . .  
وقد وصف شيخ الاسلام رحمه الله تفسير ابن جرير بأنه من  
أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدرا " (١)

وقال أيضا " وأما التفسير التي بأيدي الناس فأصحها تفسير محمد  
ابن جرير الطبري ، فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة  
ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بشير والكلبي " (٢)

ولهذا نجد مقدمة أصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية تستمد  
مادتها العلمية من مقدمة تفسير الامام الطبري وخاصة ما يتعلق بأقوال السلف  
من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين فقد نقل معظمها بأسانيدها من مقدمة  
تفسير الطبري الى مقدمته لأصول التفسير وقد قسم الطبري رحمه الله التفسير  
الى ثلاثة أقسام وأعطى كل قسم منها خصوصيته وما يمتاز به عن غيره من الأقسام  
الثلاثة .

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٩٠ بتحقيق الدكتور عدنان زرزور

(٢) الا سرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعناعة ص ٢٣٥

القسم الأول ما لا يوصل علم تأويله الا ببيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما يتعلق من الأوامر الالهية والحقوق والحدود وما الى ذلك مما مرجح تفسيره وتبيينه راجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم بنصر منه أو بدلالة قد نصها دالة على تأويله . .

الثاني : ما لا يعلم تأويله الا الله عز وجل كقيام الساعة والنفخ في الصور والرسول عليه الصلاة والسلام اذا تكلم بشيء من ذلك فانه يتكلم عليه بأشراطه وعلاماته فقط .

الثالث : ما يعلم تأويله كل من له علم باللسان العربي انذى نزل به

#### • القرآن

فالعربي مثل اذا سمح الله تعالى يقول " واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض " (١) لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه والاصلاح ما ينبغي فعله ثم ان المدرك للحق ممن يفسر كتاب الله هو من يحرف معنى ما يقوله الله ثم هو يفسره بأوضح حجة معتمدا في تفسيره على الأخبار الغائبة والمنقولة بقلا صحيحا عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم . .

والقرآن نزل بلغة العرب فيجب لمن أراد أن يفسره أن يكون بأشعار العرب عالما بلغتهم مدركا ولا سرار كلامهم متقنا ، وأن لا يخرج عما ذهب اليه السلف ومن تبعهم على نهجهم من الخلف . .

---

(١) البقرة آية ١١

وقد بنى تقسيمه هذا على أثر لا بن عباس رضي الله عنه أورد هـ

بسلده اليه . .

قال : قال ابن عباس رضي الله عنه التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالة وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله قال أبو جعفر وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من أن أحد لا يعذر بجهالة معنى غير الأمانة عن وجوه مطالب تأويله " وإنما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به " (١)

وقد أورد شيخ الاسلام ابن تهمية رحمه الله هذا الأثر بسلده

عند ابن جرير في آخر مقدمته في أصول التفسير وكان قصده من إيراد أزالة التعارض والاشكال بين الآثار الواردة عن السلف المفيدة بتوقف بعضهم عن تفسير القرآن ، وإقدام بعضهم عليه .

فقد أورد آثارا كثيرة عن بعض السلف مفادها التوقف عن التفسير

وعدم الإقدام عليه ، منها توقف كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن معنى الأب في قوله تعالى " وفاكهة وأبا " .

كما أورد آثارا أخرى تفيد أنهم كانوا يفسرون القرآن كالأثر الذي

أورد هـ عن الأعمش عن أبي وائل قال : استخلف على عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا " (٢)

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٦

(٢) مقدمة اصول التفسير ص ٩٧



ثم قال في التوفيق بين هذه الآثار الواردة عن السلف " فهذه  
الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تخرجهم عن الكلام  
في التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج  
عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوالا في التفسير ، ولا منافاة لأئمتهم  
تكلّموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد فانه كما يجب  
السكوت عما لا علم به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى  
( لتبيننه للناس ولا تكتمونه ) (١)

ولما جاء في الحديث المروى من طرق " من سئل عن علم فكتمه ألجم  
يوم القيامة بلجام من نار " (٢)

ثم بعد ذلك أورد ذلك الأثر عن ابن عباس مشيرا بذلك الى أن من  
أقسام التفسير ما لا يدرك الا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن  
الانسان متذكرا لهذا البيان فلا ينبغي له أن يتجرأ عليه برأيه المجنرد  
والسلف كانوا يتوقعون ما كانوا يتوقعون عنه بسبب ذلك بدليل أنهم كانوا  
يفسرون ما كانوا يعرفونه اما من جهة لغتهم أو ببيان النبي صلى الله عليه وسلم  
لهم ذلك " فهو رحمه الله وان كان قصده من هذا الأثر حل هذا  
الاشكال الا أنه يقرر نفس هذا التقسيم الذي ذهب اليه الامام الطبري  
رحمه الله .

---

(١) سورة آل عمران / ١٨٧

(٢)

وقد أورد ابن جرير رحمه الله نفس هذه الآثار التي وجهها شيخ الاسلام بهذا التوجيه عن علماء السلف الا أنه وجهها توجيها آخر حيث أنه جعل احجام من أحجم عن التفسير من علماء السلف مثل احجام من أحجم منهم عن الفتيا احتياطا لنفسه ، قال رحمه الله " وأما الأخبار التي ذكرناها من ذكرنا ما عنه من التابعين باحجائه عن التأويل ، فان فعل من فعل ذلك منهم كفعل من أحجم منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث مع اقراره بأن الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه اليه الا بعد اكمال الدين به لعباده وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة فلم يكن احجائه عن القول في ذلك احجام جاحد أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ولكن احجام خائف أن لا يبلغ في اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه فكذلك معنى احجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من علماء السلف انما كان احجائه عنه حذرا من أن لا يبلغ أداء ما كلف من اصابه صواب القول فيه لا على أن تأويل ذلك محبوب عن علماء الأمة غير موجود بمن أظهرهم " (١)

النبي صلى الله عليه وسلم فسر القرآن لأصحابه ولم ينتقل الى الرفيق الأعلى الا وقد كمل الله له الدين وفهم الناس عنه . .

يقرر الطبري رحمه الله أن تفسير القرآن كان معلوما عند علماء السلف ولو لم يكن الا مركزا لما كان لحنهم بتدبره القرآن والاتعاظ به

---

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٣٠

فائدة ، فكيف يحقل أن الله تعالى يأمر عباده بتدبر كتابه في مثل  
قوله تعالى " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا الألأباب "  
الى غير ذلك من الآيات التي ترشد الناس الى تدبر القرآن . مع  
أنهم لا يفهمون ما يؤمرهم وفي ذلك قال رحمه الله " وفي حث الله  
عز وجل عباده على الاعتبار بما فى أى القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل  
ذكره لنبهه صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته  
وليتذكروا الألأباب ، وقوله " ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل  
مثل لعلمهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون ، وما اشبه ذلك من  
أى القرآن التى أمر الله عباده وحشم فيها على الاعتبار بامثال أى القرآن  
والاعتناظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله  
من آيه لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يحقل تأويله اعتبر بما  
لا فهم لك به ولا معرفه من القيل والبيان الا على معنى الأمر بأن يفهمه  
وهفقيه ثم يتدبره ويعتبر به فأما ما قبل ذلك فيستحيل أمره بتدبره وهو بمنزلة  
جاهل كما هو محال أن يقال لبعض أصناف الأم الذين لا يعقلون كلام العرب  
ولا يفهموا نه لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال  
ومواعظ وحكم اعتبر بما فيها من الأمثال ، واذكر ما فيها من المواعظ الا بمعنى  
الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من  
الحكم فأما وهى جاملة بمعانى ما فيها من الكلام والمنطق فمحال أمرها  
بما دلت عليه معانى ما حوته من الأمثال والعبير ، بل سواء أمرها بذلك وأمر  
بعض البهائم به الا بعد العلم بمعانى المنطق والبيان الذى فيها ، فكذلك  
ما فى أى كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ لا يجوز أن يقال

اعتبر بها الا لمن كان بمعاني بيانه عالما وكلام العرب عارفا والا بمعنى الامر لمن كان بذلك منه جاهلا أن يعلم معاني كلام العرب ثم يتدبره بعد ويتعظ بحكمه وصلوف غيره ، فاذا كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله كان معلوما أنه لم يأمر بذلك مسن كان بما يدل عليه آية جاهلا واذا لم يجز أن يأمرهم بذلك الا وهم بما يد لهم عليه عالمون صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آياته الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه الذي قد قدمنا صفته آنفا عارفون واذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله " تنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله <sup>(١)</sup> " ثم تحت عنوان " ذكر بعض الاخبار التي غلط في تأويلها منكروا القول في تأويل القرآن أورد آثارا كثيرة عن السلف دالة على توقفهم عن تفسير القرآن فوجهها بالتوجيه الذي قدمناه .

كما أنه أورد هنا حديثا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضی الله عنها قالت " ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيا تعد علمهن آياه جبريل <sup>(٢)</sup> " .

وقد حاول توجيه هذا الحديث بما لا يتنافى مع ما قرره فقال أما الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئا الا آيا تعد فان ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك يفصل جمل ما في آية من أمرا لله ونهييه وحلاله وحرامه وحدوده

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٨

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٩

وفوائضه وسائر معاني شرائع دينه الذي هو مجمل في ظاهر التزيل وبالعباد  
الى تفسيره الحاجة لا يدرك علم تأويله الا ببيان من عند الله على لسان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اشبه ذلك مما تحويه آي القرآن من سائر  
حكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه الى رسول الله فلا يعلم أحد من خلقه  
تأويل ذلك الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعلمه رسول الله الا بتعليم  
الله اياه ذلك بوحيه اليه اما مع جبريل أومح من شاء من رسله اليه فذلك  
هو الآي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لاصحابه بتعليم  
جبريل اياه ومن لاشك آي ذات عدد (١)

ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثر

بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكا عقربا ولا نبيا مرسلا ولكنهم يؤمنون بأنه  
من عنده وأنه لا يعلم تأويله الا الله .

(١) وحديث عائشة الذي أطلال الامام ابن جرير في توجيهه حديث منكر غريب  
لأنه من رواية محمد بن جعفر الزبيرى وهو مطعون فيه قال البخارى  
لا يتابع في حديثه ، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى منكر الحديث وقال  
فيه ابن جرير الطبرى نفسه انه لا يعرف في أهل الآثار وإنما قال  
ابن جرير ما قال من التوجيه على فرض صحة الحديث . .

وقد كان أولى به أن يطرحه ويستريح منه

فأما ما لا بد للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوجهه مع جهيل وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (١)

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً الا آيات تعدد هو ما يسبق اليه أو هام أهل الغباء من أنه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من آية واليسير من حروفه كان انما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل اليهم لا يبين لهم ما أنزل اليهم وفى أمر الله ببلاغ ما أنزل اليه واعلامه اياه أنه انما نزل اليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل اليهم وقيام الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ فأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود لقيه كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ما ينهى عن جهل من ظن أو توهم أن معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً الا آيات تعدد هو أنه لم يكن يبين لأمته من تأويله الا اليسير القليل منه ، هذا مع ما فى الخبر الذى روى عن عائشة من العلة فى اسناده التى لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها فى الدين لأن راويه لا يعرف فى أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيرى " (٢)

(١) النحل آية ٤٤

(٢) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٣٠

هذا كلام الامام ابن جرير رحمه الله في تقرير أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر القرآن الكريم وتزييف القول القائل بأنه عليه الصلاة والسلام لم يفسر من القرآن الا القليل ، وقد رأيت المباحين العقلية والنقلية التي ساقها لتأييد هذا الرأي وهي في الحقيقة براهين قوية لا يرتاب المنصف في قوتها ووضوحها .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فقد كان له القدح المعلى في تقرير هذه المسئلة وبيانها وتأييدها بالأدلة النقلية والعقلية ، بل واعتبارها قاعدة يبنى عليها وجوب اتباع التفسير المأثور وتقديمه منهج السلف على منهج الخلف ، قال رحمه الله " يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى ( لنبين للناس ما نزل اليهم " يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما : أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة .

وقال أنس : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل في اعيننا .  
وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمانى سنين ذكره مالك " وذلك أن الله تعالى قال " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته " وقال " أفلا يتدبرون القرآن " وقال " ألم يدبروا القول وتدبروا الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ، وكذلك قال تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ، وعقل الكلام متضمن لفهمه ، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه

فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك .

وأيضاً فالعادة تمدح أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولايستشرحوه

فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام

دينهم وديانهم ، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً وهو

وان كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة الى ما بعدهم

وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والاكتلاف والعلم والبيان فيه أكثر

ومن التابعين من تلقى جميع تفسير القرآن عن الصحابة " (١)

هذا كلام شيخ الاسلام وتلاحظ أنه يجزم أن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يترك شاردة ولا واردة في القرآن الا بينها ولا جزء بحاجة الى تفصيل

الا وفصله ويقوم ما رأيت من الأدلة والبراهين العقلية والنقلية وهذا الكلام

في مضمونه مؤنس ماقرره أبو جعفر الطبري رحمه الله كما مر .

---

(١) مقدمة أصول التفسير ص ٢٥ - ٣٧ تحقيق الدكتور عدنان زرنور



## تحريم الاعتماد على الرأى المجرد فى التفسير

وقد كان من نتيجة استمساك كل منهما بالتفسير المأثور تحريمهما

التفسير بالرأى المجرد .

فالامام الطبرى رحمه الله يتقيد بتفسير النبى صلى الله عليه

وسلم ثم صحابته والتابعين لهم باحسان ثم الاعتماد على اللغة بعد ذلك فى توجيه معنى

الآيات والترجيح بين الأقوال .

ثم يتجنب التفسير بالرأى المجرد الذى يدفع صاحبه الى القول

بما يمليه عليه هواه واتجاهاته المنحرفة ، فجمع بذلك بين الأحسنين بين

الاعتماد على المأثور ، وبين تجنب الاعتماد على الرأى المجرد . وهذا النوع

من التفسير هو خلاصة ما وصل اليه التفكير الاسلامى قال رحمه الله بعد

سوقه الاحاديث التى فيها الوعيد الشديد لمن قال فى القرآن برأيه " قال

أبو جعفر وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل

أى القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم

أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه بل القائل فى ذلك

برأيه وان أصاب الحق فيه فمخطأ فيما كان من فعله بقلبه فيه برأيه لأن صحابته

لهست اصحابه موقن أنه محق وانما هو أصابه خاوص وظان والقائل فس

دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم وقد حرم الله جل ثنائه ذلك فس

كتابه على عباده فقال " قل اما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن

والاثم والبنى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا

على الله ما لا تعلمون " فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى يدرك علمه الا ببيان

رسول الله الذي جعل الله بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قبيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به وهذا معنى الخبر الذي حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبري قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا سهيل بن أبي حزم قال حدثنا أبو عمران الجويني عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " (١)

قال الترمذي رحمه الله تعليقا على هذا الحديث " هذا

حديث غريب وقد تعلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم . وهكذا روى عن بعض أهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم . وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم " (٢)

وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اعتمد على التفسير المأثور كما ذكرنا مرارا وحرّم الاعتماد على الرأي المجرد ، وهو في اعتماده على المأثور يجعل المأثور على درجات بعضها فوق بعض فان أحسن الطرق في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فان لم يوجد فمن السنة فانها شارحة للقرآن فان لم يوجد التفسير من القرآن ولا من السنة فالمرجع في ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك

---

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٧

(٢) الجامع الترمذي مع التحفة ج ٨ ص ٢٨١-٢٨٢

لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام  
والعلم الصحيح . . .

فان لم يوجد التفسير من القرآن ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة  
فقد رجع كثير من الائمة الى أقوال التابعين ، وان اتفقوا فلا يرتاب في حجية  
أقوالهم وان اختلفوا فيؤخذ من أقوالهم ما يكون أقرب الى الكتاب والسنة أو فوق  
اللغة العرب .

أما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام بدليل قول الرسول صلى الله  
عليه وسلم " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار " وقوله  
عليه الصلاة والسلام " من قال في القرآن برأيه فإصاب فقد أخطأ " (١)  
موقف ابن جرير من نقد أسانيد الأحاديث والآثار التي ساقها في تفسير

#### القرآن . . .

الامام ابن جرير الطبري رحمه الله كفيروه من علماء الحديث  
القدامى يكتفى بسوق الأحاديث والآثار بأسانيدها ، ولا يتعرض لها بالنقد غالباً  
قال الزرقاني رحمه الله " ومن مزايها — أي تفسير ابن جرير — أنه حرر  
الأسانيد ، وقرب المعيد ، وجمع ما لم يجمعه غيره غير أنه يسوق أخباراً بالأسانيد  
غير صحيحة ثم لا ينبه على هدم صحتها ، وقلنا ان عذره في ذلك هو ذكر السند  
في زمن توافر الناس فيه على معرفة حال السند من غير توقف على تنبيه منه " (٢)

(١) انظر المقدمة في اصول التفسير ص ٩٢ — ١٠٧

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٤٩٧

وقال الشيخ محمد حسين الذهبي في كتابه " التفسير والمفسرون " ثم ان ابن جرير وان التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها الا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف لأنه كان يرى — كما هو مقرر في أصول الحديث — أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة ، ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحيانا موقف الناقد البصير ، فيعدل من يعدل من رجال الاسناد ، ويحرج من يحرج منهم ، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها ويصرح برأيه فيها بما يناسبها " (١)

وقال الدكتور أبو شهبة " وقد أخذ على تفسير ابن جرير : أنه يذكر الروايات من غير بيان وتمييز لصحتها من ضعفها ، والظاهر : أنه من المحدثين الذين يرون أن ذكر السند وان لم يخلص على درجة الرواية يخلو المؤلف عن المؤلف اخذه والتبعة " (٢)

وقد دافع الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن الطبراني

بما عليه عليه الشيخ اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي من جمعه الأحاديث بالأفراد (٣)

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢١٢

(٢) الا سرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٧٥

(٣) الأفراد جمع فرد وهو قسمان : فرد مطلق وهو ما تفرد به راويه عن كل أحد

من الثقات وغيرهم بأن لم يروه أحد من الرواة مطلقا الا هو

وفرد نسبي : وهو ما تفرد به ثقة بأن لم يروه أحد من الثقات الا هو وتفرد به

أهل بلد بأن لم يروه الا أهل بلد كذا ، كأهل البصرة أو تفرد راوية عن راو

مخصوص بأن لم يروه عن فلان الا فلان وان كان مرويا عن وجوه عن غيره .

ومن الكتب المصنفة فيها كتاب الأفراد للدارقطني ، وكتاب الأفراد لأبي حفص

بن شاميين وغيرهما — الرسالة المستطرفة للكتاني ص ١١٤

مع فيها من النكارة الشديدة والموضوعات وفي بعضها القدر ح في كثير من  
الصحاب وغيرهم بقوله " وهذا أمر لا يختص به الطبراني فلامعنى لإفراد  
اليوم بل أكثر المحدثين في الأعمار الماضية من سنة مائتين وطم جرادا ساقوا  
الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برمووا من عهدته " (١)

ومن هنا نعرف أن ابن جرير على سعة علمه وطول باعه في علم  
الحديث كان يكتفى بذكر السند في الأحاديث والآثار التي يذكرها في تفسيره  
ولا يتعقبها بالنقد إلا نادرا ، وقد ذكرنا عذره في ذلك بما نقلنا عن  
العلماء من أن ذلك كان طريقة علماء السلف القدامى حيث أن ذكر الآثار  
بسنده كان يكفى في عصرهم ،

ولهذا لم يسلم تفسير ابن جرير على جلالته مؤلفه من الروايات  
الواضحة والمنكرة والضعيفة والاسرائيليات ، وذلك مثل ما ذكره عن حديث  
الفتون ، وفي قصص الأنبياء ، وما ذكره في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم  
بالسيدة زينب بنت جحش ، على ما يرويهما القصاص والمبطلون ، وان كان  
ذكر الرواية الصحيحة وباليته اقتصر عليها " (٢)

وقد رأيت العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكره وجه إيراد الطبري  
في تفسيره بالروايات الضعيفة والاسرائيليات توجيهها أخرفقال " ولما رأيت  
أن كثيرا من العلماء كان يعيب على الطبري أنه حشد في كتابه كثيرا من  
الرواية عن السالفين الذين قروءوا الكتب وذكر في معاني القرآن ما ذكر  
من الرواية عن أهل الكتابين السالفين التوراة والانجيل ، أحببت أن أكشف عن

---

(١) لسان الميزان ج ٢ ص ٧٥

(٢) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لا بى شهبية

طريقة الطبري في الاستدلال بهذه الروايات رواية ، وأبين كيف  
أخطأ الناس في فهم مقصده وأنه لم يجعل هذه الروايات قط مهيمنة على  
كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وأحببت أن أبين عند كل رواية مقالة الطبري في اسنادها ، وأنه  
اسناد لا تقوم به حجة في دين الله ولا في تفسير كتابه ، وأن استدلاله بهما  
كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة أو بالدلالة على  
سياق جملة " (١)

والامام الطبري رحمه الله مع أنه يكتفى بذكر الاسناد ثم مع اسناده  
في الغالب بدون تعليق فانه يتكلم على الاسناد أحيانا وبين ما فيه من علة لا يجوز  
معها الاستدلال به .

فمثلا عند الآية ١٩ من سورة البقرة (فيه ظلمات وورد ويرق يجعلون  
أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين" (٢)  
ذكر هذا السند فقال : حدثني موسى بن هارون قال : حدثنا أسباط  
عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة  
عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كان رجلا  
من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله ، فيه رعد شديد وصواعق ويرق

---

(١) مقدمة تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر وتخريج أحمد شاكر ص ١٧-١٨

(٢) البقرة آية / ١٩

فجعلوا كلما أضاء لهما الصواعق جعلوا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن  
تدخل الصواعق مسامعهما فتقتلها " ٠٠٠ الخ .

وقد انتقد ابن جرير هذا الحديث بقوله في آخر القصة "وقد ذكرنا

الخبر الذي روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان ان المنافقين  
كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم  
في آذانهم فرقا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتول فيهم شيء  
أو يذكروا شيء فيقتلوا ، فان كان ذلك صحيحا ولست اعلمه صحيحا إذ كنت  
باسناده مرتابا " (١) فان القول الذي روى عنهما هو القول .

ونجده ينتقد الحديث المروي عن عائشة مرفوعا (ما كان النبي

صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيات تعد علمهن اياه جبريل )  
يقول ان في هذا الحديث علة لا يجوز معها الا احتجاج به لأحد ممن علم صحيح  
سند الآثار وفاسدها في الدين لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار  
وهو جعفر بن محمد الزبيرى " (٢)

ويقول عند تفسير قوله تعالى " فهل نجعل لك خرجا على أن

تجعل بيننا وبينهم سدا " (٣)

---

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١١٩ - ١٢١

(٢) تفسير ابن جرير المقدمة ص ٣٠

(٣) سورة الكهف آية ٩٤

ما نصه " روى عن عكرمة فى ذلك - يعنى فى ضم سين سندا  
وفتحها - ما حدثنا به أحمد بن يوسف : قال : حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج  
عن مارون ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : ما كان من صنعة بنى آدم فهو السند  
يعنى بفتح السين ، وما كان من صنيع الله فهو السد بالضم ، ثم يعقب على  
هذا السند فيقول : وأما ما ذكر عن عكرمة فى ذلك ، فان الذى نقل ذلك عن  
أيوب مارون ، وفى نقله نظر ولا يعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقة أصحابه (١)  
ومن ذلك نقده على سند حديث " أنزل القرآن على أربعة أحرف  
حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره  
العلماء ، ومتشابه لا يعلمه الا الله تعالى ذكره ومن ادعى علمه سوى الله تعالى  
ذكره فهو كاذب (٢) قال (وفى اسناده نظر) وهو يقصد بهذا النظر أنه من  
رواية الكلبى ..

وقد كان من أروع المواضع التى تجلى فيها نقده للروايات مبهمات  
القرآن ، فقد نهج فى ذلك منهجا قيما وهو الاكتفاء بظاهر نص الآية والاعراض  
عن محاولة تعيين ما أبهمه القرآن كما أنه فند ما ورد من الروايات فى تعيينه  
فهو يرى أن تعيين مثل هذه المبهمات لا يمكن الوصول إليها الا ببيان من  
الرسول صلى الله عليه وسلم واذا لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ١٣ طبعه دار المعرفة التى على هامشها تفسير

غرائب القرآن وغرائب الفرقان .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٦



شيء فيها فلا فائدة في محاولة تضييع الوقت بتعيينها .

فنجده مثلا يذكر أقوال العلماء في تعيين الشجرة التي أكل منها  
آدم فيورد قولاً بأنها السنبله ، وآخر بأنها البر ، وآخر بأنها الكرمه ، وآخر  
بأنها التينة ، وكل هذه الأقوال مسندة الى أصحابها من الصحابة والتابعين  
ثم يقول في آخرها " والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر  
عباده أن آدم وزوجه أكلتا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها  
فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن اتيانها بأكلها ما أكلتا منها بعد أن بين الله  
جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها وأشار لهما إليها  
بقوله ولا تقربا هذه الشجرة ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين  
بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهي آدم أن يقربها بنص عليها  
باسمها ولا بد لا له عليها ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم  
ينحل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها الى معرفة عينها ليطيعوه  
بعلمهم بها كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا فالصواب في ذلك أن  
يقال ان الله جل ثناؤه نهي آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار  
الجنة دون سائر أشجارها فخالفا الى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما  
وصفهما الله جل ثناؤه به ، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن  
الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة فأنسى  
يأتى ذلك من أتى ؟

وقد قيل كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب ، وقيل كانت شجرة  
التين ، وجائز أن تكون واحدة منها وذلك ان علمه عالم لم ينفع العالم به علمه

وان جهله جاهل لم يضر الجهل به" (١)

وفى تعيين البعض الذى ضرب بها لسقتيل من البقرة فى قوله تعالى

" فقلنا اضربوه ببعضها " نجده يورد أقوال العلماء فمن قائل انه كان الفخذ

ومن قائل انه كان البضعة التى بين الكتفين ومن قائل انه كان عظما من عظامها

ومن قائل انه كان بعض أربابها . (٢)

ثم قال " والصواب من القول فى تأويل قوله عندنا " فقلنا اضربوه

ببعضها " أن يقال أمرهم جل ثناؤه أن يضربوا القتل ببعض البقرة ليحى

المضروب ولا دلالة فى الآية ولا خير تقوم به حجة على أى أبعاضها التى أمر

القوم أن يضربوا القتل به ، وجائز أن يكون الذى أمروا أن يضربوه به هو الفخذ

وجائز ان يكون ذلك الذنب ، وعضوف الكتف ، وغير ذلك من أبعاضها ولا يضر

الجهل بأى ذلك ضربوا القتل ، ولا ينفع العلم به مع الاقرار بأن القوم ضربوا

القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فاحياه الله \* (٣)

وفى تعيين الكلمات التى امتحن الله بهن ابراهيم عليه الصلاة

والسلام فى قوله تعالى " واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن (٤) " يقول بعد

---

(١) تفسير ابن جرير ج١ ص ١٨٤ = ١٨٥ وعلى هامشه تفسير القمى

(٢) الآراب جمع ارب وهو العضو الكامل يقال قسطعه اربا اربا عضوا عضوا

جمعه آراب وآراب .

انظر المعجم الوسيط ج١ ص ١٢ والقاموس المحيط ج١ ص ٣٧

(٣) تفسير الطبرى ج١ ص ٢٨٦

(٤) البقرة / ١٢٤

ذكره الآثار المروية حول بيان هذه الكلمات " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أو حاهن إليه وأمره أن يحمل بهن وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات، وجائز أن تكون بعضه لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه . وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو إجماع من الحجة، ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته غير أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبر إن لو ثبت أو أحدهما كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب " (١)

نقد الأسانيد عند شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

كانت ثقة شيخ الاسلام ابن تيمية في العلم المنقول عن السلف الصالح  
بالأسانيد المتصلة كما أن ثقته الكاملة في أهل الحديث وحفاظ الآثار الذين  
حفظوا هذا العلم ونقلوه الى الأجيال فانه يعظم هو "لاء" الحفاظ وينزلهم  
بمكانتهم التي استحقوها ، وذلك لأنهم الواسطة في نقل علوم السلف الى  
من بعدهم كما أنه يثق بدقتهم وأمانتهم في النقل وفهمهم فيما ينقلون .

فطريقتهم عنده أحسن الطرق وهم أفضل في كل شيء من غيرهم  
وينعنى على كل من حاد عن طريقتهم ويسلك غير سبيلهم .

ويكفي في الدلالة على الضلال والانحراف مخالفة أهل الحديث  
كما يكفي في الدلالة على الاستقامة والهداية وسداد الرأي موافقة منهجهم .  
واليك بعض النقول عن شيخ الاسلام في مكانة أهل الحديث

وفضلهم ثم فكر بعد ذلك الى أي مدى بلغ تعظيم شيخ الاسلام لأهل الحديث؟  
ثم الى أي مدى بلغت ثقته بالعلم المأثور ؟

قال رحمه الله " وإذا كان الأمر كذلك فأعلم الناس بذلك أخصهم بالرسول  
وأعلمهم بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه وباطنه وظاهره  
وأعلمهم بأصحابه وسيرته وأيامه وأعظمهم بحثا عن ذلك وعن نقلته وأعظمهم  
تدينا به واتباعا له واقتداء به وهو "لاء" هم أهل السنة والحديث ، حفظا له  
ومعرفة بصحيحه وسقيمه وفقها فيه وفهما بيوته الله آياه في معانيه ، وإيماننا به  
وتصديقا وطاعة وانقيادا واقتداء به واتباعا مع ما يقتضون بذلك من قوة عقولهم  
وقياسهم وتميزهم وعظيم مكاشفاتهم ومخاطباتهم فانهم أسد الناس نظرا

وقياسا ورأيا وأصدق الناس رويًا وكشفًا أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين : أن هو لا أحق بالصدق والعلم والتحقيق ممن يخالفهم " (١)

وقال " ومن المعلوم أن أهل الحديث والسنة أخص بالرسول واتباعه

فليهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم كما قال بعض السلف أهل السنة في الاسلام كأهل الاسلام في الممائل " (٢)

وقال " من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ويمتازون عنهم بما ليس عندهم فان المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما

يخالفهم فيه طريقا أخرى مثل المعقول والقياس والرأى والكلام والنظروالاستدلال

والمخاجة والمكاشفة والمخاطبة والوجد والذوق ونحو ذلك ، وكل هذه الطرق

لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها فهم أكمل الناس عقلا وأعد لهم قياسا

وأصوبهم رأيا وأسد هم كلاما وأصحبهم نظرا وأهداهم استدلالا وأقومهم جدا

وأتمهم فراسة وأصدقهم إلهاما وأحد هم بصرا ومكاشفة وأصوبهم سمعا ومخاطبة

وأعظمهم وأحسنهم وجدا وذوقا " (٣)

وقال رحمه الله " ولما كان القرآن متميزا بنفسه - لما خصه الله

به من الاعجاز الذي يلهن به كلام الناس كما قال تعالى ( قل لئن اجتمعت

الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهير " (٤)

---

(١) نقض المنطق ص ٧١

(٢) " " ص ١١٥

(٣) " " ص ٧ - ٨

(٤) سورة الاسراء آية ٨٨

وكان منقولاً بالتواتر لم يطمع أحد في تفسير شئ من ألفاظه وحروفه  
ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتهديل في معانيه بالتفسير والتأويل  
وطمع أن يدخل الأحاديث من النقص والزيادة ما يضل به بعض العباد  
فأقام الله تعالى الجهادية النقاد أهل الهدى والسداد فدحروا حزب  
الشيطان وفرقوا بين الحق من البهتان وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن  
من الزيادة في ذلك النقصان ، وقام كل من علماء الدين بما أنعم به عليه وعلى  
المسلمين مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث - بدفع  
ما وقع في ذلك من الخلل في القديم والحديث ، وكان من ذلك الظاهر الجلي  
الذي لا يسوغ منه العدول .

وقام علماء النقل والنقاد : بعلم الرواية والاسناد ، فسافروا في ذلك  
الى البلاد ، وهجروا فيه لذلك الرقاد وفارقوا الأموال والأولاد ، وأنفقوا فيه  
الطراف والتلاد ، وصبروا فيه على النوائب ، وقنعوا من الدنيا بزيادة الراكب  
ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة والقصص الماثورة ما هو عند أهله معلوم  
ولمن طلب معرفته معروف مرسوم ، يتوسد أحد هم التراب ، وتركهم لذى  
الطعام والشراب وترك معاشره الأهل والأصحاب والتصبر على مرارة الافتراء  
ومقاساة الأحوال الصعاب أمر حبيب الله اليهم وحلا له لحفظ بذلك دين الله (١)  
هذه بعض النقول عن شيخ الاسلام ابن تيمية في ثناء علماء الحديث  
وبيان منزلتهم وقيمة علم الاسناد .

ولم يجعل ثناؤه العظیم على أهل الحديث وثقته الكاملة بهم يأخذ عنهم كلما ما ينسبون الى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى صحابته الكرام بل يثبت ذلك وينتقد الروایات على طريقة من تقدمه من أهل الحديث.

وإذا كنا قد لاحظنا على امام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله

بأنه ينقل قصصا كثيرة من أقاصيص بني اسرائيل وأخبارا ضعيفة أو موضوعة بدون أن يعلق عليها اكتفاء منه بذكرها مع سندها كما هي عادة المحدثين القدامى وذلك لعدم خفاء ذلك على أهل زمانه فان شيخ الاسلام ابن تيمية أدرك أن ذلك لم يعد كافيا في عصره المتأخر الذي قل فيه من له القدرة على دراسة الأسانيد والتمييز بين صحيحها وضعيفها بل فلب على أهله التشبث بكل منقول بصرف النظر عن صحته أو ضعفه فكانوا بحاجة الى من ينتقد هذه الروایات الضعيفة والموضوعة والاسرائيليات التي تناقلها المفسرون في تفاسيرهم

وتقديم قواعد أساسية في شأنها حتى يأمن الناس من الوقوع في الزلل .

قال رحمه الله " ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمقول في المفازي

والملاحم<sup>(١)</sup> ولهذا قال الامام أحمد : ثلاثة أمور ليس لها اسناد التفسير

والملاحم والمغازي .

ويروى ليس لها أصل " أي اسناد لأن الغالب عليها المراسيل مثل

---

(١) الملاحم جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة مختار الصحاح ص ٥٩٤

القتل في الفتنة . والقاموس المحيط ج ٤ ص ١٧٦

ما يذكره عروة ابن الزبير ، والشعبي ، والزهرى ، وموسى بن عقبة ، وابن اسحاق (٥)

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، أبو عبد الله وأمه أسما بنت أبي بكر من أوائل من كتب فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ولعله أول من كتب فيها ، توفى سنة ثلاث وتسعين ( ٩٣ ) انظر حلية الأولياء ١٧٦ / ٢ ووفيات الأعيان ٣١٦ / ١ ، وكتاب الوفيات لابن قنقد وقد ذكر أنه متوفى باربع وتسعين .

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبي الحميرى أبو عمرو تابعى جليل القدر وافر العلم من رجال الحديث وكان فقيها شاعرا روى عنه أنه قال ولدت سنة جلولا\* وهى سنة تسع عشرة هـ مات بالكوفة سنة خمس ومائة كما فى الوفيات لأبن قنقد ، وفى تاريخ بغداد أقوال فى وفاته قيل توفى سنة ثلاثة ومائة وقيل سنة اربع ومائة وقيل سنة خمس مائة وقيل سنة ست ومائة ، وقيل سنة سبع ومائة ترجمته فى تاريخ بغداد ح ١٢ / ٢٢٧-٢٣٤ ، وفيات الأعيان ح ٢ ص ٢٢٧ = ٢٢٩ وشذرات الذهب ح ١ ص ١٢٦-١٢٨ ، وحلية الأولياء ح ٤ ص ٣١٠-٣٣٨ ، وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٦٥

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى أبو بكر أول من دون الحديث بأمر أمير المؤمنين عمر عبد العزيز من كبار التابعين توفى سنة ١١٤ تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٤ وفيات الأعيان ١ / ١ ٤٥١

(٤) هو موسى بن عقبة المدينى مولى ال الزبير له كتاب المغازى قال الامام أحمد بن حنبل عليكم بمغازى ابن عقبة فانه ثقة ، تهذيب التهذيب ١٠ / ١ ٣٦٠

(٥) هو محمد بن اسحاق بن يسار أبو بكر المخزومى ، مولا هم المدني من أقدم المتوحيين وكتاب السيرة روى بالتشيع والقدر وهو موثق على الراجح توفى سنة ١٥٠ تقريب التهذيب ٢ / ١٤٤



ومن بعدهم كبحى بن سعيد الأموي<sup>(١)</sup>، والوليد بن مسلم<sup>(٢)</sup> والواقدي<sup>(٣)</sup> ونحوهم من كتاب المفازي<sup>(٤)</sup>

ولما كانت المراسيل والمنقطعات هي الغالبة في التفاسير المأثورة كما في مقالة الامام أحمد السابقة رحمه الله ذكر شيخ الاسلام رحمه الله قاعدة طويلة فيما يمكن الاحتجاج به من المراسيل، وحسب ماورد بطرق كثيرة مع اتفاقها في المعنى، ومع اشتهار المرسلين بالصدق والأمانة، قال رحمه الله "والمراسيل اذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصدا أو الاتفاق بغير قصد، كانت صحيحة قطعاً فان النقل اما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، واما أن يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ، كان صدقاً بلا ريب، فاذا كان الحديث جاء من جهتين، أو جهات، وقد علم أن المخبرين لم يتواطئوا على اختلاقه وعلم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقاً بلا قصد علم أنه صحيح مثل شخص يحدث عن واقعة جرت ويذكر تفاصيل ما فيها من الأقوال والأفعال، ويأتي شخص آخر قد علم أنه لم يسمعها طمس الأول فيذكر فيذكر مثل ما ذكره الأول من تفاصيل الأقوال والأفعال، فيعلم قطعاً

---

(١) يحيى بن سعيد الأموي توفى سنة ١٩٤ وهو صالح الحديث ميزان الاعتدال

٣٨٠/٤ وتقريب التهذيب ٣٤٨/٢

(٢) وليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية من تصانيفه الكثيرة

في الحديث والتاريخ السنن والمغازي أشنى عليه الامام أحمد وغيره

توفى سنة ١٢٥ تهذيب ١٥١/١١ ، ٣٤٧/٤

(٤) مقدمة أصول التفسير ص ٦٠

أن تلك الواقعة حق في الجملة فانه لو كان كل منهما كذبا عمدا أو خطأ  
لصتفق في العادة أن يأتي كل منهما بتلك التفاصيل التي تضع العادة  
اتفاق الاثنین عليها بلا مواطاة من أحدهما لصاحبه ، فان الرجل قد يتفق  
أن ينظم بيتا وينظم الآخر مثله أو يكذب كذبة ويكذب الآخر مثلها ، أما اذا  
أنشأ قصيدة طويلة ذات فنون على قافية وروى فلم تجر العادة بأن غيره  
ينشىء مثلها لفظا ومعنى مع الطول المفرط ، بل يعلم بالعادة أنه أخذها  
منه ، وكذلك اذا حدث حديثا طويلا فيه فنون وحدث آخر بمثله ، فانه اما أن  
يكون واطاة عليه أو أخذه منه أو يكون الحديث صدقا .

وبهذه الطريق يعلم صدق عامة ما تعدد جهاته المختلفة على هذا  
الوجه من المنقولات وان لم يكن أحدها كافيا لرساله واما لضعف ناقله ، لكن  
مثل هذا لا تضبط به الألفاظ والدقائق التي لا تعلم بهذه الطريق بسبل  
يحتاج ذلك الى طريق يثبت بها مثل تلك الألفاظ والدقائق . . . . وهذا  
الأصل ينبغى أن يعرف فانه أصل نافع في الجزم بكثير من المنقولات فسى  
الحديث والتفسير والمغازى وما ينقل من أقوال الناس وأفعالهم . .

ولهذا اذا روى الحديث الذى يتأتى فيه ذلك عن النبي صلى الله  
عليه وسلم من وجهين مع العلم بأن أحدهما لم يأخذه من الآخر جزم بأنه حق  
لا سيما اذا علم أن نقلته ليسوا ممن يتعمد الكذب وانما يخاف على أحد هم  
النسيان والغلط فان من عرف الصحابة كأبن مسعود وأبى بن كعب وابن  
عمر وجابر ، وأبى سعيد وأبى هريرة وغيرهم علمنا أن الواحد من هؤلاء  
لم يكن ممن يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن هو

فوقهم كما يعلم الرجل من حال من جربه وخبره خبرة باطنه طويلا أنه ليمر ممن يسرق أموال الناس، ويقطع الطريق ويشهد بالزور ونحو ذلك .

وكذلك التابعون بالمدينة ومكة والشام والبصرة فان من عرف مثل أبي صالح الستمان والأعرج ، وسليمان بن يسار ، وزيد بن أسلم وأمثلهم علم قطعاً أنهم لم يكونوا ممن يعتمد الكذب في الحديث ، فضلا عن هو فوقهم مثل محمد ابن سيرين ، أو القاسم بن محمد أو سعيد بن المسيب ، أو عبيدة السلماني أو علقمة أو الأسود أو نحوهم ، وانما يخاف على الواحد من الغلط فان الغلط والنسيان كثيرا ما يعرض للانسان .

ومن الحفاظ من قد عرف الناس بعده عن ذلك جدا كما عرفوا حال الشعبي والزهرى ، وعروة ، وقتادة والثوري وأمثالهم لاسيما الزهرى في زمانه والثوري في زمانه فانه قد يقول القائل ان ابن شهاب الزهرى لا يعرف له غلط مع كثرة حديثه وسعة حفظه . .

والمقصود أن الحديث الطويل اذا روى مثلا من وجهين مختلفين من غير مواطأة امتنع عليه أن يكون فلطا كما امتنع أن يكون كذبا ، فان الغلط لا يكون في قصة طويلة متنوعة وانما يكون في بعضها ، فاذا روى هذا قصة طويلة متنوعة ، ورواها الآخر مثلما رواها الأول من غير مواطأة امتنع الغلط في جميعها

كما امتنع الكذب في جميعها من غير مواطأة " (١)

والمقصود أن تعدد الطرق مع عدم التشاور أو الاتفاق في العادة يوجب

العلم بمضمون المنقول ، لكن هذا ينتفع به كثيرا من علم أحوال الناقلين . .

ومثل هذا ينتفع برواية المجهول والسيء الحفظ وبالحدِيث المرسل  
ونحو ذلك . .

ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ، ويقولون : انه  
يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره قال أحمد " قد أكتب حدِيث الرجل  
لأعْتَبْرَهُ " ومثل ذلك بعبد الله بن لهيعة قاضٍ مصر فانه كان أكثر الناس حدِيثًا  
ومن خيار الناس لكن بسبب احتراق كتبه وقع في حدِيثه المتأخر غلط فصار يعتبر  
بذلك ويستشهد به وكثيرا ما يقترن هو والليث بن سعد والليث حجة ثبت امام<sup>(١)</sup>  
ويقول رحمه الله " وكما أن على الحدِيث أدلة يعلم بها أنه صدق ، وقد يقطع  
بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ، ويقطع بذلك ، مثل ما يقطع بكذب ما يرويه  
الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل ، مثل حدِيث يوم عاشوراء وأمثاله  
مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا ، وفي التفسير مسن  
هذه الموضوعات قطعة كثيرة ، مثل الحدِيث الذي يرويه الثعلبي والواحدى  
والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فانه موضوع باتفاق أهل العلم  
والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد  
في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدى صاحبه كان أبصر منه  
بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف ، والبهوى تفسيره مختصر من  
الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة .

والموضوعات في كتب التفسير كثيرة منها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر  
بالبسملة وحدِيث على الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة فانه موضوع باتفاق  
أهل العلم ومثل ما روى في قوله ولكل قوم هاد " انه على وتعيها أذن واعية"  
أذنك يا على " (٢)

(١) مقدمة اصول التفسير ص ٦٩

(٢) مقدمة في اصول التفسير ص ٧٤ - ٧٨

## الاسرائيليات

وقد خط شيخ الاسلام رحمه الله خطة جيدة فيما يتعلق بالروايات الواردة في تعيين المبهمات في القرآن الكريم ، وبين أن مثل ذلك مما لا يمكن الجزم بصحته أو كذبه وأن الاشتغال به من توضيح الوقت بما لا فائدة فيـه ويشبه كلامه في ذلك كلام امام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله الذي سبق لنا تقريره .

قال رحمه الله وهو في صدد بيان الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل .

" والمقصود بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم وهذا هو الأول ، فمنه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه ، وهذا القسم الثاني من المنقول - وهو ما لا طريق لنا الى الجزم بالصدق منه - عامته مما لا فائدة فيه والكلام فيه من فضول الكلام .

وأما ما يحتاج المسلمون الى معرفته فان الله تعالى نصب على الحق فيه دليلا .

فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه اختلافهم في كون كلب أصحاب الكهف ، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة ، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان من هذا منقولا نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم كاسم صاحب موسى أنه الخضر فهذا معلوم وما لم يكن كذلك ، بل كان مما هو خذ عن أهل الكتاب - كالمنقول عن كعب ، ووصب ومحمد بن اسحاق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب - فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه الا بحجة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فاما أن يحدثوكم

بحق فتكذبه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وكذلك ما نقل عن بعض التابعين  
وان لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب •

وأما القسم الأول الذى يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما  
يحتاج اليه والله الحمد فكثيرا ما يوجد فى التفسير والحديث والمغازى أمور  
منقولة عن نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه  
والنقل الصحيح يدفع ذلك بل هذا موجود فيما مستنده النقل وفيما يعرف بأمور  
أخرى غير النقل (١)

وقد قسم الاسرائيليات بصفة عامة الى ثلاثة أقسام ما لا يمكن تصديقه  
ولا تكذيبه كهذا القسم الذى ذكرناه • وما يعلم صدقه مما بأيدينا مما يشهد له  
بالصدق ويعلم كذبه مما بأيدينا مما يخالفه •

قال رحمه الله " ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكركم للاستشهاد  
لا للاعتقاد • فانها على ثلاثة أقسام أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا  
مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، والثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا  
مما يخالفه • والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا  
القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة  
فيه تعود الى أمره منى ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا  
وهأتى عن المفسرين خلاف لسبب ذلك كما يذكرون فى مثل أسماء أصحاب  
الكهف ، ولون كلبهم ، وعدتهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ؟ وأسماء  
الطيور التى أحيانا الله تعالى لبراهيم وتعهين البعض الذى ضرب به القبيل

من البقرة ، ونوع الشجر التي كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لافائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف في ذلك جائز كما قال تعالى " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا " سورة الكهف / ٢٢

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فانه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لردده كما رد هما ثم أرشد الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا قل ربي أعلم بعدتهم ) فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس ممن أطلعهم الله تعالى عليه فلماذا قال " فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا " أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تستلهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب .

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته اللابطول النزاع والخلاف فيما لافائدة تحته فيشتغل به عن الأهم فأما من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص اذ قد يكون الصواب في الذي تركه أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا فان صح غير الصحيح عامدا فقد تعدد الكذب

أو جاهلاً فقد أخطأ كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالاً  
متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكسر  
بما ليس بصحيح فهو كلاً ليس ثوب زور والله الموفق للصواب (١)

---

(١) المقدمة لاصول التفسير ص ١٠٠ - ١٠٢



### المبحث الثالث

مقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية وبين الثعلبي

الثعلبي هو أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري

ويقال له الثعالبي ايضا، الامام المقيء المفسر المشهور، كان حافظا واعظا

عالما بالتفسير والعربية صحيح الديانة، قال الداودي " كان أوحده زمانه في علم القرآن " (١)

وقال ابن خلكان : " كان أوحده زمانه في علم التفسير ووصف

التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفسير " (٢)

وقال ياقوت الحموي في معجم الأديباء : " أبو اسحاق الثعلبي

المقريء المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة :

من التفسير الحاوي بأنواع الفرائد من المعاني والاشارات، وكلمات أرباب

الحقائق، ووجوه الاعراب والقراءات... " (٣) قال الحافظ ابن كثير

" كان كثير الحديث واسع السماع ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شئ

كثير . ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور وأثنى عليه

وقال هو صحيح النقل موثوق به " (٤)

روي عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمه، وأبي محمد

المخدي وأبي بكر بن هاني وأبي بكر بن مهران المقيء وجماعة . وعده أخذ

(١) طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ٦٥

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧ - ٣٨

(٣) معجم الأديباء ج ٥ ص ٢٣٠ - ٢٣١

(٤) ابدية والنهية ج ١٢ ص ٤٠

• أبو الحسن الواحدى •

له من المؤلفات تفسيره الكبير " الكشف والبيان عن تفسير

القرآن ، وكتاب العرائس فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكتاب ربيع

المذكورين وغيرها ••

(١) توفى رحمه الله سنة سبع وعشرين وأربعمائة — ٤٢٧ هـ —

وجود تفسيره الكشف والبيان :

تفسير الثعلبى الكشف والبيان عن تفسير القرآن لم يحفظ

بالطبع حتى الآن فيما أعلم وقد ذكر كثير من الباحثين منهم الدكتور محمد حسين

الذهمى صاحب التفسير والمفسرون " أن نسخة ناقصة من هذا الكتاب توجد

فى مكتبة الازهر وأن المقدار الموجود بهذه المكتبة هو أربع مجلدات كبار

الأول ، والثانى ، والثالث ، والرابع ••

وينتهى المجلد الرابع عند أواخر سورة الفرقان ، وباقى الكتاب

مفقود لم يعثر عليه •

قلت وقد رأيت نسخة كاملة لهذا الكتاب فى مكتبة الحرم النبوى

الشريف عند باب المجيدى ، إلا أن هذه النسخة مكتوبة باسم كتاب آخر

اذ من مكتوبة باسم " الجواهر الحسان فى تفسير القرآن " ومؤلف الجواهر

(١) ترجمته فى طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ٦٥ وطبقات المفسرين

للسيوطى ص ٢٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٤٠ ، وفيات الأعيان

ج ٢٧ ص ٣٨ ومعجم الأدياء ج ٥ ص ٣٧ ، التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٢٧

الحسان هو الشيخ الامام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري  
المغربي المالكي المتوفى سنة ست وسبعين وثمانمائة (٨٧٦هـ) فقلط بعض  
النساخين فجعل اسم مؤلفه هذا اسما - لمؤلف الثعالبي النيسابوري أحمد  
ابن محمد بن ابراهيم الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ولم أر من أشار بوجود

هذه النسخة بهذه المكتبة ولعل السبب في ذلك كون الكتاب بغير اسمه والله أعلم . .

وإذا قارنا بين شيخ الاسلام ابن تيمية وبين الامام الثعلبي

رحمهما الله تعالى وجدنا أن كلامهما كان يثق بالعلم المأثور ويعظم الأسناد  
ويقرا الفضل لسلف هذه الأمة علما وعملا، فالثعلبي رحمه الله يصف علم الاسناد  
بأنه ركن الدين وأنه العماد، ويعيب على طوائف من المفسرين بسبب حذفهم

الاسناد في تفاسيرهم .

وهكذا شيخ الاسلام فعمدته التفاسير المنقولة فلا يرى الخروج

عنها .

الأنسما يختلفان في ماهية المنقول المعتمد عليه فالثعلبي رحمه الله

جماع يجمع كل ما تصل اليه يده وليس عنده تمييز بين صحيح المنقول وضعيفه

وموضوعه ، كما قال عنه العلماء .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فلا يأخذ من المأثور إلا بما

تطمئن الى صحته نفسه وإذا نقل عن السلف فلا ينقل إلا ما تصح نسبه اليهم

وله الخبرة التامة في التمييز بين الصحيح والفاسد .

### منهج الثعلبي في التفسير

ذكر الثعلبي رحمه الله منهجه في مقدمة تفسيره وبين الطريقة التي سلكها فيه فبين جده واجتهاده أولاً في طلب العلم ومواصلته بالليل والنهار في التحمل والاقتباس من علم التفسير حتى رزقه الله ما عرف به الحق مسن الباطل ، والمفضول من الفاضل ، قال رحمه الله في خطبة كتابه " فحمد الله نفتح الكلام ويتوفيقه نستريح الطلب والمرام ، ونسئله أن يصلى على محمد خير الأنام ، وعلى آله البررة الكرام وأصحابه أنجم الظلام انه الملك السلام .

أما بعد ، فان الله تعالى أكرمنا بكريم كتابه وأنعم علينا بعظيم خطابه وأنزل بفضله ورحمته القرآن مهيمنا على الكتب والأديان أمر فيه بالحكمة وزجر ، وأعذر للمحجة وأنذر ، ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا اقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته وقرآنه ، دون تدبر آياته والتفكر في بيناته وتعلم حقائقه ومعانيه وتفهم دقائقه ومبانيه ، فقيض له رجالاً موفقين حتى صنفوا فيه المصنفات وجمعوا علومه المتفرقات . .

ثم انى منذ فارقت المهدي الى أن بلغت الأشد اختلفت الى طبقات الناس وانتهيت في الاقتباس من هذا العلم الذي هو للدين الأساس وللعلوم الشرعية الرأس ، ووصلت الظلام بالضياء والصباح بالمساء بعزم أكيد وجهد جهيد حتى رزقني الله تعالى وله الحمد على ذلك ما عرفت به الحق من الباطل والمفضول من الفاضل والصحيح من السقيم والحديث من القديم ، والبدعة من السنة والحجة من الشبهة . .

فألقيت المصنفين في هذا الباب فرقا على طرق . .

فرقة هم أهل البدع والأهواء معوجة المسالك والآراء أمثال البلخي، والجبائي (٢)  
والأصبهاني والرماني (٣) . (٤)

وقد أمرنا بمجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء

بأقوالهم وأفعالهم، والعلم دين فانظروا عن تأخذون دينكم .

وفرقة ألقوا فأحسنوا التأليف غير أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين

بأقوالهم السلف الصالحين فجمعوا بين الدرة والبعرة عثرة وفتنة لا عقدا ونبيه

مثل أبي بكر القفال وابن حامد المقرئ، وهما من الفقهاء الكبار والعلماء الخيار (٥)

(١)

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن يزيد الجبائي أبو علي رئيس المعتزلة

وكبيرهم توفي سنة ٢٠٣ طبعات الداودي ج ٢ ص ١٨٩

(٣) محمد بن بحر الأصبهاني أبو سلمة كان على مذهب المعتزلة ووجهها عند هم

توفي سنة ٣٢٢ هـ طبعات الداودي ج ٢ ص ١٠٦

(٤) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي أحد علماء الاعتزال توفي

سنة ٣٨٤ هـ وولد سنة ٢٧٦ هـ طبعات الداودي ج ١ ص ٤١٩

(٥) هو محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي المعروف بالقفال الفقيه الامام الشافعي

ولد سنة ٢٩١ هـ وسمع من أبي بكر ابن خزيمة وابن جرير وغيرهم، وأخذ عنه الحاكم

وابن منداه والجليمي، وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة، وكان امام عصره بما وراء

النهر فقيها محدثا مفسرا أصوليا، لغويا شاعرا لم يكن للشافعية بما وراء النهر

مثله في وقته، صنف التفسير الكبير وكان في أول أمره معتزليا فنصر في تفسير

مذاهب الاعتزال، قال الذهبي سئل أبو سهل الصعلوكي عن تفسيره القفال

فقال قدسه من وجه ودنسه من وجه أي دنسه من جهة نصره مذهب

الاعتزال، توفي سنة ٦٥ أو ٢٦٦ هـ بالشاشي انظر ترجمته طبعات

المفسرين للداودي ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧، تبين كذب المفتري عليه ص ١٨٢

لكن لم يكن التفسير حرفتهم ولا علم التأويل صنعتهم ولكل عمل رجال ولكل مقام

مقال ..

وفرقية : اقتصر وا على الرواية والنقل دون الدراية والنقد مثل الشيخين

أبى يعقوب اسحاق بن ابراهيم الحنظلى ، وأبى اسحاق ابراهيم بن اسحاق

الأناطى ، وبياع الدواء محتاج الى الأطباء ..

وفرقية حرموا الاسناد الذى هو الركن والعماد فنقلوا من الصحف والد فاتهم

وجروا على هو س الخواطر، وذكر الفث والسمين والواهى والتمين، فحشوا فى

عداد العلماء ، فصدت الكتاب عن ذكرهم والقراءة والعلم سنة تأخذها الأصغر

عن الأكبر .

ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء" (١)

وفرقية حازوا قصب السبق فى جودة التصنيف والحذق غير أنهم طولوا كتبهم

بالمعاداة وكثرة الطرق والروايات وحشوها بما منه يد فقطعوا عنها المستشدين

مثل الامام محمد بن جرير الطبرى ، وشيخنا أبى محمد عبد الله بن حامد (٢)

الاصبهانى ، وازدحام العلوم مطيئة للفهوم ..

---

(١) اشتهرت هذه الكلمة عن عبد الله بن المبارك كما ذكرها الامام مسلم فى

مقدمة صحيحه "الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء"

صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٨٧

(٢) هو الامام محمد بن جرير الطبرى المولود سنة ٢٢٤ والمتوفى سنة ٣١٠ رأس

المفسرين وقد سبقت ترجمته فى ص

وفرقة جرد والتفسير عن الأحكام وبين الحلال والحرام والحل من الفواض  
والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايع السلف الماضين والعلماء  
الكبار من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي، والسدي، والكل من  
أهل الحق، منهم فيه غرض محمود وسعى مشكور، فلما لم أعثر في هذا إلى الآن  
على كتاب جامع مذهب يعتمد في علم القرآن، عليه تقتصر ورأيت رغبة الناس عن  
هذا العلم ظاهرة وهمهم عن البحث عنه قاصرة، وطباعهم في النظر الباسط  
نافرة، وانضاف إلى ذلك سوءال قوم من الفقهاء المبرزين والعلماء المخلصين  
والرواساء المحتشمين أو حبيبت اسعافهم بمطلوبهم ورعاية لحقوقهم تقربا إلى  
الله تعالى .

وإذ أشكره سبحانه فإن شكر العلم نشره وزكاته انفاقه فاستخرت  
الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل مذهب ملخص مفهوم منظوم مستخرج من  
زهراء مائه كتاب . . مجموعات مسموعات . . سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء  
المتفرقات وتلقتته عن أقوام من المشايخ الأثبات<sup>(١)</sup> " وهم قريب من ثلاثمائة  
شيخ بسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب ثم قال وخرجت فيه الكلام  
على أربعة عشر نحوا . البسائط ، والمقدمات والعدد والتزلات ، والقصاص  
والتزلات ، واللجوه ، والقراءات والعلل والاحتجاجات والعربية، واللغات  
والاعراب والموازنات والتفسير والتأويلات والمعاني والجهات ، والفواض  
والمشكلات والأحكام والفقهايات والحكم والاشارات والفضائل والكرامات والأخبار

---

(١) إلى هنا انتهى ما نقلته من المخطوطة ولم استطع قراءة باقي المقدمة لأن

والمترقات أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأُبواب وسميته كتاب الكشف  
والبيان عن تفسير القرآن، ثم ذكر في أول الكتاب أسانيده الي من يروى عنهم  
التفسير من علماء السلف واكتفى بذلك عن ذكره أثناء الكتاب كما ذكر أسانيده  
الي مصنفات أهل عصره وهي كثيرة وكتب الغريب والمشكل والقراءات ثم  
ذكر بابا في فضل القرآن وأمله وبابا في معنى التفسير والتأويل ثم شرع  
في التفسير" (١)

يظهر للدارس بمقدمة التعلي هذه الأمور التالية:

- ١ - أنه رحمه الله يعتقد أن الله لم ينزل كتابه لحفظ ألفاظه فقط بل  
أنزله للفهم والتدبر والتفكر في معانيه وتعلم حقائقه وأحكامه .
- ٢ - أنه كان يعظم الاسناد ، ويثق بالعلم المنقول به يدل على ذلك قوله  
" وفرقه حرما الاسناد الذي هو الركن والعماد فنقلوا من الصحف  
والدفاتر ، وجروا على موسر الخواطر وذكرا الفث والسمين والواهي  
والمتين . . . . والقراءة والعلم سنة تأخذها الا صاغر عن الاكابر ولو لا  
الاسناد لقال من شاء ما شاء .
- ٣ - انه قسم التفسير الي اقسام وذكرا سلبيات كل واحد منه وايجابياته ، وكان  
قصده من هذا التقسيم أن يستدرك على هؤلاء المفسرين ويسد الفراغ  
الذي تركه كل واحد منهم وهو لف تفسير مهذبا منظما خاليا عن جميع  
هذه السلبيات



٤ — أن تفسيره ام يكن خالصا للتفسير المأثور كما بين هو فهو يشتمل الكلام على أربعة عشر نحواً .

هذه خلاصة ما فى هذه المقدمة، والحقيقة ان المحاولة الى تحقيق هدف ما شئ ، والوصول الى نفس الهدف المنشود تحقيقه شئ آخر، فالثعلبى رحمه الله لم يخالفه التوفيق فى تأليف الكتاب المذهب الذى أراد تأليفه بل جمع فيه بين الغث والسمين والحق والباطل والصحيح والسقيم والبدعة والسنة فوقع بذلك فيما نهى عن غيره وحذره وأصبح متبهما بما اتهم بعيره من خلط أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، والجمع بين الدرق والبعرة، الذى أوقعه بهذا الخلط هو قلة معرفته بعلم الحديث الذى عليه المعول فى تحقيق العلم المأثور، وقد ذكر العلماء رحمهم الله قلة بضاعته فى هذا العلم الشريف قال الكتاتى، لم يكن للواحدى ولا لشيخه الثعلبى كثير بضاعة فى الحديث بل فى تفسيرهما وخصوصا الثعلبى أحاديث موضوعة وقصير باطلة" (١)

وذكر السيوطى رحمه الله أن من أوهى الطرق عن ابن عباس " طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مسروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب، وكثيرا ما يخرج منها الثعلبى والواحدى" (٢)  
وقال السيوطى أيضا فى صدد بيان خطوات التفسير " ثم صف بعد ذلك قوم برعوا فى علوم فكان كل واحد منهم يقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه فالنحوى تراه ليس له هم الاعراب وتكثير الواجه المحتملة فيه ونقل قواعد

(١) الرسالة المستطرفة ص ٧٩

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٩

النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج . . .

والاخبارى ليس له شغل الا القصص ، واستيفائها والاخبار ممن

سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبى " (١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " والثعلبى هو فى تفسيره

كان فيه خيرودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح  
وضعيف وموضوع " (٢)

وقال أيضا فى الفتاوى وقد سئل عن بعض كتب التفسير " وأما الواحدى

فانه تلميذ الثعالبى وهو اخبر منه بالعربية، لكن الثعلبى فيه سلامة من البدع

وان ذكرها تقليدا لغيره وتفسيره وتفسير الواحدى البسيط والوسيط والوجيز

فيها فوائد جارية وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها " (٣)

ويقول الأستاذ الذهبى " ومن يقرأ تفسير الثعلبى يعلم أن ابن تيمية

لم يتقول عليه ولم يصفه الا بما فيه " (٤)

وقال الأستاذ أبو شهبه " وهذا الذى ذكره ابن تيمية هو الحق

فلهكن القارىء بهذا التفسير على بينه من أمره ولا يفتربكل ما يذكرفيه فقدأساء

صاحبه الى نفسه والى كتابه بهذا الصنيع المذموم ، ومن وجد شيئا مما

ذكره عند نقد المرويات تفصيلا فلينبذه ولا يذكره الا مقترنا ببيان وضعه أوضعفه " (٥)

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٩٠

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٧٦

(٣)

(٤) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٣٢

(٥) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ١٧٩

هذا هو منهج الثعلبي في تفسيره ، وهذا هو تقويم العلماء لهذا المنهج  
ومن أدل الدليل على صدق ما ذهب اليه العلماء من قلة معرفة الثعلبي بعلم  
الحديث ما ذكره في مقدمته من الأمثلة عن علماء السلف الماضين فذكر منهم  
مجاهد ، ومقاتل والكلبي والسدي ، فيعتبر تفاسير هؤلاء الأربعة من تفاسير  
السلف الماضين مع أن الثلاثة الأخيرة غير معتمدين في التفسير بل  
متهمون بالوضع ان كان المقصود بالسدي الصغير أما مجاهد فهو تلميذ الحبر  
البحر عبد الله بن عباس فهو عمدة في التفسير حتى قال العلماء عنه : اذا  
جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به " فمن كانت حاله بهذه المكانة فلا ينبغي  
أن يذكر مع الكلبي ومقاتل والسدي الا ببيان حال كل واحد منهم والله أعلم .

## منهج شيخ الاسلام فى التفسير

أما منهج شيخ الاسلام فقد وضعناه مرارا وقلنا ان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يلتزم فى التفسير المأثور ، وذكرنا بأن أفضل طريقة فى تفسير القرآن عنده أن يفسر القرآن بالقرآن لأنه لا أحد أعلم بمراد الله منه ، ثم اذا لم يوجد التفسير من القرآن فيطلب من السنة الصحيحة فانها شارحة لكتاب الله ومبينة له ، ثم اذا لم يوجد التفسير من القرآن ولا من السنة فمن أقوال الصحابة الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدوا وقائع نزول القرآن ، ثم أقوال التابعين ، الذين تتلمذوا على الصحابة وأخذوا عنهم العلوم فهو يثق فى علمهم ويرجع اليهم وان كان يرى عدم حجية قولهم الا عند الاجماع .

ويحرم التمسك بالرأى المجرد فى التفسير عنده لما ورد فى ذلك من الوعيد الشديد ، فهو سلفى المنهج لا يعدو منهج السلف . .

واذا كنا قد لاحظنا على منهج الثعلبى بأنه منهج لم يحظ بالتطبيق فان منهج شيخ الاسلام قد حظى بذلك فانه رحمه الله لا يخرج عنه قيد أنملة وقد توفرت عنده أدوات التمحيص بين النقول الصحيحة ، والضعيفة والموضوعة فهو بعكس ما عهدنا عليه الثعلبى رحمه الله كما شهد له بذلك العلماء وشيخ الاسلام رحمه الله يقدر أهل الحديث قد رهم ورجع اليهم فى صناعتهم ويعتمد على قواعدهم بدقة ومهارة ويزن بها المرويات فيصحح ويضعف بهذا الميزان العادل مع حفظه وذاكرته الفذة التى أجمع عليها المؤمنون بأنها كانت خارقة قال الذهبي ، "ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته

وسقمه فما يلحق به " (١)

وقال أيضا " كان آية في الذكاء وسرعة الادراك رأسا في معرفة الكتاب  
والسنة والاختلاف بحرا في النقلات " (١)

وقال أيضا " وله معرفة تامة بالرجال وجرحهم وتعد يلهم وطبقاتهم  
ومعرفة بفنون الحديث، وبالفعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتوسه  
الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه وهو عجب فسى  
استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب  
السة والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال " كل حديث لا يعرفه ابن تيمية  
فليس بحديث " ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يفترق من بحر وغيره من الائمة  
يفترقون من السواقى " (٢)

و " من أعجب الأشياء أنه لما سجن صنف كتبا كثيرة ، وذكر فيها  
الأحاديث والآثار ، وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلقاتهم  
وعزا كل شيء من ذلك الى ناقله وقائله ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك  
فيها ، وفي أى موضع هو منها ، كل ذلك بديهية من حفظه لأنه لم يكن عنده  
حينئذ كتاب يطالعه ، ونقيت واختبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل  
ولا تضيير " (٣)

هذه بعض المختطفات من شهادات العلماء والائمة لهذا الامام فسى  
التبحر في علم السنة وخبرته التامة في علم الرجال حتى بلغ بهم الأمر

(١) العقود الدرية ص ٢٢

(٢) العقود الدرية ص ٢٥

(٣) ابن تيمية لأبى زهرة ص ٩٦ نقلا عن الكواكب الدرية

الى قولهم " كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث " فأين الثعلبي  
من ابن تيمية فى معرفة العلم المأثور وفى التمييز بين الصحيح والسقيم من  
المنقول . . .

وان كان فيه خيرودين كما قال عنه شيخ الاسلام ، رحمهما الله  
واذا كنا نلاحظ الثعلبي رحمه الله بأنه ينقل كلما نسب الى السلف ولو كان  
مما يبذره العقل ولا يستصفيه الطبع مثل بعض الاسرائيليات الخرافية  
فان شيخ الاسلام رحمه الله يقف موقف الناقد البصير ولا يقبل الا ما يشهد  
الدليل الصحيح بصحته ، وهو " لا يتبع الرجال على أسنائهم فليس لأحد عنده  
مقام الا الدليل من الكتاب أو السنة أو آثار السلف رضى الله عنهم فما من قول  
يتلقى تلقيا ويسوغ فيه الاتباع من غير دليل مهما تكن درجة الامامة عند قائله " (١)  
ولنورد مثلا واحدا - والأمثلة كثيرة - يدل على مهارة شيخ  
الاسلام فى علم الرجال وتقديره قد رآه أهل الحديث واعترافه لهم بالمهارة فى  
صناعة فن الحديث ، وقوة تحميمه بين الروايات . . .

ألف أحد علماء الشيعة كتابا قر فيه مذهب الامامية الاثنى  
عشرية ، فتولى شيخ الاسلام رد هذا الكتاب وألف عليه كتابه العظيم "منهاج  
السنة فى نقض كلام الشيعة والقدرية "

ادعى هذا الرافض الشيعى الخبيث بأن قوله تعالى " يا ايها الرسول  
بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته " نزلت فى على رضى الله  
عنه بالاتفاق واستدل على ذلك بأحاديث موضوعة أخرجها أبو نعيم الأصبهاني

(١) ابن تيمية لأبى زهرة ص ٢١٦

في الحاشية " والثعلبي في تفسيره .

قال " وروى أبو نعيم الحافظ من الجمهور باسناده عن عطية قال  
نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي بن أبي طالب  
ومن تفسير الثعلبي قال معناه : بلغ ما أنزل اليك من ربك في فضل علي ، فلما  
نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي فقال من كنت  
مولاه فعلى مولاه والنبي مولى أبي بكر وعمر وباقي الصحابة بالاجماع فيكون على  
مولاهم ، فيكون هو الامام . . .

ومن تفسير الثعلبي : لما كان النبي صلى الله عليه وسلم بخديرة  
ختم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي وقال من كنت مولاه فعلى مولا ه  
فشاع ذلك وطار بالبلاد فبلغ ذلك الحارث بن العمان الفهري فأتى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته وأناخها فعقلها  
فأتى رسول الله وهو في ملاء من الصحابة فقال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد  
أن لا اله الا الله وأبك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك  
وأمرتنا أن نركب أموالنا فقبلناه منك ، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلناه منك ، وأمرتنا  
أن نحج البيت فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته  
علينا ، وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه ، وهذا منك أم من الله ؟ قال النبي صلى الله  
عليه وسلم والله الذي لا اله الا هو أمر الله فولى الحارث يزيد راحلته وهو  
يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا  
بعذاب اليم " (١)

من دبره فقتله ، وأنزل الله تعالى " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين  
ليس له دافع من الله ذى المعارج " (١)

وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور فى تفسيره (٢)

رد شيخ الاسلام لهذا الحديث الموضوع

وقد رد شيخ الاسلام رحمه الله على هذا الحديث الموضوع  
وبين وضعه بما لا يريد عليه من وجوه متعددة، وأطرب فى زده ، فلنذكر  
بعض ما قال فى هذا المقام حتى تتبين لنا بذلك مقدرتة فى تحييص  
الروايات وتمييز صحيحها من سقيمها بارجاعها الى قواعد أهل الحديث، وحتى  
نعرف بأى ميزان يزن بها الروايات وأنه لا يفتر برواية من تقدمه حتى يعرف  
صحتها؟

قال رحمه الله " الجواب " من وجوه أحدها أن هذا أعظم كذبا وفرية من  
الأول كما سبق به ان شاء الله تعالى وقوله " اتفقوا على نزولها فى على أعظم  
كذبا مما قاله فى تلك الآية فلم يقل لهذا ولا ذاك أحد من العلماء الذين  
يدرون ما يقولون ، وما يرويه فى الحلية أو فى فضائل الخلفاء والنقاش والتعلبي  
والواحدى ونحوهم فى التفسير قد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما  
يروونه كثيرا من الكذب الموضوع، واتفقوا على أن هذا الحديث المذكور

(١) المعارج الآيات ١-٣

(٢) منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة والقدرية ج٤ ص٩



الذي رواه الثعلبي في تفسيره هو من الموضوع وسنبين أدلة يعرف بها أنه  
موضوع وليس من أهل العلم بالحديث، ولكن المقصود هنا أنا نذكر قاعدة  
فبقول المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب والمرجع في التمييز بين  
هذا وهذا إلى علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب  
وغير نحو العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة  
وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك فلكل علم رجال يعرفون به • والعلماء  
بالحديث أجل قدرا من هؤلاء وأعظمهم صدقا وأعلام منزلة وأكثر ديناً وهم  
من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلمًا وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل  
مثل مالك وسفيان ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك ووكيع  
والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد وابن معين، وابن المديني  
والبخاري ومسلم وأبي داود، وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والعجلي وأبي أحمد  
ابن عدي، وأبي حامد البستي، والدارقطني وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى  
عدد هم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل، وإن كان بعضهم أعلم بذلك  
من بعض وبعضهم أعدل من بعض في وزن كلامه كما أن الناس في سائر العلوم  
كذلك • وقد صنف الناس كتباً في نقله الأخبار كباراً وصغاراً مثل الطبقات  
لابن سعد وتاريخ البخاري والكتب المنقولة عن أحمد بن حنبل ويحيى بن  
معين وغيرهما وقبلها عن يحيى بن سعيد القطان وغيره وكتاب يعقوب بن سفيان  
وابن أبي خيثمة وابن أبي حاتم وكتاب بن عدي وكتاب أبي حاتم وأمثال ذلك  
وصنفت كتب الحديث تارة على المسانيد فتذكر ما أسنده الصحابي عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كمسند أحمد وإسحاق وأبي داود الطيالسي وأبي بكر بن  
أبي شيبة ومحمد بن أبي عمرو العدني وأحمد بن منيع وأبي يعلى الموصلي

وأبى بكر البزار البصرى وغيرهم . . .

وتارة على الأبواب فمنهم من قصد الصحيح كالبخارى ومسلم وابن خزيمة  
وأبى حاتم وغيرهم وكذلك من خرج على الصحيحين كالأسماعيلي والبرقاني وأبى نعيم  
وغيرهم . . .

ومنهم من خرج أحاديث السنن كأبى داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم  
ومنهم من خرج الجامع الذى يذكر فيه الفضائل وغيرها كالترمذى وغيره ، وهذا  
علم عظيم من أعظم علوم الاسلام ولا ريب أن الرافضة أقل معرفة بهذا الباب  
وليس فى أهل البدع والأهواء أجهل منهم به فان سائر أهل الأهواء كالمعتزلة  
والخوارج يقصرون فى معرفة هذا لكن المعتزلة أعلم بكثير من الخوارج والخوارج  
أعلم بكثير من الرافضة . والخوارج أصدق من الرافضة وأدب وأورع بل الخوارج  
لا تعرف عنهم أنهم يتعمدون الكذب بل أصدق الناس والمعتزلة مثل سائر  
الطوائف فيهم من يكذب وفيهم من يصدق لكن ليس لهم من العناية بالحديث  
ومعرفة مآل أهل الحديث والسنة فان هؤلاء لا يتدبرون فيحتاجون الى أن  
يعرفوا ما هو الصدق ، وأهل البدع سلكوا طريقا آخر ابتدعوها واعتدوها  
ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن فى أصولهم الا للاعتقاد والرافضة  
أقل معرفة وعناية بهذا اذ كانوا لا ينظرون فى الاسناد ولا فى سائر الأدلة  
الشرعية والعقلية هل توافق ذلك أو تخالفه ، ولهذا لا يوجد لهم أسانيد متصلة  
صحيحة قط بل كل اسناد متصل لهم فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب  
أو كثرة الغلط وهم فى ذلك شبيهة باليهود والنصارى فانه ليس لهم اسناد  
والاسناد من خصائص هذه الأمة وهو من خصائص الاسلام ثم هو فى الاسلام  
من خصائص أهل السنة .

والرافضة من أقل الناس غاية إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق  
أهواءهم وعلامة كذبه أنهم يوافق هواهم، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي  
أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم ثم إن  
أولهم كانوا كثيرى الكذب فانتقلت أحاديثهم إلى قوم لا يعرفون الصحيح من  
السقيم فلم يمكنهم التمييز إلا بتصديق الجميع أو بتكذيب الجميع (١)

ثم ناقش الحجة رحمه الله مناقشة خارجية بعد نقاشه لها مناقشة  
داخلية في نقد أسنادها فقال رحمه الله "والاستدلال على ذلك بدليل منفصل  
غير الأسناد، فيقال ما يرويه مثل أبي نعيم والثعلبي والنقاش وغيرهم أتقبلونه  
مطلقاً أم تردونه مطلقاً أم تقبلونه إذا كان لكم لا عليكم وتردونه إذا كان عليكم  
فإن تقبواؤه مطلقاً ففي ذلك أحاديث كثيرة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان تناقض  
قولكم، وقد روى أبو نعيم في أول الحلية في فضائل الصحابة أو في كتاب مناقب  
أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أحاديث بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة بل منكروه، وكان  
رجلاً عالماً بالحدِيث فيما ينقله لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب ليحرفوا عنه  
روى كالمفسر الذي ينقل أقوال الناس في التفسير، والفقهاء الذي يذكر الأقوال  
في الفقه، والمصنف الذي يذكر حجج الناس ليدكر ما ذكره، وإن كان كثير من  
ذلك لا يعتقد صحته بل يعتقد ضعفه لأنه يقول أنا نقلت ما ذكر غيري فالعهد  
على الناقل لا على الناقل .

(١) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقد رية ج٤ ص ١٠-١١

وهكذا كثير من صنف في فضائل العبادات وفضائل الأوقات  
وغير ذلك يذكرون أحاديث كثيرة وهي ضعيفة بل موضوعة باتفاق أهل العلم  
كما يذكرون في فضائل صوم رجب أحاديث كلها ضعيفة بل موضوعة عند أهل  
العلم، ويذكرون صلاة الرغائب في أول جمعة منه وألفية نصف شعبان  
وكما يذكرون في فضائل عاشوراء ماورد من التوسعة على العيال  
وفضائل المصافحة والحناء والخضاب والاعتسال ونحو ذلك، ويذكرون فيها صلاة  
وكل هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصح في عاشوراء الا فضل  
صيامه، قال حرب الكرماني قلت لأحمد بن حنبل الحديث الذي يروى من وسع  
على عماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فقال لا أصل له . . .  
وقد صنف في فضائل الصحابة على وغيره غير واحد مثل خيثمة  
ابن سليمان الأطرابلسي وغيره، وهذا قبل أبي نعيم، وأبو نعيم يروى عنه  
أجازة، وهذا وأمثاله جروا على العادة المعروفة لأمثالهم من يصف في  
الأبواب أنه يروى ما سمعه في هذا الباب، وهكذا المصنفون في التاريخ مثل  
تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره إذا ذكر ترجمة واحد من الخلفاء الأربعة  
أو غيرهم يذكرون كل ما رواه في ذلك الباب، فيذكر لعلي ومعاوية من الأحاديث  
المروية في فضلها ما يعرف أهل العلم بالحديث أنه كذب، ولكن لعلي من  
الفضائل الثابتة في الصحيحين وغيرهما . ومعاوية ليس له بخصوصه فضيلة  
في الصحيح لكن قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما والطاقم  
وتبوك وحج معه حجة الوداع وكان يكتب الوحي فهو من أئمنه النبي صلى الله  
عليه وسلم على كتابه الوحي كما ائتمن غيره من الصحابة، فان كان المخالف  
يقبل كل ما رواه هؤلاء وأمثالهم في كتبهم فقد روى أشياء كثيرة تناقض مذاهبهم

وان كان يرد الجميع بطل احتجاجه بمجرد عزوه الحديث، وان قال أقبل ما يوافق مذهبي وارد ما يخالفه أمكن منازعة أن يقول له مثل هذا باطل لا يجوز أن يحتج على صحة مذهب بمثل هذا فإنه يقال ان كنت عرفت صحة هذا الحديث بدون المذهب فاذا كرما يدل على صحته ، وان كنت انما عرفت صحته لأنه يوافق المذهب امتنع تصحيح الحديث بالمذهب لأنه يكون حينئذ صحة المذهب موقوفة على صحة الحديث وصحة الحديث موقوفة على صحة المذهب فيلزم الدور الممتنع ، وأيضا فالمذهب ان كنت عرفت صحته بدون هذا الطريق لم يلزم صحة هذا الطريق ، فان الانسان قد يكذب على غيره قولا وان كان ذلك القول حقا ، فكثير من الناس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يلزم من كون الشيء صدقا في نفسه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله وان كنت انما عرفت صحته بهذا الطريق امتنع أن تعرف صحة الطريق بصحته لافضائه الى الدور . فثبت أنه على التقديرين لا يعلم صحة هذا الحديث لموافقته للمذهب سواء كان المذهب معلوم الصحة أو غير معلوم الصحة ، فكل من له أدنى علم وانصاف يعلم أن المنقولات فيها صدق وكذب وأن الناس كذبوا في المثالب والمناقب كما كذبوا في غير ذلك وكذبوا فيما يوافقهم ويخالفهم ، ونحن نعلم أنهم كذبوا في كثير مما يروونه في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان كما كذبوا في كثير مما يروونه في فضائل علي .

وليس في أهل الأهواء أكثر كذبا من الرافضة بخلاف غيرهم فان الخوارج لا يكادون يكذبون بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم . . .

وأما أهل العلم والدين فلا يصدقون بالنقل ويكذبون بمجرد موافقة ما يعتقدون بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه فيردونها لعلمهم بأنها كذب، ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها  
وان كان ظاهرهما بخلاف ما يعتقدون اما لا اعتقاد هم أنها منسوخة أولها تفسير  
لا يخالفونه ونحو ذلك ..

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائهم ، ومن يشركهم  
في علمهم علم ما يعلمون ، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل فلا بد  
من هذا وهذا ، والا فمجرد قول القائل رواه فلان لا يحتج به لأهل السنة  
ولا الشيعة ، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف فكل حديث  
يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته ، ومجرد عزوه إلى رواية الثعلبي ونحوه  
ليس دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم بالنقل ، ولهذا لم يروه أحد من علماء  
الحديث في شيء من كتبهم التي يرجع الناس إليها في الحديث لا الصحيح  
ولا السنن ولا المسانيد ولا غير ذلك لأن كذب مثل هذا لا يخفى على من له أدنى  
معرفة بالحديث ..

وانما هذا عند أهل العلم بمنزلة ظن من يظن من العامة وبعض من  
يدخل في غمار الفقهاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على أحد المذاهب  
الأربعة ، وأن أبا حنيفة ونحوه كانوا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم أو كما  
يظن طائفة من الثركمان أن حمزة له مغاز عظيمة وينقلونها بينهم ، والعلماء  
متفقون على أنه لم يشهد إلا بداراً واحداً ، وقتل يوم أحد ، ومثل ما يظن كثير من  
الناس أن في مقابر دمشق من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة وغيرها  
ومن أصحابه أبي بن كعب وأويس القرني وغيرها وأهل العلم يعلمون أن أحداً  
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم تقدم دمشق ولكن كان في الشام أسماء  
بنت يزيد بن السكن الأنصاري وكان أهل الشام يسمونها أم سلمة فظن الجهال

أنها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبى بن كعب مات بالمدينة  
وأويس تابعى لم يقدم الشام، ومثل من يظن من الجهال أن قبر على بباطن النجف وأهل  
العلم بالكوفة وغيرها يعلمون بطلان هذا ويعلمون أن عليا ومعاوية وعمرو بسنن  
العاص كل منهم دفن في قصر الامارة ببلده خوفا عليه من الخوارج أن يبدشوه  
فانهم كانوا قد تحالفوا على قتل الثلاثة فقتلوا عليا وجرحوا معاوية ، وكان عمرو  
ابن العاص قد استحلف رجلا يقال له خارجة فضربه القاتل يظنه عمرو  
فقتله فتبين أنه خارجة فقال أردت عمرو وأراد الله خارجة فصار مثالا، ومثل  
هذا كثير مما يظنه كثير من الجهال، وأهل العلم بالمنقولات يعلمون خلاف  
ذلك . (١)

هذا التضييد من شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لهذه الرواية  
المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدايتها الى هنا هو وجه  
واحد من أربعة أوجه . وكل واحد من تلك الأوجه كاف في بيان كذب هذه  
الرواية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاق واضعها وزندقته الا أنه  
رحمه الله أطلب في بيان وضعها حتى لا يبقى متعلق لزيد يوق أو جاهل وسنقل  
الوجه الثاني من تلك الأوجه ونكتفي به وبالذى قبله عن الوجهين الآخرين  
لما فيهما من الدلالة على قوة منهج شيخ الاسلام في نقد الروايات وتعيين صحيحها  
من سقيمها ، وأنه رحمه الله كان من نقاد الحديث وصيارفة الرجال ومن أهل  
الفن والخبرة بعلم نقد الحديث متنا واسنادا حيث أنه لا يترك الروايات دون أن  
يتعقب عليها بالتعليق والنقد ، والتتقيب عن روايتها ، ودراة أحوالهم من ناحية

عد التهم وغيرها ، وما يكون عليه حال الرواة من ضبط وتسامح وغفلة ومذاهب  
ردية ينتمون اليها ويتعصبون لها ويدعون اليها ، وهو يرجع في ذلك كله الى  
علماء هذا الشأن ومن هم القدوة فيه وهم أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل  
الذين يكن لهم كل حب وتعظيم ولا يكفى بضرورة الرجوع اليهم في هذا الباب  
بل يدعوا الى ذلك ويرى ان الأولى في كل فن أن يعول على أئمة والبارعون  
فيه دون من سواهم ، وذلك لأن من يكون في علم أماما فقد يكون بمتزلة العاصم  
في علم آخر وفن نقد الحديث هو فن أهل الحديث فلا بد من الرجوع اليهم  
في ذلك .

وهذا المنهج الواضح في نقد الروايات وسير غورها وتمييز صحيحها  
من سقيمها الذي انتهجه شيخ الاسلام رحمه الله هو عكس ما عهدنا عليه  
الامام الثعلبي رحمه الله حيث أنه يسوق الروايات في تفسيره دون أن يعقب  
عليها بالنقد مع أنها تشتمل الصحيح والضعيف والموضوع ، وقد كان من أشنعها  
هذه الرواية الموضوعية التي ذكرها الثعلبي في تفسيره دون أن يشير بوضعها  
حتى ظفر بها هذا الرفض وظن أنها تكون له حجة على أهل السنة لأن  
الذي ذكرها - وهو الثعلبي - منهم ولكن هيئات فاني له ذلك . .

ومن أهل السنة من يكون بالمرصاد لمثل هذه الروايات ؟ أمثال

شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . .

ولمزيد الايضاح فلنذكر الآن الوجه الثاني الذين بين فيه شيخ

الاسلام وضع هذه الرواية واختلاقها . .

قال رحمه الله " الوجه الثاني أن نقول في نفس هذا الحديث

ما يدل على أنه كذب من وجوه كثيرة ، فان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم



لما كان بغدير يدعى خمسا نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيدي على وقال من كنت مولاه فعلى مولاه ، وأن هذا قد شاع وطار بالبلاد وبلغ ذلك الحارث ابن العمان الفهرى وأنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته وهو فى الأبطح وأتى وهو فى ملاء من الصحابة فذكروا أنهم امتثلوا أمره بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج ثم قال ألم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك تفضله علينا وقلت " من كنت مولاه فعلى مولاه ، وهذا منك أو من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو من أمر الله تعالى فولى الحارث بن العمان يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته ، وخرج من دبره فقتله ، وأنزل الله " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين " (١) الآية ..

فيقال لهؤلاء الكذابين أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بغدير خم كان مرجعه من حجة الوداع الى المدينة والشعبة تسلم هذا وتجعل ذلك اليوم عيداً وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع الى مكة بعد ذلك بل رجع من حجة الوداع الى المدينة وعاش تمام ذى الحجة والمحرم وصفر ، وتوفى أول ربيع الأول ، وفى هذا الحديث يذكر أنه بعد أن قال هذا بغدير خم وشاع فى البلاد جاءه الحارث وهو بالأبطح والأبطح بمكة فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة

غدير خم •

فان هذه السورة سورة سأل سائل مكية باتفاق أهل العلم نزلت بمكة قبل الهجرة ، فهذه نزلت قبل غدیر خم بعشر سنين أو أكثر من ذلك فكيف نزلت بعده ؟ وأيضاً قوله " واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك <sup>(١)</sup> " في سورة الأنفال وقد نزلت بيد ربالا اتفاق قبل غدیر خم بسنين كثيرة وأهل التفسير متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة كأبي جهل وأمثاله وأن الله ذكر نبيه بما كانوا يقولون " بقوله " اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء " <sup>(٢)</sup> أي ذكر قولهم ، كقوله " واذ قال ربك للملائكة <sup>(٣)</sup> " واذ غدوت من أهلك <sup>(٤)</sup> ونحو ذلك يأمره بأن يذكر كل ما تقدم فدل على أن هذا القول كان قبل نزول هذه السورة ، وأيضاً فإنهم لما استفتحوا بين الله أنه لا ينزل عليهم العذاب ومحمد صلى الله عليه وسلم فيهم فقال " واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " ثم قال الله تعالى " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون <sup>(٤)</sup> " واتفق الناس على أن أهل مكة لم تنزل عليهم حجارة من السماء لما قالوا ذلك فلو كان هذا آية لكان من جنس آية أصحاب الفيل ، ومثل هذا مما تتوفّر المهتم والدواعى على نقله ولو أن الناقل طائفة من أهل العلم فلما كان هذا

(١) سورة الأنفال آية ٣٢

(٢) ، البقرة آية ٣٠

(٣) ، آل عمران آية ١٢١

(٤) سورة الأنفال آية ٣٣

لا يرويه أحد من المصنفين في العلم لا المستند ولا الصحيح ولا الفضائل  
ولا التفسير ولا السير ونحوها إلا ما يروى بمثل هذا الاسناد المنكر علم أنه كذب  
وباطل ، وأيضاً فقد ذكر هذا في الحديث أن القائل أمر بمباني الاسلام الخمس  
وعلى هذا كان مسلماً فانه قال فقبلنا منك ، ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً من  
المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يصبه هذا وأيضاً فهذا الرجل  
لا يعرف في الصحابة بل هو من جنس الأسماء التي يذكرها الطريقة (١)  
من جنس الأحاديث التي في سيرة عتروود لهمة ، وقد صنف الناس كتباً كثيرة  
في أسماء الصحابة الذين ذكروا في شيء من الحديث حتى في الأحاديث  
الضعيفة مثل كتاب الاستيعاب لابن عبد البر .

وكتاب ابن مندة وأبي نعيم الأصبهاني والحافظ أبي موسى ونحو ذلك  
ولم يذكر أحد منهم هذا الرجل فعلم أنه ليس له ذكر في شيء من الروايات  
فان هو لا يذكر الا ما رواه أهل العلم لا يذكرون أحاديث الطريقة مثل  
تنقلاات الأتوار للبكري الكذاب وغيره " (٢)

انتهى المقدار الذي قصدنا نقله من كلام شيخ الاسلام في نقد  
الروايات وبه يتبين للقارىء ما كان يتمتع به من سعة الاطلاع وقوة الحافظة  
مع القدرة على التمييز بين المقبول والمردود من الروايات . . .

---

(١) هم أصحاب الطرق المخرفون الذين يفتعلون الخوارق والكرامات كذبا  
وزورا وينسبونها الى أنفسهم أو الى مشايخهم ، أو الى أهل العلم والزهد  
من الصحابة والتابعين .

(٢) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية ج٤ ص ١٤٣-١٤٤

أما الامام الثعلبي فقد كان يتمتع بلاشك بسعة الاطلاع الا أنه لم  
يمكن يتمتع بالقدرة على تمحيص الروايات وتمييز صحيحها من سقيمها كما شهد  
عليه العلماء قال الحافظ ابن كثير " كان كثير الحديث واسع الاطلاع ولهذا  
يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير " (١)

وقد ذكرنا أن من أوهم الطرق عن ابن عباس " طريق الكلبى عن  
أبى صالح عن ابن عباس فان انعم الى ذلك رواية محمد بن مروان السندى  
الصغير فهى سلسلة الكذب وأن الثعلبي رحمه الله يخرج بهذه الطريق  
كما ذكرنا وصف شيخ الاسلام رحمه الاله بأنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد  
فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع " (٢)

وقول الدكتور الذمى بأن من يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن ابن تيمية  
لم يتقول عليه ولم يصفه الا بما فيه " وقول الدكتور أبى شهبه " وهذا الذى  
ذكره ابن تيمية هو الحق ، مشيراً الى مقالة شيخ الاسلام السابقة . .

وبهذا يعلم " أن الثعلبي رحمه الله لم يتحرر الصحة فى كل ما ينقل  
من تفاسير السلف بل نجده كما لاحظنا عليه ، وكما قال السيوطى فى الاتقان  
يكثرون الرواية عن السدى الصغير عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس .

---

(١) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٤٠

(٢) انظر فى ص ٦٨ من البحث

(٣) ، ، ص ٦٩

كذلك نجد ه قد وقع فيها وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار  
بالأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة، فروى في نهاية كل سورة  
حديثاً في فضلها منسوبا الى أبي بن كعب كما اغتر بكثير من الأحاديث  
الموضوعة على السنة الشيعة فسردها كتابه ودون أن يشير الى وضعها  
واختلاقها وفي هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح  
الأخبار من سقيمها " (١)

قال شيخ الاسلام رحمه الله وهو بصدد بيان الأحاديث الموضوعة  
في كتب التفسير " وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث  
الذي يرويه الثعلبي والواحدى والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة  
فانه موضوع باتفاق أهل العلم " (٢)

ولئن كان قد ادعى رحمه الله في مقدمة تفسيره أن الله قد رزقه  
ما عرف به الحق من الباطل وميز به الصحيح من السقيم وعاب من جمع من  
المفسرين بين الغث والسمين والواهى والمتين فان تفسيره قد نبأ عنه بخلاف  
ذلك حيث جمع فيه بين الغث والسمين والواهى والمتين °

---

(١) التفسير والمفسرون ج١ ص ٢٢٢

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ٧٥-٧٦ تحقيق الدكتور زور

الاسرائيليات:

ومما لا يقضى الناظر عجبه من صدح الثعلبي فسى تفسيره توسعه فسى  
نقل الروايات الاسرائيلية دون تعليق عليها ولو كانت غاية فى الغرابة حيث  
لا يصدقها العقل، وحتى اذا كان فيها ما يخل بالعقيدة \* مثل ما ذكر عند  
قوله تعالى " وما أدت بموء من لنا ولو كنا صادقين " (١)  
قال فقالوا أى اخوة يوسف - ألم تروا الى أبينا كيف يكذبنا فسى  
مقالتنا فتعالوا نسطاد ذئبا قال : فاصطاد وا ذئبا ولطخوه بالدم وأوثقوه  
بالحبال ثم جاؤا به يعقوب وقالوا : يا أبانا ان هذا الذهب الذى يحمل  
على أعظامنا ويفترسها ولعله الذى فجعنا بأخينا لا نشك فيه وهذا دم عليه  
فقال يعقوب أطلقوه فأطلقوه فبصم له الذئب وأقبل يدنو منه ويقول له  
يعقوب أدن أدن حتى ألصق فخذة بفخذة فقال له يعقوب أينها الذئب لم  
فجعتنى فى ولدى وأورثتنى بعده حزنا طويلا ثم قال اللهم أنطقه فأنطقه  
فقال والذى اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ولا مزقت جلده ولا نتفت شعره من  
شعره ووالله مالى بولدك عهد، وانما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر  
فى طلب أخ لى فقدته فلا أدرى أى موأم ميت ؟ فأصطادنى ولدك  
وأوثقنى وان لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش، وباللله لا قمت  
فى بلد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش فأطلقه يعقوب وقال لبنيه واللله  
لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم هذا ذئب بهيمه خرج يتبع زمام أخيه وأنتم

ضيعتم أخاكم وعلمت أن الذئب يرى ما جئتم به (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر  
جميل والله المستعان على ما تصفون" (١) (٢)

ومثل ذلك ما ذكر عند قوله تعالى " إذ أوى الفتية الى الكهف " الآية  
حيث روى عن السدى ووهب ابن منبه وغيرهما فى تفاصيل قصة أصحاب الكهف  
من أسمائهم واسم كلهم — حتى ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله  
أن يريه ايامهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من  
خيار أصحابك ليبلغوهم وسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال النبى صلى الله  
عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم فقال أبسط كسائك وأجلس من أطرافه أبابكر  
وعلى الآخر عمر، وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع على بن أبى طالب ثم ادع  
الريح الرخاء المسخرة لاسليمان فان الله تعالى يأمرها أن تطيعك ففعل  
فحملتهم الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب عليهم فلما رأهم  
حرك رأسه وبصبر بعينيه وأوما برأسه : ان ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا  
السلام عليكم ورحمه الله وبركاته معشر الفتية ، ان النبى محمد بن عبد الله  
يقرا عليكم السلام فقالوا : على محمد رسول الله السلام ما دامت السموات  
والأرض وعليكم ما أبلغتم ، وقبلوا دينه وأسلموا ثم قالوا اقرأوا محمداً رسول الله  
منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم ، وصاروا الى رقدتهم " (٣)

---

(١) الا سرائيليات وأثرها فى كتب التفسير للدكتور رمزى لعناية ص ٢٥١

(٢) سورة يوسف آية ١٨

(٣) الا سرائيليات وأثرها فى كتب التفسير ص ٢٥٢

"والعجب أن الثعلبي يمر على هذه الرواية وما قبلها دون أن يتعقبها بكلمة تكذيب لهما أو شك فيهما مع أن روائح الكذب بادية عليهما وبخاصة الرواية الثانية فما محمد عليه الصلاة والسلام بالشخص الذي بحث فيسأل ربه أن يريه أصحاب الكهف، ولو وقع منه سؤال لربه — كما في الرواية — فلم لا يجاب الى طلبه ؟ ويومر بأرسال أربعة من صحابته المهم فيروهم رأى الحين ؟ هل معنى هذا أن محمدا صلى الله عليه وسلم هان على ربه فحرمه من شيء تاقت نفسه اليه ولم يحرم منه بعض أصحابه ؟ ولم كان الأربعة الذين أرسلهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الأربعة ؟ أليس في ذلك روائح الكذب ، وأمارات الاختلاف ؟ ثم أليس في تسخير الريح لمحمد عليه الصلاة والسلام ما يتنافى مع ما جاء في القرآن من قول نبي الله سليمان عليه السلام " رب اغفر لي وهب ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أدت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب " (١) وما ثبت في الحديث من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يربط شيطانا بسارية المسجد حتى إذا أصبح الصباح يراه أصحابه فلما تذكر دعوة أخيه سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي " أطلقه " (٢)

أليس في كل ما ذكرنا يكفي لرد هذه الرواية وأنها لا أساس لهما من الصحة ؟ " (٣)

---

(١) سورة "ص" آية ٣٥، ٣٦

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٦

(٣) الا سرائليات واثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعمانة ص ٢٥٢



وقد ذكر أيضا في قصة يأجوج وماجوج عند قوله تعالى " ان يأجوج  
وماجوج مفسدون في الأرض <sup>(١)</sup> " وعند قوله تعالى في سورة مريم " فأتت به قومها  
تحمله " <sup>(٢)</sup> أخبارا في نهاية الغرابة والبعد رواها عن السدى ووهب وغيرهما .  
وهذا قليل من كثير وقطره بحر فيما أورد من الاسرائيليات في تفسيره . .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقد اختط خطة جيدة حيال  
الروايات الاسرائيلية حيث قسمها الى ثلاثة أقسام :

(١) ما يعلم صدقه مما بأيدينا .

(٢) ما يعلم كذبه بما عندنا مما يخالفه .

(٣) ما ليس من هذا ولا من هذا فلا نصدق ولا نكذبه .

قال رحمه الله " ولكن هذه الأحدث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد  
لا للاعتقاد ، فانها على ثلاثة أقسام أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا  
مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه  
والثالث ما هو مسكوت عنه . لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به  
ولا نكذبه وتجاوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك ما لا فائدة فيه تعود الى أمر  
ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويأتى عن المفسرين  
خلاف لسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم

(١) سورة الكهف آية ٩٤

(٢) سورة مريم آية ٢٧

(٣) انظر الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لا بى شبهة ص ١٧٨

وعدتهم ، وعصا موسى من أى الشجر كادت ؟ وأسماء الطيور التى أحيا الله تعالى  
لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التى  
كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى فى القرآن مما لا فائدة  
من تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم ولكن نقل الخلاف عنهم  
فى ذلك جائز كما قال تعالى " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة  
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم  
ما يعلمهم الا قليل فلا تمارفهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم عنهم أحداً<sup>(١)</sup>  
فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى  
فى مثل هذا فانه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الاولين وسكت  
عن الثالث فدل على صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد الى أن  
الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال فى مثل هذا (قل ربي أعلم بعدتهم"  
فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله تعالى عليه فلماذا قال  
(فلا تمارفهم الامراء ظاهرا، " أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحتته  
ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب"<sup>(٢)</sup>

هذا هو النهج الذى سلكه شيخ الاسلام رحمه الله فى الاسرائيليات

وهو منهج لا يهتدى اليه الا من له حظ وافر من معرفة علم الحديث ذاك

الميزان الذى ينبغى أن يكون المفسر لكتاب الله عالما به حتى يميز بين الصحيح

والضعيف والموضوع من الروايات ..

---

(١) سورة الكهف آية ٢٢

(٢) مقدمة أصول التفسير ص ١٠٠ - ١٠١

والحقيقة أن عدم د راية بعض المفسرين بالسنة بطريقه عميقة أوقعهم  
فى أخطاء فاحشة أساءت الى الاسلام والى القرآن معا فلو أن المفسرين  
جميعهم كانوا من حفاظ الحديث لما وقع فى كتب التفسير كل هذه الروايات  
الاسرائيلية والموضوعات التى لا تتفق ومبادئ الاسلام، والى التى فتح  
بفترات دخل منها أعداء الاسلام وحاولوا أن يدنسوا بها سمومهم، وما أكثر  
الاسرائيليات والموضوعات، وللأسف الشديد التى دخلت فى كتب التفسير  
كتلك التى ذكرها الثعلبى فى تفسيره دون أن يعلق عليها مع ما اشتملت عليه  
مما لا يوافق عقلا ولا نقلا صحيحا، ولو أنه مشى على مثل تلك القاعدة التى ذكرها  
شيخ الاسلام فى الاسرائيليات وكانت له ملكة فى التطبيق عليها لصان كتابه  
من هذه الروايات الباطلة، ولكن أنى له ذلك؟ وقد شهد عليه العلماء بأنه  
قليل البضاعة فى علم الحديث كما عرفت؟ هذا مع ما شهدوا له من الديانة  
والخير، ولكن الديانة وحسن القصد شىء والمقدرة على تمحيص الروايات وتمييز  
صحيحها من سقيمها ورد الباطل منها شىء آخر؟ والله المستعان . . .

### الثعلبي جماع للأقوال والمذاهب

ومما يلاحظ من منهج الثعلبي في تفسيره أنه لم يقتصر على التفسير المأثور  
فحسب بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه والقراءات والعربية واللفسات  
والاعراب والموازنات والتفسير والتأويلات والأحكام والفقهيات ، والحكم  
والاشارات والفضائل والكرامات .

وقد ذكر صاحب التفسير والمفسرون أنه لاحظ عليه بأنه يعرض للمسائل النحوية  
ويخوض فيها بتوسع ظاهر . وذكر أمثلة لذلك ، كما أنه لاحظ عليه أنه  
يتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام ،  
فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويعرض للمسئلة من جميع نواحيها  
التي درجة أنه يخرج عما يراد من الآية \* (١) وذكر لذلك أمثلة . واذ كنا  
قد عهدنا على الثعلبي أن ينقل لنا الروايات دون أن يتعقب عليها بالنقد  
فلا يتوقع النقد والتمحيص فيما يفرض من الوجوه التي أضافها إلى تفسيره -  
المأثور هذا ومن العيوب التي ينبغي أن يتجنبه المفسر لكتاب الله  
الافاضة في العلوم الاصطلاحية عند تفسير القرآن الكريم كالنحو والصرف  
والبلاغة واصطلاحات أهل التصوف وإشاراتهم وجزئيات المسائل الفقهية  
لأن ذلك كله يحجب عن المعاني المقصودة من الآية . فالقرآن الكريم لم ينزل  
ليفسر به مناهج الفلاسفة ونظرياتهم واصطلاحاتهم ولا اصطلاحات علماء

النحو والصرف ولا لتقرير اشارات أهل التصوف . بل انما أنزل لهداية البشرية ويكفيه من التفسير ما يجلى هذه الناحية المقصودة . وان أى تفسير اغتفت فيه هذه الناحية المقصودة بهذه الاصطلاحات . لهو بحاجة السي من يقوم بمناقشتها وتمحيصها واجلاء جانب الهداية فيه .

شيخ الاسلام ابن تيمية محص مناقش

أما شيخ الاسلام رحمه الله فيجانب كونه محصا للروايات ومميزا صحيحها من سقيمها كما ذكرنا - فهو مناقش للأقوال ومحص للاصطلاحات الحادشة فهو ينفذ عن التفسير بما علق به من تلك الاصطلاحات . وقد تحمل شقة عناء مناقشة أصحاب هذه الاصطلاحات حتى يعود الحق الى نصابه وحتى تنجلي الطريقة المثلى لتفسير القرآن الكريم فقد وصف العلامة الأستان محمد بهجة البيطار رسالته في أصول التفسير " بأنها فيض من بحر قد أملاها من فؤاده - كما قال - وأودعها نفائس لاله ودرره فهي تريك صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن وفهمه وتهديك لحل مشكلات التفسير ومصطلحاته وتدللك على أهدي المفسرين وأفضل كتبهم وتحذرك ممن انتحلوا لأنفسهم عقائد وأصولا بنوا تفاسيرهم عليها وردوا كلام الله وسنة رسوله اليها" (١) وسوق الامثلة لذلك يطيل بنا البحث . والاشارة في ذلك .

الفصل الثاني : في المقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية

وسين

فخر الدين الرازي

وفيه

ثلاث مباحث

- البحث الأول : في تعريف الامام الرازي .  
البحث الثاني : بين منهج السلف والخلف .  
البحث الثالث : في المقارنة بين منهج الرازي في التفسير  
وسين منهج شيخ الاسلام .

المبحث الأول : في تعريف الرازي

الرازي هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي  
البكري الطبرستاني ، الرازي الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب  
الشافعي .

المولود سنة أربع وأربعين وخمسمائة ( ٥٤٤ ) من الهجرة .

كان رحمه الله فريداً عصره ، ومتكلماً رفاهه جمع كثيراً من العلوم ونبع فيها فكان  
اماماً في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة ولقد أكسبه نبوغه العلمي  
شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد ، ويشدون إليه الرجال من  
مختلف الأقطار ، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري  
وعن السمعاني والمجد الجيلي وكثير من العلماء الذين عاصروهم ولقيهم ولسه  
فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ حتى قيل إنه كان يعظ باللسان  
المجمي واللسان العربي وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء (١)  
وقد نسب إليه أشياء غريبة من ذلك أنه كان يفعل المعاصي مع المماليك وغيرهم  
ومن ذلك أنه كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتوسع فيها اتساعاً زائداً  
وليس ذلك من صفة العلماء . ولهذا وأمثلة كثرت الشناعات عليه .

---

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٩٠

وكذلك قامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله محمد البادي  
يعنى المربى يريد به النبي صلى الله عليه وسلم نسبة الى البادية ، وقال  
محمد الرازي يعنى نفسه .

ومنها أنه كان يقرر الشبهه من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك  
بأدنى استشارة وغير ذلك " (١)

الا أنه بيد وأن أكثر ما نسب اليه غير صحيح وخاصة ما يتعلق بالناحية السلوكية  
وازدراء النبي صلى الله عليه وسلم . فان هذا لا يظن بهذا الامام . كيف  
وقد سبق من ترجمته أنه كان واعظا مؤثرا ومتأثرا في نفس الوقت حيث كان  
يلحقه الوجد ؟

أما ما نسب اليه من صحبة للسلطان وتوسمه في الدنيا فقد قال عنه الحافظ  
ابن كثير " كان معظما عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة فى  
بلدان شتى ، وملك من الذهب المين ثمانين ألف دينار وغير ذلك من  
الأمثلة والمراكب والأثاث والملابس وكان له خمسون مملوكا من الترك وكان يحضر  
فى مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والفقراء والعمامة وكانت له عادات  
وأوراد " (١)



ومن كانت هذه صفته وعلاقته مع السلطان فلا بد أن تقبل عليه الدنيا ولكن هل من مانع شرعا أن يصحب المصلح والداعية مع الأمر والسلاطين على جهة الإصلاح ينصحهم ويدعوهم إلى الاسلام وإلى التزام مبادئه ويعينهم على ذلك شريطة أن لا يزين لهم الباطل أو يوافقهم على أهوائهم ، بأن يصدر لهم الفتاوى على خلاف الحق ارضا لشهواتهم ؟ أعتقد أن ذلك ليس فيه مانع شرعا بل هو من واجب العالم ، هذا من ناحية صحبته للأمر ، أما من ناحية توسعه في الدنيا فهل فيه مانع شرعا كذلك إذا كان من طريق حلال وأدى فيه حق الله .

وان كان التقليل فيها أفضل وأليق بالعلماء ، والذي يظن بمثل الفخر الرازي أنه كان يكتسب من طرق نظيفة مباحة ، وان جاءه شيء من الامراء فهو أهل لذلك . فالتشجيع عليه في مثل ذلك مما لا ينفى . وقد كانت الحملات الشديدة توجه اليه من قبل الكرامية وكانوا ينالون منه الأذى وينال منهم . ولعلمهم الذيق أشاعوا عنه هذه الشناعات .

أما ما كان يقرر من شبه خصوم الاسلام بالمبارات الكثيرة الرائعة وقصوره عن الاجابة بمثلها من العبارات فليس ذلك منه تعمد للكلام الباطل . بل كان يتكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر والبحث في كل مقام بما يظهر له أنه حق وان كان في حد ذاته باطلا . وكان سبب ذلك ما اغتربه من علوم الفلسفة التي ظننها كفيरे من المتكلمين أنها المقياس الصحيح في فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكانت سببا في دخوله تلك

المضايق التي لا يخرج الانسان منها سالما . قال الحافظ ابن حجر  
رأيت في الإكبر في علم التفسير للنجم الطوفى ما ملخصه . ما رأيت فى  
التفسير أجمع لفالب علم التفسير من القرطبي ، ومن تفسير الامام فخر الدين  
الا أنه كثير العيوب . فحدثنى شرف الدين النصيبى عن شيخه سراج الدين  
السرماهى المغزبى أنه صنّف كتاب المأخذ فى مجلدين بين فيها ما فى  
تفسير الفخر من الزيف والبهرج وكان ينقم عليه كثيرا ويقول :-  
يورد شبه المخالفين فى المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم  
يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء . . قال الطوفى :  
ولعمري ان هذا دابة فى كتبه الكلامية والحكمة حتى اتهمه بعض الناس  
ولكنه خلاف ظاهر حاله لأنه لو كان اختار قولاً أو مذاهباً ما كان عنده من يخاف  
منه حتى يستتر عنه . ولعل سببه أنه كان يستفرغ أقوالاً فى تقرير دليل  
الخصم فاذا انتهى الى دليل نفسه لا يبقى عنده شئ من القوى ، ولا شك  
أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح فى مقدمة نهاية  
المقول : أنه مقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على  
الزيادة على ذلك " (١)

---

(١) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢٧ - ٤٢٨

ومهما كان من تعليل في سبب اجادته في تقرير دليل الخصم فقد أدركه لطف الله سبحانه وتعالى فتأب في آخر عمره عما خاض من مسائل الكلام ورجع الى منهج السلف .

قال الحافظ ابن كثير \* وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول : من لسزم مذهب المعائز كان هو الفائز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجوع عن مذهب الكلام فيها الى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه \* (١)

وورد أنه قال في وصيته المشار اليها : يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه محمد بن عمر بن الحسين وهو أول عهد بالآخرة . وآخر عهده بالدينيا وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس . ويتوجه الى مولاه كل آبق السى أن قال : فاعلموا أنى كنت رجلا محبا للعلم فكنت أكتب في كل شىء لأقف على كميته وكيفيته سواء كان حقا أو باطلا ، الى أن قال :-

ولقد اخبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت منها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن لأنه يسمى فى تسليم العظماء والجلال لله ويمنع من التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات وما ذاك الا للعلم بأن المقول البشرية تتلاشى فى تلك المنايق العميقة والمناهج الخفية

---

(١) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٥٥

فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته  
عن الشركاء ، كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذي  
أقول به وألقى الله .

وأما ما ينتفى الأمر فيه إلى الدقة والضموم فكلما ورد في القرآن والصحاح  
المتعين للمعنى الواحد فهو كما قال ، والذي لم يكن كذلك أقول :

يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم  
الراحمين . فكلما مدته قلبي أو خطر بيالي فأستشهد وأقول إن علمت  
منى أنى أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق . فافعل بي ما أنا أهله .

وإن علمت منى أنى ما سمعت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق أو تصورت أنه  
الصدق فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي . فذاك جهد المقتل أنت  
أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة فأغنى وارحمى واسترزلنى "

إلى أن قال : وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها إيراد السؤال  
فليذكرنى من نظر فيها بمصالح دعائه على سبيل التفضل والانعام والا مليحذف  
القول السى فانى ما أدت الإكثير البحث شحذ الخاطر . والاعتماد فى

الكل على الله " (١)

---

(١) مقدمة كتاب تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية لمحمد

بن عبد الرحمن قاسم ج ١ ص ٣٢ - ٣٣

وروى عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية والضحاح الفلسفية فلم  
أجد لها . تروى غليلا ، ولا ~~غليلا~~ ، ورأيت أصح الطرق طريقة  
القرآن . اقرأ في التنزيه "والله هو الغنى وأنتم الفقراء" (١) وقوله :  
" ليس كمثل شيء " (٢) ، " قل هو الله أحد " (٣)  
واقراً في الاثبات ( الرحمن على العرش استوى ) (٤) ، ( يخافون  
ربهم من فوقهم ) (٥) ( اليه يصعد الكلم الطيب ) (٦) واقراً في أن  
الكل من الله قوله " قل كل من عند الله " (٧)

- 
- (١) سورة محمد آية ٣٨
  - (٢) سورة الشورى آية ١١
  - (٣) سورة الاخلاص آية ١
  - (٤) سورة طه آية ٥
  - (٥) سورة النحل آية ٥٠
  - (٦) سورة فاطر آية ١٠
  - (٧) سورة النساء آية ٧٨

ثم قال : وأقول من صميم القلب من داخل الروح انى مقر ، بأن ما هو الأكمل  
الأفضل الأجل فهو لك ، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزله عنه " (١)

### مؤلفاته

وقد ألف الامام الرازى مؤلفات كثيرة فى فنون متعددة : منها فى القرآن  
وعلموه " تفسيره الكبير الذى لم يكمله ، وكتاب فى اعجاز القرآن ، ومنها  
فى علم الكلام المطالب العالیه ونهاية العقول . وكتاب تأسيس التقديس فى تأويل  
الصفات وغيرها .

ومنها فى أصول الفقه " المحصول " ٢ والمعالم فى أصول الفقه .

الى غير ذلك من تصانيفه الكثيرة .

### وفاته

توفى الفجر الرازى سنة ست وستائة هجرية (٦٠٦) هـ وقد اختلفت المصادر  
فى سنة وفاته فذكر كل من الحافظ ابن كير فى البداية والنهاية (٢) والداودى

---

(١) طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٢١٥ والبداية والنهاية

ج ١٣ ص ٥٦

(٢) ج ١٣ ص ٥٢ حيث ذكره فى وفيات هذه السنة .

في طبقات المفسرين (١) ، وابن الاثير في الكامل (٢) أن وفاته كانت سنة  
ست وستمئة وذكر الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون (٣) أن وفاته كانت سنة  
٦٣٩ هـ ( تسع وثلاثين وستمئة ، وذكر ابن قند في كتاب الوفيات بأن وفاته  
كانت سنة ست عشرة وستمئة (٦١٦) هـ . فعلق عليه المحقق بأن الصواب  
أن وفاته كانت سنة ٦٠٦ هـ . والله أعلم .

---

(١) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢١٥

(٢) ج ١٢ ص ٢٨٨

(٣) ج ١ ص ٢٩١

(٤) ص ٣٠٨

المبحث الثاني : بين منهج السلف والخلف

والحقيقة أن المقارنة بين الامامين فخر الدين الرازي وشيخ الاسلام ابن تيمية ليست مقارنة بشخصين فحسب . بل مقارنة بين منهجين بين منهج المتكلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وهاغوا قوانينها واصطلاحاتها في قالب نصوص الكتاب والسنة وجعلوا دلالة نصوص الكتاب والسنة غير قطعية ولا صالحة للاعتماد الا اذا شهد لها بالصحة قوانين المنطق اليونانى .

وبين المنهج الذى سار عليه الصحابة والتابعون وأتباعهم باحسان الى يوم الدين الذين يرون وجوب اتباع النصوص وقطعية دلالتها ، والمقارنة بين هذين المنهجين تحتاج الى جهد ، ووقت كبيرين ، وباحث رزق صفة الاطلاع ، والمصابرة على البحث يصل ليله بنهاره حتى يجلى نعاضة منهج السلف وأصالته وانحراف منهج الخلف وضلاله ، ولست ادعى توفر هذه المواصفات التى ذكرتها ولا قريبا منها الا أنى سأحاول اقتطاف قبسات من هنا وهناك لعلها تنمى الطريق للسالك وتزيل الغشاوه عن عيون تعذرت عليها الرؤية الصحيحة فى معنى النصوص . وقلوب تكشفت عليها سحب الجهل والضلال حتى استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وحتى ظننت السراب ماء .



### تعريف السلف والخلف

انذا قيل : السلف الصالح فالمقصود بهم القرون الثلاثة المذكورة في الحديث الصحيح " خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم " فالصحابه رضوان الله عليهم على رأس هذه القرون الثلاثة ثم التابعون وأتباعهم ثم ان من سار على هذا المنهج ينسب اليهم . قال فلان . سلفى يعنى أنه ينتهج منهج السلف الصالح وان تأخر زمنه عنهم ، وامام هؤلاء هو الكتاب والسنة فهو الميزان الذى يزنون به الكلام . لا يقدمون عليه شيئا من قياس أو عقل أو ذوق أو غير ذلك .

### أما الخلف :

فالمقصود منهم طائفة تأخرت عن السلف الصالح زما ومنهجها . أما زما فهم بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير . وأما منهجا فهم أعتاشوا عن منهجهم بمنهج الفلاسفة وظنوا أن علم المنطق هو الميزان الصحيح الذى يوزن به المعلومات والبراهين والحجج حتى سموه خادم العلوم أو رئيس العلوم . (١)

---

(١) انظر كشف اصطلاح الفنون ج ١ ص ٤٦ سترى كيف يسمى علم

المنطق خادم العلوم أو رئيس الملوم ؟

فصاغوا قوانينه في قالب النصوص ، وبالفوا في تعظيمه حتى قدموه على النصوص عند التعارض بحجة أن الأدلة العقلية قطعية والأدلة السمعية ظنية ولم يستثنوا حتى ما يتعلق في ذات الله وصفاته التي لا مجال للرأى فيها مما كان سبباً في انحرافهم وضلالهم وحيرتهم .

### منهج السلف

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن بداية هذا العالم ومصيره ، وما يهجم عليه الانسان بعد موته . وأتاهم علم ذلك كله بواسطة الصلاة والسلام عفووا بدون تعب ولا تعقيد وبأسلوب فطرى لا يتوقف فهمه على ذكاء نادر وعلم فائق ودراسته واسعة للمعلوم واحتاطة بالمصطلحات العلمية ومعرفة المنطق والفلسفة والرياضيات والفلكيات وعلوم الطبيعة . يفهمه العوام كما يتذوقه الخواص وينتفع به الجهلاء كما ينتفع به العلماء كل على قدر فهمه وطاقته ويطلق حال الأمم التي تعيش على فطرتها وسذاجتها . كما يطلق حال الامم المتدنه المثقفة العالية" (١)

---

(١) النبوة والانبياء في ضوء القرآن ص ٨١ / ط دار القلم

" وكان الصحابة رضوان الله عليهم سعداً موفقين ان عدلوا في ذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفوا المؤونه وسعدوا بالثمرة ووفروا ذكاهم وقوتهم وجهادهم في جهاد ووفروا عليهم أوقاتهم فصرفوها فيما يعنيههم من الدين والدنيا وتمسكوا بالمروة الوثقى " (١)

وكانوا كما قال الحسن البصرى رحمه الله " أبرهذه الأمة قلوبها وأعمقها علما وأقلها تكلفاً " (٢) وأقرب أن يوفقوا لما لم يوفق له غيرهم لما خصصهم الله تعالى به من توقة الأذعان وفصاحة اللسان وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب تعالى فالعربية طبيعتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وهقولهم ولا حاجة بهم الى النظر فى الاسناد وأحوال الرواه وعلل الحدِيث والجرح والتعديل ولا الى النظر فى قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين بل قد أغنوا عن ذلك كله فليس فى حقهم الأكران :

أحدهما : قال الله تعالى كذا وقال رسوله كذا

والثانى : معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى

الأمة بهما فقواهم متوفرة مجتمعة عليها . " (٣)

---

(١) الامام الممتحن أحمد ابن حنبل للنندوى ص ٦

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١١٩

(٣) أعلام الموقعين ج ٤ ص ١٤٨ - ١٤٩

هذا حال الصحابة رضوان الله عليهم في تمسكهم بالنصوص وأخذهم في الدين أصولا وفروعا مع ذكائهم وفطنتهم وفهمهم للنصوص في حق الفهم أما من أخذ عنهم من التابعين ومن أخذ عن التابعين من تبع الأتباع فقد عظموا النصوص وقد رووها حق قدرها وعرفوا للصحابة حقهم فتلقوا عنهم العلوم وسلكوا طريقهم . وناقحوا عنهم وأوصى بعضهم لبعض أن يتمسك بأخلاق الصحابة وهدى بهم كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في الحث على تمسك أخلاقهم وهدى بهم " أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلمة قوما اختارهم الله لصحبه نبيه صلى الله عليه وسلم فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فانهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم " (١)

وكانت طريقتهم في النصوص : الأخذ بها وتعظيمها والايان بما دلت عليها وعدم معارضتها بمعقول أو قياس بل اذا ثبت عند هم النص لم يكونوا ليلتفتوا الى غيره . فما كان من النصوص متعلقا بالأحكام والمعاملات وما فيه مجال للقياس يستعملون القياس لاحاق الفروع بالأصول هذا ان لم يجدوا نصا لهذا الفرع أما ان وجدوا له نصا فلا يلتفتون الى سواه .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ج ٢ ص ١١٩

وما كان من النصوص متعلقا بعالم الغيب من جنة ونار وجزاء أو في ذات الله وصفاته فهم يؤمنون بها على ما ورد به النص من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل وما عجزت عقولهم عن كيفية يكون علمه الى الله سبحانه وتعالى ولا يتميئون أنفسهم في البحث عن حقيقته وكنهه ، مع اثباتهم لله تعالى كل صفات الكمال اللائق به وتزيههم عن كل نقیصة .

فيصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل .

ولا يعطون لعقولهم سلطة في فهم كنه ذات الله أو صفاته أو في حقائق المفيات وكفها . وقد طفحت بذلك كتبهم وأبدؤا وأعادوا دفاعا عن هذه الطريقة وردا على من حاد عنها . ولناخذ الآن بعض الأمثلة عن مقالاتهم في ذلك .

قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي ( ٢٨٠ ) في خطبه كتابه لرد على الجهمية " فهو الله الرحمن الرحيم ، قريب مجيب ، متكلم ، قائل شاء ، مرید ( فعال لما يريد ) (١) الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء له الأمر من قبل ومن بعد ، وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٢) وله الأسماء الحسنی (٣) ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٤)

---

(١) سورة البروج آية ١٦

(٢) سورة الاعراف آية ٥٤

(٣) سورة طة الآية ٨

(٤) سورة الحشر الآية ٢٤

" يقبض ويبسط " (١) ويتكلم ويرضى ويسخط ويفضب ، ويحب ويبغض ، ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الجلال والاكرام والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلى لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على من خلقه لا تخفى عليه منهم خافية . علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) (٢)

فهذا الرب تؤمن واياه تعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته الى اله بخلاف هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده . باله كفرانه لا غفرانه (٣) ويقول في موضع آخر بعد إيرادها لأحاديث النزول :

" فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن وعلى تصديقها والايمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر ممن مشايخنا ، لا ينكرها منهم أحد ، ولا يمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم برد وشمروا لدفعها بجد ، فقالوا كيف نزوله هذا ؟ قلنا : لم نكلف كيفية نزوله في ديننا ولا تعقله قلوبنا وليس كمثله شيء من خلقه فنشبهه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفاتهم ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء فالكيف منه غير معقول ، والايمان يقبول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله واجب ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل ؟ وهم يسألون لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء وانما يقال

(١) سورة البقرة آية ٢٤٥

(٢) سورة الشورى آية ١١

(٣) الرد على الجهمية ص ٣ - ٤

لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له الا ما أقدره الله تعالى عليه كيف يصنع  
وكيف قدر؟ (١)

وقال الامام المحدث المفسر أبو عثمان اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ  
في تقرير عقيدة أهل الحديث والأثر:

• أصحاب الحديث حفظوا الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى  
بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة . ويعرفون  
ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزله أو شهد له بها رسوله  
صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته المدول الثقات  
عنه ويشبهون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله  
صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه  
فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل ( قال )  
ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " (٢)

ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف  
المعتزلة الجهمية أهلهم الله ولا يكييفونها كيف أو تشبيها  
بأيدي المخلوقيين تشبيه المشبهه خذلهم الله وقد أعان الله تعالى أهل السنة

---

(١) الرد على الجهمية ص ٤٦

(٢) سورة ص آية ٧٥

من التحريف والتكليف ومن علمهم بالتمريف والتفهم حتى سلكوا سبيل التوحيد  
والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه . واتبعوا قول الله عز وجل ( ليس  
كمثل شئ \* وهو السميع البصير ) (١) وكذلك يقولون في جميع الصفات السنتي  
نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعيان  
والوجه والعلم والقوة القدرة والعزة والمظنة والارادة والمشية والقول  
والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة (٢) والفرح والضحك وغيرها من  
غير تشبيه لشي \* من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها  
الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه  
ولا إضافة اليه ولا تكيف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة  
للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر  
ويكسبون علمه الى الله تعالى ويقولون بأن تأويله لا يعلمه الا الله كما أخبر الله  
عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى \* والراسخون في العلم  
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب \* (٣) (٤)

---

(١) سورة الشورى آية ١١

(٢) لم يرد صفة اليقظة في القرآن الكريم ولم أقف على السنة النبوية ما يثبتها  
له جل وعلا ولعل الامام الصاهوني استنبطها من قوله تعالى \* لا تأخذه  
سنة ولا نوم \* فوصفه باليقظة الا أن صفات الله توقيفية لا تثبت -  
بالاستنباط ولا بالقياس بل يكتفى بما ورد بنص القرآن والسنة . والله أعلم .

(٣) سورة آل عمران آية ٧

(٤) الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ .



## منهج أهل الكلام

أما منهج أهل الكلام فإنه منهج ملتزم مضطرب في عامة ما يقرره من المبادئ  
يدرس القرآن والسنة النبوية من خلال الفلسفة اليونانية فيقرر ما يوافقها وينفي  
ما يعارضها أو يتمحل له التأويلات الباطلة ويحرف الكلم عن مواضعها .  
ويمجد هذه المناهج العقلية ويخصمون لها النصوص الدينية بما فيها من  
المعاني والحقائق التي لا تدركها العقول .

والعجب فيهم أنهم تعلقوا بمناهج أنتجتها عقول لم تعرف الله ورسوله ولم  
تؤمن بالأديان السماوية فجعلوها أصولاً يجب الرجوع إليها في فهم النصوص  
وميزاناً يوزن به المعلومات ويعرف به الصحيح من الباطل . ويعصم صاحبه  
من الزلل والوقوع في الخطأ . .

وقد تزعمت المعتزلة هذا الاتجاه وتبهمهم من جاء بعدهم ممن انتسب إلى  
أهل السنة وغيرهم ، وحاول هؤلاء جميعاً تحويل الإسلام إلى منهج فلسفي  
عقلي معقد لا يفهمه إلا المتخصصون بالفلسفة اليونانية " ولقد كان هذا الاتجاه  
العقلي الذي تزعمه المعتزلة والذي كان يقوم على تمجيد العقل وتأليهه  
واخضاع النظام الديني بما فيه من عقائد وحقائق بل إخضاع الذات والصفات  
والأفعال الإلهية له وعلى قياس الغائب على الشاهد اتجاهها خطيراً على  
الإسلام وفتح باب فساد عظيم في المجتمع الإسلامي . لقد كان هذا تحويلاً  
للدين البسيط العلي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يستسيفه

العقل البشرى بكل سهولة الى فلسفة نظرية دقيقة يعجز عن فهمها  
واساغتها كثير من العقلاء والأذكيا . ولقد كان هذا تنمية للعقل  
على حساب العاطفة والوجدان واضعافا للايمان واثارة للشكوك والشبهات  
وعدم الثقة بما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ويمجز العقل عن تحليله  
واقامه الدليل على وجوده وما أكثر في العالم ما يعجز العقل عن تحليله  
واقامة الدليل عليه " (١)

" وقد لاحظ الدكتور أحمد أمين - الذي انتصر للمعتزلة في كتبه وكان سيد  
الاعجاب بهم عظيم الاعتراف بانناجهم وغد متهم للدين - أن نقطة الضعف  
فيهم أنهم أسرفوا في تمجيد العقل والايمان بقوه واقتداره يقول - وهو  
يذكر الخلاف بين المحدسين والمعتزلة - " فجوهر الخلاف اذا بين  
هؤلاء والمعتزلة هو سلطة العقل ومداه وحدودها . رأى المعتزلة أن  
العقل البشرى قد منح من السلطة والسعة ما يمكنه من إقامة البرهان  
حتى على ما يتعلق بالله فلا حدود للعقل الا براهينه . بل ولا زلل  
ولا خطأ متى صح البرهان فاستعملوا البراهين في آدق الأمور وأصعبها  
وأعقدها ففي استطاعة العقل الوصول الى الحق فيها وتكثدا كانت نزعة  
المعتزلة هذه متجلية في كل أبحاثهم ، يسيرون وراء البرهان

---

(١) الامام المتحن أحمد بن حنبل للندوى ص ١

الى نهايته ، وتنبرون أصعب المشاكل وأعقدها ويتمرضون لحلها فاذا تم لهم حلها أو على الأقل - اعتقدوا حلها تأولوا آيات القرآن على مقتضاها ، وعلسى العكس من ذلك الاخرون . رأوا أن العقل أضعف من ذلك وأن استطاعته محدوده بادراك ما يتعلق بشأته هو أو أقل من ذلك وأنه منح القدرة على أن يدرك البرهان على وجود الله والنبوة للجماعة أو نبوة محمد خاصة ولم يمنح القدرة على كنه الله وصفاته فلنؤ من بما جاء به أنبياءه ولنقف عند ما قالوه الا نثر مشاكل لم يأت بها الأنبياء ، ولنسند الطريق على من يثيرها ، فان جادلناهم في شىء ففى بيان خطئهم وفساد طريقتهم (١) وتبعنا لأهوائهم وعقولهم الفاسدة فقد نفى هؤلاء صفات الله سبحانه وتعالى ، ونسبوا اليه ما لا يليق به من الجهل والعجز وأوجبوا عليه الصلاح والأصلاح ثم تبصمهم على كثير من مبادئهم أقوام انتسوا الى أهل السنة فأولوا كثيرا من صفات الله تعالى كالاشعرية . فانهم يثبتون لله الأسماء وبعض صفاته ويؤلون باقضى الصفات تبعا للمعتزلة وتأثرا بمناهج الفلاسفة . ومن تلك الصفات التى يؤلونها الصفات الفعلية كالرحمة والفضب والقبس والمكر والنحك والسخط وغيرها وبعض صفات الذات مثل الوجه واليد بين والقدم والا صبع وغيرها . ادعاء منهم بأن اثبات ذلك يلزم منه مشابهة الخالق بالمخلوق . وقد أحسن علماء السلف الرد على هؤلاء حيث منعوا أولا الاشتغال بالفلسفة وعلم الكلام ، ثم ناقشوا من فسر نصوص الكتاب السنة بالمبادئ الفلسفية .

---

(١) الامام الممتحن احمد بن حنبل للندوى ص ٨



وروى عن هارون الرشيد أنه قال طلبت أربعة فوجدتها في أربعة  
طلبت الكفر فوجدته في الجهمية ، وطلبت الكلام والشعب فوجدته في  
المعتزلة ، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة ، وطلبت الحق فوجدته  
مع أصحاب الحديث \* (١)

ويقول حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : " أجمع أهل الفقه والآثار  
من جميع الامصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيع ولا يمدون عند الجميع  
في جميع الامصار في طبقات العلماء وانحاء العلماء أهل الاثر والتفقه  
فيه " (٢)

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : " أصبح أهل الرأي أعداء  
السنن أعتبهم الاحاديث أن يعومها وتغلقت منهم أن يرووها فاشتقوا الرأي " (٣)  
وعن الحسن البصرى قال : " انما هلك من كان قبلكم حين تشعبت  
بهم السبل وحادوا عن الطريق فتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضلوا  
وأضلوا " (٤)

وقال ابن عبد البر بعد ايراده لهذه الآثار وغيرها في زم السراى  
" اختلف العلماء في الرأى المقصود اليه بالذم والعيب في هذه الآثار المذكورة "

- 
- (١) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ٥٥ .
  - (٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١١٧ .
  - (٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٦٤ .
  - (٤) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٦٨ .

في هذا الباب عن النبي وعن أصحابه رضي الله عنهم وعن التابعين لهم  
بإحسان فقالت طائفة : الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد  
كأرى جهنم وسائر مذاهب أهل الكلام لانهم قوم قياسهم آرائهم في رد —  
الاحاديث فقالوا لا يجوز أن يرى الله عز وجل في القيامة . . . فردوا  
الاحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته وردوا الاحاديث في الشفاعة  
على تواترها وقالوا لن يخرج من النار من دخل فيها وقالوا لا تصرف حوضاً  
ولا ميزاناً ولا نعقل ما هذا وردوا السنن في ذلك كله برأيهم وقياسهم  
الى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفات الباري تبارك وتعالى .

وقال جماعة من أهل العلم انما الرأي المذموم المعيب المهجور  
الذي لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به هو الرأي المبتدع وشبهه من  
ضرورة المدع " (١) .

قلت ولا منافاة بين هذين القولين لان الكلام أيضا من البدع  
المحدث المذمومة .

ويقول الحافظ الذهبي في معرض حديثه عن آفات طلب العلم :  
" والله ان طلب الحديث شيء غير الحديث ، وطلب الحديث اسم عرفي لامور  
زائدة على تحصيل ماهية الحديث وكثير منها مراقى الى العلم وأكثرها أمور

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٦٩ .

يشرف بها المحدث من تحصيل النسخ المليحة وتطلب العالى وتكثير -  
الشيخ والفرح باللقاب والثناء وتمنى العمر الطويل ليروى وحب التفرد الى  
أمر عديدة لازمة للاغراض النفسانية لا للأعمال الربانية فاذا كان طلبك  
للحديث النبوى محفوقا بهذه الافات فمتى خلاصك الى الاخلاص ، واذا  
كان علم الاثار مدخولا به فما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الاوائل التى  
تسلب الايمان وتورث الشكوك والتجيرة والتى لم تكن والله من علم الصحابة  
ولا التابعين ولا من علم الاوزاعى والثورى ومالك وأبى حنيفة وابن أبى نثب  
الشعبة ولا والله عرفها ابن المبارك ولا أبو يوسف القائل من طلب الدين  
بالكلام تزندق ولا وكيع ولا ابن مهدى ولا ابن وهب ولا الشافعى ولا عفان  
ولا أبو عبيد ولا ابن المدينى وأحمد وأبو ثور والمزنى والبخارى وغيرهم (١)  
وقد ذكر العلماء أن أهل الكلام ليسوا من علماء الشرع ، واذا -  
اطلق علماء الشرع فهم أهل الحديث والتفسير والفقه قال الامام النووى  
" والعلماء أصحاب علوم الشرع من تفسير وحديث وفقه لا مقرئ وأديب ومعبر  
وطبيب يتكلم عند الاكثرين " (٢)

ونقل الخطيب الشربين شارح المنهاج عن السبكي التفصيل قال السبكي  
ان أريد بعلم الكلام العلم بالله تعالى وصفاته وما يستحيل عليه ليرد على  
المبتدعة وليميز بين الاعتقاد الصحيح والفاسد فذاك من أجل العلوم الشرعية

(١) طبقات المفسرين ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) المنهاج مع شرحه المبنى ج ٣ ص ٦٠ .

والعالم به من أفضلهم وقد جعلوه في كتاب السير من فروض الكفايات .  
وان أريد به التوغل في شبهه والخوض فيه على طريق الفلسفة وتضييع  
الزمان فيه والريادة على ذلك أن يكون مبتدعا وداعيا الى ضلالة فذاك باسم  
الجهل أحق .

وأما الكلام في الالهيات على طريقة الحكماء فذاك ليس من أصول الدين  
بل أكثره ضلال وفلسفة والله يعصنا بمنه وكرمه " وهذا هو القسم الذي  
أنكره الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال : " لان يلقي العبد ربه  
بكل ذنب ما خاز الشرك به خير له من أن يلقاه بعلم الكلام " (١)

---

(١) معنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ .



( المبحث الثالث )

فى المقارنة بين منهج الرازى فى التفسير وبين منهج  
شيخ الاسلام

~~~~~

تمهيد :

اذا اردنا المقارنة بين الرازى وبين شيخ الاسلام فاننا نقارن بين
منهج الرازى الذى عاش عليه وألف فيه تفسيره وسائر كتبه وبين منهج شيخ
الاسلام الذى عاش عليه وألف فيه كتبه ولا نقارن بين ما آل اليه الرازى من
التوبة والرجوع الى منهج السلف وبين منهج شيخ الاسلام ، وذلك لان هذا
المنهج الاخير للرازى لم تشتمل عليه كتبه ولم تكن منه هذه التوبة الا عند
موته كما سبق لنا فى ترجمته حيث أنه لم يتمكن من أن يؤلف على هذا المنهج
أو أن ينقح كتبه من أساليب الفلسفة وعلم الكلام التى لا يزال تأثيرها حتى
اليوم ، وسيستمد فى المقارنة بينهما على كلامهما فى قولنا لهما وما قيل
فيهما ان شاء الله .

منهج الامام الرازي في التفسير

~~~~~

نسلك الرازي في تفسيره مسلک المتكلمين فغاض في مسائل الكلام وأكثر من الاستطراد الى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية وصاغ أدلته في مباحث الالهيات على نمط استدلالهم العقلي فأصبح كتابه أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي العلوم الكونية والطبيعية ، إذ أن - هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى قلت أهمية هذا الكتاب كتفسير للقرآن الكريم وكانت محل الانتقاد عند العلماء .

قال صاحب كشف الظنون : " ان الامام فخر الدين الرازي مدلاً في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى شيء حتى يقضى - الناظر العجب (١) ونقل عن أبي حيان أنه قال في البحر المحيط : " جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذا قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير " (٢)

ورغم أنه انتقد المعتزلة في كثير من المسائل بصفة انتسابه الى أهل السنة فقد وافقهم في كثير من المسائل أيضا بل قد وافقهم في الأصل المشترك بين أهل الكلام جميعهم وهو الاحتكام الى العقل وترجيحه على النقل عند توهم التعارض فهذه القاعدة التي انطلق منها أهل الكلام وساموا النصوص على ضوءها الخصف والتأويلات وخلصوها عن سلطان الحقيقة

---

(١) ، (٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

كان للامام الرازي فيها القدر المعلى فقد قررهما في كتبه وطبقها في مؤلفاته  
في التفسير وغيره يقول في تقرير هذه المسئلة : " اذا تعارضت الادلة السمعية  
والمقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية  
أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين  
واما أن يردا جميعا .

واما أن يقدم السمع وهو محال لان العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه  
كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أهل النقل والقدر في أصل الشيء قدح  
فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم  
النقل اما أن يتأول واما أن يفوض واما اذا تعارضت تعارض الضدين امتنع الجمع  
بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما " (١)

وقرر نفس هذه القاعدة في تفسيره عند شرحه لمسألة الاستواء بمدخوضه  
في أوجه كثيرة وافاضته في احتمالات بعيدة يهدف منها الى رد ما يدل عليه  
ظاهر الآية من استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه فقال : " الثاني - أي  
الوجه الثاني - وهو دلالة قاطعة على أنه لا يهد من المصير الى التأويل وهو أن  
الدلالة العقلية لما قامت على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى  
الاستقرار فاما أن نعمل بكل واحد من الدليلين واما أن نتركهما معا .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٤ من مطبوعات جامعة الامام محمد

واما أن نرجح النقل على العقل واما أن نرجح العقل ونوهوب النقل  
والاول باطل والالزم أن يكون الشيء الواحد منزها عن المكان وحاصلا فسي  
المكان وهو محال والثاني أيضا محال لانه يلزم منه رفع النقيضين معا وهو  
باطل .

الثالث باطل لان العقل أصل النقل فانه مالم يثبت باللائل العقلية  
وجود الصانع وعلمه وقدرته ويعنته للمرسل لم يثبت النقل فالقدح في العقل  
يقتضى القدح في العقل والنقل معا ولم يبق الا أن نقطع بصحة العقل  
ونشتغل بتأويل النقل وهذا برهان قاطع في المقصود \* (١)

وقد علق شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله على هذا القانون الذي  
نقلناه عن كتابه درء تعارض العقل والنقل فقال : " وهذا الكلام قد جعله  
الرازي وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه  
عليهم السلام وما لا يستدل به ، ولهذا رد والاستدلال بما جاءت به  
الانبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الامور التي أنبأوا بها  
وظن هو لاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم الى ذلك أن الأدلة  
السممية لا تغيد اليقين \* (٢) .

فالرازي رحمه الله ينطلق من هذه القاعدة وبها يعلل ويحاجج ويحادل  
واليها يرجع في استدلالاته أسوة بمن تقدمه من المتكلمين فهو وان كان يتعرض

---

(١) مفاتيح الغيب ج ٢٢ ص ٧ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٤ - ٥ .

في تفسيره لنواح أخرى مثل :

الناحية الفقهية والاصولية والنحوية والبلاغية. الا أن هذه الناحية العقلية غلبت على تفسيره حتى أشبه بمسوعة في علم الكلام وحتى طفت على النواحي الأخرى وقد سبق لنا اتهام بعض العلماء بأنه يورد شبه أهل الكلام على غاية من التحقيق ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهم واعتذار بعض العلماء عنه بأنه كان يستفرغ طاقته في تقرير دليل الخصم فإذا أراد الإجابة عنه لا يبقى عنده شيء من القوى ، وفي نظري أن العلة ليست كذلك بل انه كان يجيد تقرير هذه التهمة فكانت صداخته تأتي منه عفوا بدون تكلف فينطلق قلمه في تقريرها واستقصائها ، فإذا أراد الجواب عنه بطريق أهل السنة فلا يملك مثل هذه الملكة فيقصر عن الوفاء بالجواب - المناسب لما قرره من الشبهة .

والامام الرازي رحمه الله مولع بالاستنباطات والاستطرادات في تفسيره مادام في استطاعته أن يجد صلة ما بين المستنبط أو المستطراد اليه وبين اللفظ القرآني يدل على ذلك قوله في مقدمة تفسيره : " اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يعنى الفاتحة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والفسى والعناد وحملوا ذلك على ما ألقوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعانى والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني فلما شرعت هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول قريب الوصول (١)

وتبعا لولوعه في الاستنباطات نجده يهتم اهتماما كبيرا بالمناسبات  
بين الآيات بعضها مع بعض وبين السور بعضها مع بعض .

### منهج شيخ الاسلام في التفسير

~~~~~

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقد سلك في تفسيره للقرآن
الكريم مسلك علماء السلف الصالحين وعلى رأسهم الصحابة والتابعون
وأتباعهم وائمة الهدى الذين ساروا على نهجهم من أهل القرون المفضلة
المشهود لهم بالخيرية .

وداعامة هذا المنهج هي الاتباع اتباع الكتاب والسنة والعمل
على ما فيهما من الحكم والاسرار وتعظيمها وتقديمها على غيرها في كل شيء
أما الكتاب فلأمر الله بذلك في مثل قول الله تعالى :

" اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء " (١)

وقوله تعالى : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم

ترحمون " (٢) وقوله سبحانه : " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (٣)

(١) سورة الأعراف آية ٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

وقد فسر الصراط المستقيم بدين الاسلام (١) الى غير ذلك من الآيات التي تأمر باتباع الكتاب وتحث عليه .

وأما وجوب اتباع السنة فلأنها شارحة لكتاب الله ومبينه له كما قال تعالى : " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (٢) ، وقوله جل وعلا : " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " (٣) ، قوله تعالى : " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه " (٤) ، وقوله تعالى " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (٥)

ثم اتباع سلف هذه الأمة لان الله أشنى عليهم وعلى من اتبعهم باحسان في قول الله تعالى :

" والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضی الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدین فیها أبدا ذلك الفوز العظيم " (٦) .

(١) فتح القدير ج ٢ ص ١٧٨ . (٢) النحل آية ٤٤ .

(٣) النساء آية ١٠٥ .

(٤) النحل آية ٦٤ .

(٥) الحشر آية ٧ .

(٦) التوبة آية ١٠٠ .

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم أثنى عليهم وشهد لهم بالخير
فى قوله : " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته " (١)

وبما أن فهم الكتاب متوقف على السنة فإنه رحمه الله كان يعنى
بالحديث عناية خاصة فى دراسة إسناده وامتته حتى قيل فى وقته :
" كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث " (٢) ولا غرو فى ذلك
لان معرفة الكتاب متوقفه على السنة وثبوت السنة متوقف على الاسناد ، ومن
هنا يأتى تعظيم شيخ الاسلام بأهل الحديث والأثر واعجابه بصنيعهم
واعترافه بفضلهم فيقول رحمه الله :

" ولما كان القرآن متميزا بنفسه لما خصه الله به من الاعجاز الذى
يبين به كلام الناس كما قال تعالى : " قل لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا " (٣) .

وكان منقولا بالتواتر لم يطمع أحد فى تفسير شىء من ألفاظه وحروفه
ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل فى معانيه بالتفسير والتأويل
وطمع أن يدخل فى الاحاديث من النقص والازدياد ما يضل بعض العباد

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٣ .

(٢) المقبول الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية لابن عبد الهادى ص ٢٥

(٣) الاسراء آية ٨٨ .

فأقام الله تعالى الجهادية النقاد أهل الهدى والسداد فدحروا حزب
الشیطان وفرقوا بين الحق من البهتان وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن
من الزيادة في ذلك والنقصان ، وقام كل من علماء الدين ما أنعم الله
عليه وعلى المسلمين - مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث
بدفع ما وقع في ذلك من الخطأ في القديم والحديث وكان من ذلك الظاهر
الجلی الذي لا يسوغ عنه العدول ومنه الخفى الذى يسوغ فيه الاجتهاد
للعلماء العدول .

وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والاسناد فسافروا في ذلك الى
البلاد وهجروا فيه لذلك الرقاد وفارقوا الاموال والاولاد وأنفقوا فيه الطراف
والتلاد (١) وصبروا فيه على النوائب وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب ولهم في
ذلك من الحكايات المشهورة والقصص الماثورة ما هو عند أهله معلوم ولمن
طلب معرفته معروف مرسوم يتوسد أحدهم التراب وتركهم لذيق الطعام
والشراب وترك معاشره الأهل والأصحاب والتصبر على مرارة الاغتراب
ومقاساة الالهوال الصعاب أمر حبيب الله اليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله
الى أن قال . . . " وعلم الاسناد والرواية ما خص الله به أمة محمد صلى
الله عليه وسلم وجعله سلما الى الدراية ، فأهل الكتاب لا اسناد لهم يأترون
به المنقولات ، وهكذا المبتدعون من هذه الامة أهل الضلالات وانما الاسناد
لمن أعظم الله عليه المنه أهل الاسلام والسنة يفرقون به بين الصحيح والسقيم

(١) الطراف من المال المستحدث الجديد وهو ضد التالذ / مختار الصحاح

ص. ٣٩ والتلاد هو المال الاصلى الذى ولد عندها وهو ضد الطراف

مختار الصحاح ص ٧٨ .

والمصوح والقويم وغيرهم من أهل البدع والكفار انما عندهم منقولات يأترونها
بغير اسناد وعليها من دينهم الاعتماد وهم لا يعرفون فيها الحق من
الباطل * (١)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ١ ص ٧ - ٩ +

مراتب التفسير عند شيخ الاسلام

~~~~~

وللتفسير عند شيخ الاسلام مراتب بعضها فوق بعض فأول تلك  
المراتب هي تفسير القرآن بالقرآن فما أحمل في مكان فقد فسر في موضع  
آخر وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر وهو أحسن طريق للتفسير  
وذلك لانه لا أعلم بمراد الله من كلامه من الله سبحانه وتعالى .  
فان لم يوجد التفسير من القرآن نفسه فيبحث من السنة فانها  
لشارحه للقرآن وموضحة له ، وقد قال الامام الشافعي رحمه الله :  
" كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ما فهمه من  
القرآن قال الله تعالى : " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين  
الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما " (١) وقال تعالى :  
" وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (٢)  
وقال تعالى : " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه  
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (٣) ، ولهذا قال رسول الله صلى الله  
الله عليه وسلم : " ألا انى أتيت الكتاب ومثله معه يعنى السنة ، والسنة  
تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن لا أنها تتلى كما يتلى .

---

(١) النساء آية ١٠٥ .

(٢) النحل آية ٤٤ .

(٣) النحل آية ٦٤ .

## تفسير القرآن بأقوال الصحابة



ثم اذا لم يوجد التفسير لا في القرآن ولا في السنة يرجع في ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآني والاحوال التي اقتصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماءهم وكبراءهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين وعبد الله بن مسعود الذي ثبت عنه أنه قال : " والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته " (١) وقال : " كان الرجل منا ان تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يمر فمعانيهن والعمل بهن " (٢) .

وعبد الله بن عباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (٣) حتى لقب بترجمان القرآن بسبب بركة هذا الدعاء " (٤) .

وللصحابة مييزات كثيرة لا يشارك فيها غيرهم

- 
- (١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٨ .
  - (٢) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٧ .
  - (٣) الحديث بهذا اللفظ عند الامام أحمد في المسند ٣١٤/١
  - وعند البخاري اللهم فقهه في الدين " جامع الاصول ٦٢/٩ .
  - (٤) انظر مقدمة أصول التفسير ص ٩٣ - ٩٧ بتصريف بعض الاماكن

من ذلك ما ذكر العلماء من أن قول الصحابي المتعلق بأسباب نزول القرآن له حكم الرفع (١) .

ومن ذلك خصوصيتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم بنزول القرآن الكريم ولهم فهم في القرآن يخفى على كثير من المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمر من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين فانهم يشهدوا الرسول والتنزيل وعانوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أو قياده . . .

(١) قد مر علينا هذا بتفصيل في المبحث الثاني من الباب الثاني

وقد قال الامام أحمد بن عبد الرحيم المشهور بولي الله الدهلوي " اعلم أنه لا سبيل لنا الى معرفة الشرائع والاحكام الا بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف المصالح فانها قد تدرك بالتجربة والنظر الصادق والهدى ونحو ذلك ولا سبيل لنا الى معرفة اخباره صلى الله عليه وسلم الا بتلقى الروايات المنتهية اليه بالايصال والعنقنسه سواء كانت من لفظه صلى الله عليه وسلم أو كانت أحاديث موقوفة قد صحبت الرواية بها عن جماعة من الصحابة والتابعين بحيث يعتمد اقدامهم على الجرم بمثله لولا النص أو الاشارة من الشارع فمثل ذلك رواية عنه صلى الله عليه وسلم لا دلالة وتلقى تلك الروايات لا سبيل اليه في يومنا هذا الا تتبع الكتب المدونة في علم الحديث فانه لا يوجد اليوم رواية يعتمد عليها غير مدونه " حجة الله البالغة ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

فبمقتضى كلام هذا الامام يصبح كثير من كلام الصحابة مرفوعا في المعنى ولو لم ينصوا ذلك وليس ذلك خاصا بأسباب النزول وهذا ما يقوى التمسك بأقوالهم .

وقد قال الامام أحمد رحمه الله انه ما من مسألة الا وقد تكلم فيها  
الصحابة أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع  
أجناس الأعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة " (١)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٩ ص ٢٠٠ .

## أقوال التابعين في تفسير القرآن

—————

أما أقوال التابعين فهي تلي في المرتبة بأقوال الصحابة وحيث لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فقد رجع كثير من الائمة الى أقوالهم ولا سيما ائمتهم المشهورون في التفسير كما جاهد بن جبرفانه كان آية في التفسير وقد قال : " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها " وقال الثوري رحمه الله عنه : اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وكذلك سعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصرى وغيرهم .

أما تفسير القرآن بالرأى المجرد فهو لم يكن يعول عليه بل كان يحرمه اعتمادا على ما ورد فيه من الوعيد الشديد .

وشمخ الاسلام رحمه الله كما مع تمسكه بالمأثور شديد الحذر من الروايات الضعيفة والموضوعة والاسرائيليات التي امتلأت كتب التفسير منها فكان يناقشها ويبين زيفها ويأخذ ما يصح منها ، والمنقول الصحيح لا يعارضه المعقول وفي هذا يقول : " ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة السريضة شبهات فاسدة يعلم العقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع وهذا تأملت في مسائل الاصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات

ومسائل القدر والنبوات والعمار وغير ذلك ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال انه يخالفه اما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو جرد عن معارضة العقل الصريح فكيف اذا خالفه صريح المعقول ، ونحن نعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يخبرون بمحالات المعقول بل بمحاورات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفائه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته " (١)

---

(١) طريق الوصول الى العلم المأمول ص ٤٨ ، وهو كتاب فيه مختارات

من كتب شيخ الاسلام جمعه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله .



## مقدار ما فسر شيخ الاسلام من القرآن الكريم

~~~~~

شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لم يفسر القرآن كله ولم يرد ذلك بل تناول بالتفسير في أماكن معينة أشكلت على العلماء ولا يوجد فسى التفاسير ما يشفى القارىء ويحل اشكاله فأراد أن يتولى تفسير هذه الاماكن وقد كان جوبه حينما طلب منه تفسير القرآن كله :

" ان القرآن فيه ما هو بين بنفسه وفيه ما قد بينه المفسرون فسى غير اكتاب ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء فرمما يطالع الانسان عليها عدة كتب ولا يتبين تفسيرها وربما كتب المصنف الواحد فى آية تفسيرها ويفسر غيرها بنظيره فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل لانه أهم من غيره واذا تبين معنى آية تبين معانى نظائرها " (١)

ومع أنه لم يفسر القرآن كله ولم يرد ذلك " فقد غلب عليه ذوق — التفسير الى حد لا يخلوا أى كتاب من كتبه عن مواد التفسير والاستدلال بالآيات وشرحها وتفسيرها انه لا يمر بآية الا ويتناولها بالشرح والتفسير ولذلك فان الذخائر التفسيرية التى تركها تربو على ثلاثين مجلدا كما يقول تلاميذه ولا شك فانها اذا جمعت لتكونت ذخيرة تفسيرية لها قيمتها واعتبارها ولكان تفسير ابن تيمية من أجود التفاسير وأجمعها لما قدر رزقه الله تعالى من نعمة التعمق فى الفكر والنظر وسلامة الذوق والتبحر الكامل فى الروايات والاستشهاد بها " (٢)

(١) العقود الدرية ص ٢٧ .

(٢) رجال الفكر والدعوة ج ٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

والكلمة الأخيرة في المقارنة بين منهج الرازي وبين منهج شيخ

الاسلام ابن تيمية رحمه الله . . .

١ - أن الرازي يعتمد في تفسيره على الرأي . في حين أن شيخ الاسلام

ابن تيمية رحمه الله يعتمد على المأثور .

٢ - أن الامام الرازي يروج آراء الفلاسفة والمتكلمين أثناء تفسيره

للقرآن وينقل اصطلاحاتهم الى التفسير في حين أن شيخ الاسلام

ابن تيمية رحمه الله يقام الفلاسفة والمتكلمين في تفسيراته لآيات

القرآن الكريم وينقى اصطلاحاتهم عن القرآن ويبين زيفها وبطلانها .

٣ - أن الامام الرازي ليس له معرفة بعلم الحديث ولا يعول عليه

في حين أن شيخ الاسلام ابن تيمية يعظم علم الحديث وأمله ويفول

عليهم في نقلهم ومنهجهم في التفسير وكان له كعب راسخ في معرفته ذلك .

٤ - يمتاز منهج النقد والمناقشة عند شيخ الاسلام ابن تيمية بالاتزان

والشجاعة حيث أنه رحمه الله لا يصدر الحكم بمجرد ما يوحى اليه

ظاهر اللفظ حتى يستحضر كل احتمالاته فيعطى كل احتمال حكمه

الخاص به سلبا وإيجابا وهذا موقف لا يشارك الرازي معه حيث أنك

تلاحظ وأنت تقر مناقشاته مع المخالفين بأنه يرد عليهم بما يرى أنه

باطل بدون إيراد احتمالات مدلول ألفاظهم .

٥ - أن الامام الرازي رحمه الله انتهج منهج المتكلمين والفلاسفة في

باب الصفات ويعتمد على العقل ، ويقدمه على النقل أما شيخ الاسلام

ابن تيمية فإنه يعتمد على منهج السلف الصالح ولا يحمي عنه

قيد شعرة ..

هذا وان جوانب المقارنة بين منهج شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وبين الرازي واسعة الأرجاء لا يمكن استيعابها بمثل هذه العجالة بل ان ذلك يتطلب الى مجلدات ، ولكن أرجو أن تكون مقارنتي هذه المتواضعة بداية طريق لفتح أبواب مقارنات أخرى لمن يريد استكمال جوانب المقارنة بين هذين الامامين ..
والله ولي التوفيق وهو الهادي الى سواء السبيل ،

الخاتمة

ان الكلام فى أصول التفسير طويل لا يمكن استيفاءه ولا استقصاؤه

فى رسالة ولا رسالتين ولا كتاب ولا كتابين . . .

وليس من قصدى فى هذا البحث أن أتكلم عليه من جميع جوانبه

ولا يمكن لى ذلك بل كان قصدى أن أتناول بالبحث بعض مسائله المهمة

التي يهتدى الملم بها الى معانى هذا الكتاب وأسواره وحكمه حتى يفهم

عن الله سبحانه وتعالى سر انزال الكتاب الى البشرية جمعاء وما فى هذا

الكتاب من الهداية والنور الذى تتوقف عليه سعادة البشرية فى الدنيا

والآخرة كما كان قصدى من هذا البحث أن ألقى الضوء على أصالة منهج

شيخ الاسلام ابن تيمية فى أصول التفسير وأنه رحمه الله تمسك بالعمرو

الوثقى فى منهجه وذلك لأنه أعتمد فى منهجه الأصول الصحيحة التي

لا يتطرق اليها الخلل بحال وهى أصول سلفنا الصالح فى فهم القرآن

وقد تجلت أصالة هذا المنهج فيما أجرينا من المقارنة مع غيره من علماء

التفسير .

هذا واذا كان لى من كلمة فى خاصة هذا البحث فليست الا أن

أنوه بفضل أولئك العلماء الأعلام الذين أصلوا الأصول الصحيحة

ووضعوا خطط ومناهج لفهم كتاب الله ، ونصبوا منارات على طريق الامتداء

بهديه . ونفوا بذلك عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين

وتأويل الجاهل كما أنهم أثبتوا بذلك أن معين هذا الكتاب لا تنضب
وأن بنابيعة تتفجر بالحكمة كلما فتور البصائر وتشفى الصدور من
أدوائها وتحى القلوب بالآيمان .. حتى تحس النفس بلذة لتلاوته
وسعادة في فهمه ..

فالشفاء كل الشفاء لمن حيل بينه وبين هداية القرآن وتمكنت من
نفسه الأهواء والآراء حتى سدت منافذ وصول الحق الى قلبه بحيث
لا تجد هداية القرآن اليه مفذا ..

والأصول التي توصل الى هداية القرآن الكريم والى تفسيره
الصحيح هي الأصول الصحيحة وهي التي كان يعتمد عليها سلفنا الصالح
في تفسير القرآن الكريم وما من شك أن ما عرضناه في صفحات هذا البحث
من أبحاث أصول التفسير ، وما أبرزناه من أصالة منهج السلف أثناء
حد يثنا عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ، وعند مقارنتنا منهج
شيخ الاسلام بمنهج المفسرين - لاشك أنه يثير انتباه القارئ
ويستلهم منتهى بمنابعة المنهج الصحيح لأصول التفسير وتجنب منحول
التفسير والأصول المبتدعة ..

ثمرات البحث :

وقد كان من ثمرات هذا البحث الوقوف على أساليب العلماء في أصول
التفسير ومعرفة اتجاهاتهم كما أن من فوائده أنه يصل المتأخر

بالمقدم وينبغي أن عرى الاتصال بسلفنا الصالح غير منقطعة بل

هي موصولة بعري موثقة ..

المصادر والمراجع

القرآن وعلومه

متممم

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الهدور الزاهرة للقراءات العشر المتواترة :
من طريق الشاطبية والدري وبلبيه ، القراءات الشاذة
للشيخ عبد الفتاح القاضي - الناشر دار الكتاب العربي
بيروت / لبنان .
- (٣) جامع البيان عن تأويل القرآن :
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٥٣١ هـ
بتحقيق وتعليق محمود شاکر - طبع دار المعارف بمصر
- (٤) الجامع لأحكام القرآن :
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الطبعة
الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية / دار القلم ٣٨٦ هـ .
- (٥) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير :
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - طبع دار احياء التراث العربي /
لعيسى البابی الحلبي .
- (٦) جامع البيان عن تأويل القرآن :
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / المتوفى ٥٣١ هـ - دار
المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م / بيروت
- (٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :
للسوكاني المتوفى ١٢٥٠ هـ - الناشر محفوظ العلي / بيروت .
- (٨) فتح البيان في مقاصد القرآن : للإمام صديق حسن خان
المتوفى ١٣٠٧ هـ / مطبعة العاصمة القاهرة ١٩٦٥ م نشره عبد المحي
علي محفوظ .

" المصادر والمراجع "

(٩٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

لشهاب الدين محمود ابن الألويسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ
دار احياء التراث العربي / بيروت .

(١٠) تفسير التحرير والتنوير :

للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور / الدار التونسية للنشر والتوزيع .

(١١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير :

المتوفى ١٧٧٤هـ - اختصار وتحقيق أحمد محمد شاکر / دار
المعارف بمصر / ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

(١٢) تفسير البحر المحیط :

لأبي حيان - دار الفكر / بيروت .

(١٣) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي :

دار الكتب للطباعة والنشر

(١٤) التسميع لعلوم التنزيل :

لأبن جزى الكلبى - الناشر دار الكتاب العربى / بيروت

الطبعة الثانية / ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(١٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل :

لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ

دار الفكر / بيروت .

(١٦) تفسير غريب القرآن :

لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ بتحقيق

سيد أحمد صقر - دار الكتاب العربى / بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

المصادر والمراجع

(١٧) المفردات في غريب القرآن :

للاغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٢ هـ - بتحقيق وضبط محمد
سعيد كيلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت

(١٨) معاني القرآن :

للإمام سعيد ابن سعد الاخفش الأوسط المتوفى سنة ٣١٥ هـ
الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م / المطبعة المصرية/الكويت

(١٩) البرهان في علوم القرآن :

للإمام محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى ٧٩٤ هـ - بتحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم / الناشر دار المعرفة للطباعة/ بيروت .

(٢٠) الاتقان في علوم القرآن :

للمحافظ السيوطي المتوفى ٩١١ هـ - طبعة الحلبيية بمصر /
الطبعة الثالثة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

(٢١) مناهل العرفان في علوم القرآن :

لمحمد عبد العظيم الزرقاني - دار احياء الكتب العربية
البابى الحلبي .

(٢٢) مباحث في علوم القرآن :

للدكتور صبحي الصالح / دار القلم .

(٢٣) التبيان في علوم القرآن :

للشيخ محمد علي الصابوني - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
على نفقة حسن عباس شريتلي .

(٢٤) التفسير والمفسرون :

للدكتور محمد حسين الذهبي - مطبعة السعادة / الطبعة الثانية

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

" المصادر والمراجع "

- (٢٥) مقدمة في أصول التفسير :
لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ - بتحقيق الدكتور/
عدنان زرور - طبعة مؤسسة الرسالة .
- (٢٦) التبيان في أقسام القرآن :
لابن القيم الجوزية - المتوفى ٧٥١هـ / مطبعة الشباب النشيط
محمد أفندي عبد اللطيف ١٣٥٢هـ - الناشر دار المعرفة
للطباعة والنشر / بيروت .
- (٢٧) مقدمة ابن عطية :
مطبعة دار الصاوي/ القاهرة - الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة
- (٢٨) أسباب النزول :
لعلی بن أحمد الواحدی النيسابوری المتوفى ٤٦٨هـ - الطبعة
الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م / مطبعة مصطفى الحلبي بمصر .
- (٢٩) لباب النقود في أسباب النزول :
للسيوطي - المتوفى ٩١١هـ / الطبعة الثانية مصطفى البابي
الحلبي / مصر .
- (٣٠) دراسات القرآنية :
للدكتور عدنان زرور - مكتبة دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
بدمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- (٣١) بحائر ذوى التمييز :
للفيروز أبادي المتوفى ٨١٧هـ - طبعة المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية / القاهرة ١٣٨٣هـ .
- (٣٢) مجاز القرآن :
لأبي عبيد المتوفى ٢١٠هـ / الطبعة الثانية / دار الفكر مكتبة الخانجي
١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

” المصادر والمراجع ”

(٣٣) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير :

للدكتور محمد أبو شهبه — طبع الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية / القاهرة ١٣٩٣ هـ .

(٣٤) مقدمة ابن عطية :

مطبعة دار الصاوي بالقاهرة — الناشر مكتبة الخانجي / مصر

الحديث وعلومه

—————

(٣٥) صحيح البخارى :

للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى — المتوفى
٢٥٦ هـ / الناشر دار احياء التراث العربى / بيروت .

(٣٦) صحيح مسلم :

للإمام مسلم بن الحجاج القشيري — المتوفى ٢٦١ هـ / المطبعة
المصرية ومكتبتها .

(٣٧) سنن أبي داود :

للإمام سليمان بن الأشعث المتوفى ٢٧٥ هـ — نشرته دار
احياء السنة النبوية .

(٣٨) جامع الترمذى بشرح المباركفوري :

للترمذى المتوفى / مطبعة الفجالة الجديدة بمصر /
الناشر مكتبة السلفية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .

(٣٩) سنن النسائي :

بشرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى — دار احياء التراث
العربى / بيروت .

" المصادر والمراجع "

- (٤٠) سنن ابن ماجه :
المتوفى ٢٧٥هـ - بتحقيق والترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
مطبعة دار احياء التراث العربى / بيروت .
- (٤١) سنن الدارمى :
للإمام أبر محمد عبد الله بن عبد الرحمن - المتوفى ٢٥٥هـ
دار الكتب العلمية ونشرته دار احياء السنة النبوية .
- (٤٢) جامع الأصول فى أحاديث الرسول :
لأبن الأثير المتوفى ٦٠٦هـ - بتحقيق عبد القادر الأنوئوط
النشر والتوزيع مكتبة الحلوانى / مطبعة الملاح مكتبة الدار -
البيان / ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م بيروت .
- (٤٣) مسند الامام أحمد بن حنبل :
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر / بيروت - الطبعة الثانية
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- (٤٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى :
للحافظ أحمد بن على بن حجر المسقلانى - المتوفى ٨٥٢هـ
مطبعة مصطفى البابى الحلبي / ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
- (٤٥) مختصر سنن أبى داود :
للحافظ المنذرى ومعالم السنن لابى سليمان الخطابى ، وتهذيب
السنن للإمام ابن القيم الجوزية - أحمد محمد شاکر ، ومحمد
حامد الفقى - المكتبة الأثرية / جامع أهل الحديث / باكستان .
- (٤٦) شرح صحيح مسلم :
للإمام أبر زكريا يحيى بن شرف النسوى المتوفى ٦٠٦هـ / المطبعة
المصرية ومكبتها .

المصادر والمراجع

- (٤٧) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى :
للإمام محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المياركفوري ١٣٥٣هـ
مطبعة الفجالة الجديدة بمصر / الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ .
- (٤٨) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار :
لمحمد بن علي الشوكاني - مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده
بمصر .
- (٤٩) شرح الزرقاني على مؤوطاً الامام مالك :
لسيدى محمد الزرقاني - دار الفكر
- (٥٠) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة :
للحافظ السيوطى المتوفى ٩١١هـ - الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ
طبع فى مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .
- (٥١) ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل :
للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الاسلامى .
- (٥٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى :
للسيوطى - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م منشورات
المكتبة العلمية .
- (٥٣) تقريب النواوى مع شرح تدريب الراوى للنواوى :
ابن صلاح أبى عمرو عثمان ابن عبد الرحمن الشهرزورى المتوفى
٦٤٣هـ - مطبعة الاصيل بحلب / سوريا ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
الناشر / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

المصادر والمراجع

- (٥٥) ألفية السيوطي في علم الحديث مع شرحها :
للشيخ أحمد محمد شاكر . الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت
- (٥٦) شرف أصحاب الحديث :
للخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ - بتحقيق الدكتور /
محمد سعيد الخطيب أوفلي / الناشر دار احياء السنة النبوية
- (٥٧) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث :
للحافظ ابن كثير - لأحمد محمد شاكر / دار الكتاب
العربي / بيروت .
- (٥٨) الرسالة المستطرفة :
لمحمد بن جعفر الكتاني المتوفى ١٣٤٥هـ - الطبعة الثالثة
مطبعة دار الفكر / دمشق .
- (٥٩) كتاب السنة :
لمحمد بن نصر المروزي المتوفى ٢٩٤هـ - المكتبة الأثرية
من منشورات مكتبة الثقافة الاسلامية / الرياض .
- (٦٠) تلخيص الجبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير :
للحافظ أحمد بن علي ابن حجر المسقلاني - المتوفى ٨٥٢هـ
بتحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني / شركة الطباعة
الفنية المتحدة بالقاهرة .

" المصادر والمراجع "

التاريخ والتراجم

—————

(٦١) سير أعلام النبلاء :

للحافظ الذهبي المتوفى ٥٧٤٨ هـ - مؤسسة الرسالة / تحقيق
وتخريج شعيب الأرنؤوط .

(٦٢) تهذيب التهذيب :

للحافظ ابن حجر العسقلاني - المتوفى ٨٥٢ هـ / مطبعة
المجلس الأعلى - دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند
حيدرآباد الدكن ١٣٢٥ هـ .

(٦٣) الكامل في التاريخ :

للإمام ابن الأثير - طبعة دار صادر للطباعة والنشر/بيروت
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(٦٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :

للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ - بتحقيق محمد
سيد جاد الحق / دار الكتب الحديثة بمصر .

(٦٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :

للسوكاني المتوفى ١٢٥٠ هـ / الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت .

(٦٦) لسان الميزان :

للحافظ ابن حجر العسقلاني / الطبعة الثالثة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م
بيروت / الناشر مؤسسة الاعلى للمطبوعات .

المصادر والمراجع

- (٦٧) البداية والنهاية :
للحافظ ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ - الطبعة الثالثة / مكتبة
المعارف / بيروت .
- (٦٨) معجم المؤلفين :
لمرر رضا كحالة - دار احياء التراث العربى للطباعة والنشر
والتوزيع .
- (٦٩) كتاب الوفيات :
لأبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب الشهير
بأبن قنفذ - بتحقيق عادل نويهض / دار الأوقاف -
الجديدة بيروت .
- (٧٠) تذكرو الحفاظ للذهبي :
شذرات الذهب فى تاريخ من ذهب :
لابن عماد الحنبلى أبر الفلاح عبد الحق بن أحمد بن محمد
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .
- (٧٢) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :
لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى
مطبعة السفاداة / ١٣٢٥هـ .
- (٧٣) وفيات الاعيان :
لمحمد بن ابراهيم ابن خلكان البرمكى - بتحقيق الدكتور/ احسان
عباس - دار صادر بيروت/ لبنان .

" المصادر والمراجع "

(٧٤) فوات الوفيات :

(٧٥) مقدمة ابن خلدون :

الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / دار الكتب العلمية بيروت

(٧٦) طبقات المفسرين :

للمحافظ محمد بن علي بن أحمد الداودي المتوفى ٩٤٥هـ

بتحقيق علي محمد عمر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م / الناشر مكتبة وهبة

(٧٧) طبقات المفسرين :

لأبي بكر عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ - مطبعة الحضارة العربية

بمصر ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م / الناشر مكتبة وهبة .

(٧٨) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الانباري - بتحقيق

محمد ابو الفضل ابراهيم / دار النهضة للطباعة والنشر المعجلة

بمصر / القاهرة .

(٧٩) الرد الوافر :

للإمام ناصر الدين الدمشقي - بتحقيق زهير الشاويش / طبعة

المكتب الاسلامي .

(٨٠) ابن تيمية :

حياته - عصره - آراؤه - وفقهه للشيخ محمد أبو زهرة /

الطبعة الثانية - دار الفكر العربي ١٩٥٨م .

(٨١) العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية :

للإمام محمد بن عبد الله ابن عبد الهادي المتوفى ٧٤٤هـ / دار

الكتب العلمية / بيروت - بتحقيق محمد حامد الفقي .

المصادر والمراجع

(٨٢) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية :

للشيخ محمد بهجة البيطار - الطبعة الثانية / المكتب
الاسلامى .

(٨٣) الأعلام للزركلى :

الطبعة الثانية .

(٨٤) رجال الفكر والدعوة فى الاسلام :

الجزء الثانى الخاتم بحياة شيخ الاسلام ابن تيمية لأبى الحسن
الندوى - الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م / دار العلم
الكويت .

(٨٥) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء :

للحافظ أبى عمرو يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى المتوفى ٤٦٣هـ
دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .

(٨٦) الأعلام العلمية فى مناقب ابن تيمية :

لسراج الدين أبر حفص عمرا بن على بن موسى البغدادى -
تحقيق زهير الشاويش - طبع مكتب الاسلامى بيروت / لبنان .

(٨٧) تذكرة الحفاظ :

للامام أبى عبد الله الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ - دار احياء
التراث العربى - بيروت / لبنان .

” المصادر والمراجع ”

العقائد والفرق

—————

(٨٨) كتاب الايمان :

لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ - الطبعة الثانية

المكتب الاسلامي / بيروت ١٣٩٢هـ .

(٨٩) اقتضاء الصراط المستقيم :

لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ - بتحقيق محمد حامد

الفقهي - الطبعة الثانية بمطبعة السنة المحمدية في مصر

٢٣٦٩هـ .

(٩٠) عقيد السلف وأصحاب الحديث :

للإمام الصابوني ، وهي من ضمن الرسائل المنيرية - الناشر

محمد أمين الدمج / بيروت ١٩٧٠م .

(٩١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس ريدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية

لشيخ الاسلام ابن تيمية - الطبعة الاولى مطبوعة لحكومة مكة المكرمة

١٣٩١هـ .

(٩٢) نقض المنطق :

لشيخ الاسلام ابن تيمية - بتصحيح محمد حامد الفقهي / طبعة

مكتبة السنة المحمدية / القاهرة .

(٩٣) الرد على الجهمية :

للإمام عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى ٢٨٠هـ - بتحقيق زهير

الشاويش - طبع المكتب الاسلامي / بيروت - الطبعة الثالثة

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

" المصادر والمراجع "

- (٩٤) منهاج السنة في نفي كلام الشيعة والقدرية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية - الناشر مكتبة الرياض الحديثة/الرياض
- (٩٥) كتاب الرد على المنطقيين :
لشيخ الاسلام ابن تيمية - طبعة ادارة ترجمان السنة / لاهور
باكستان .
- (٩٦) الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :
لشيخ الاسلام ابن تيمية - المكتب الاسلامي .
- (٩٧) الامام المتحن أحمد بن حنبل :
لأبي الحسن الندوي - المختار الاسلامي للطباعة والنشر
والتوزيع ١٣٩٣هـ - ١٩٩٣م .
- (٩٨) تاريخ الجهمية والمعتزلة :
لشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي - طبعة أولى ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م / طبعة مؤسسة الرسالة / بيروت .
- (٩٩) التوسل والوسيلة :
لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ - دار العربية للطباعة
والنشر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- (١٠٠) فضائح الباطنية :
للفزالي - بتحقيق عبد الرحمن بدوي / مؤسسة دار الكتب
الثقافية / الكويت .
- (١٠١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية :
لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي - دار الأوقاف
الجديدة ١٩٧٧م - بيروت / لبنان .

المصادر والمراجع

- (١٠٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمديين :
للنعمان الأوسى البغدادي - دار الكتب العلمية / بيروت .
- (١٠٣) تبين الكذب المفترى :
لابن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٥٧١هـ - الناشر دار الكتاب
العربي / بيروت .
- (١٠٤) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين :
لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى ٥٣٣هـ بتحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد - الطبع والنشر مكتبة النهضة
المصرية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

الفقه وأصوله



- (١٠٥) الاحكام في أصول الاحكام :
للأمدي أبرالحسن علي ابن علي بن محمد الامدي - مطبعة
المعارف ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- (١٠٦) الاحكام في أصول الاحكام :
لابن حزم الظاهري الاندلسي مطبعة العاصمة / القاهرة .
- (١٠٧) الموافقات في أصول الشريعة :
لابي اسحاق الشاطبي المتوفى ٥٧٩هـ وعليه شرح جليل للشيخ /
عبد الله دراز - دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .
- (١٠٨) المستصفي من علم الأصول :
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ - دار احياء
التراث العربي .

" المصادر والمراجع "

- (١٠٩) أصول الفقه الاسلامى - تاريخه وأأسسه ومناهجه الاصوليين :
لمحمد سلام مذكور - دار الاتحاد العربى للطباعة / الناشر
دار النهضة العربية .
- (١١٠) فتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت :
وهو على هامش كتاب المستصفى للإمام الفزالى - دار احياء
التراث العربى / بيروت - لبنان .
- (١١١) أعلام الموقعين عن رب العالمين :
لابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ - شركة الطباعة الفنية
المتحدة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م .
- (١١٢) مفسنى المحتاج على متن المنهاج للنووى :
للشيخ محمد الخطيب الشربينى - دار احياء التراث العربى
بيروت / لبنان .
- (١١٣) الفقيه والمتفقه :
للخطيب البغدادى أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المتوفى
٤٦٣هـ - من منشورات دار السنة النبوية ١٣٩٥هـ - ١٦٧٥ م .
- (١١٤) طريق الوصول الى العلم المأمول :
تأليف ابو العباس رتقى الدين ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ - جمعه
الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدى - مطبعة الامام بالقاهرة
مصر .

المصادر والمراجع

اللفظة

م

(١١٥) لسان العرب :

لابن منظور - المطبعة الأميرية ببولاق / مصر العربية ١٣٠٠هـ

(١١٦) معجم مقاييس اللغة :

لابن فارس المتوفى ٣٩٥هـ - بتحقيق عبد السلام محمد هارون

مطبعة مصطفى الحلبي بمصر / الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

(١١٧) القاموس المحيط :

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - المؤسسة

العربية للطباعة والنشر / بيروت .

(١١٨) مختار الصحاح :

للإمام أبي بكر الرازي - دار الفكر / بيروت .

(١١٩) أساس البلاغة :

لجار الله محمود بن عمر الزمخشري - بتحقيق الاستاذ عبدالرحيم

محمود - طبع دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .

(١٢٠) تاج المروس :

لمحمد مرتضى الزبيدي - الصورة عن الطبعة الاولى بمطبعة

الخيرية / مصر ١٣٠٦هـ .

(١٢١) ثلاثة كتب في الأضداد :

للأصمعي ، وللسجستاني وابن السكيت - نشرها الدكتور /

أوغت هفر - المطبعة الكاثولوكية / بيروت ١٩١٢م .

” المصادر والمراجع ”

- (١٢٢) الفروق اللغوية :
لأبى هلال العسكري - بتحقيق حسان الدين القدسي طبع
دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- (١٢٣) معجم الأدباء :
لياقوت بن عبد الله الحموي - دار المأمون بالقاهرة / ١٣٥٥

كتب جامعة

—————

- (١٢٤) مجموع فتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية :
جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم الحنبلي النجدي - تصوير
دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت .
- (١٢٥) زاد المصنف في هدى خير العباد :
لابن القيم الجوزية - تعليق وتخرير شعيب وعبد القادر
الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الاسلامي .
- (١٢٦) جامع بيان العلم وفضله :
لابن عبد البر المتوفى ٤٦٣ هـ - بتحقيق عبد الرحمن عثمان
الناشر / مكتبة السلفية بالمدينة المنورة - طبع في مطبعة العاصمة
القاهرة / مصر ١٣٨٨ هـ .
- (١٢٧) حجة الله البالغة :
للشيخ أحمد ولي الله الدهلوي - دار المعرفة للطباعة والنشر/بيروت
- (١٢٨) كشف مصطلحات الفنون :
للتهانوي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر
١٣٨٢ هـ .

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ١ - أ | المقدمة |
| ١ | الباب الأول : نشأة أصول التفسير وكيف تطور ؟ |
| ٣ | المبحث الأول : في تعريف أصول التفسير . . . |
| ٣ | تمهيد : |
| ٤ | تعريف الأصول من حيث اللفظة . . . |
| ٦ | تعريف الأصول اصطلاحاً وآراء العلماء في ذلك |
| ٧ | النزاع في التعريف الاصطلاحي لفظي وليس أصليا |
| ٨ | تعريف الاستصحاب |
| ٩ | معنى التفسير لفة واصطلاحاً |
| ٩ | التعريف في اللفظة |
| ١٠ | اشتقاق كلمة التفسير واختلاف العلماء في ذلك |
| ١٢ | التعريف الاصطلاحي وآراء العلماء في ذلك |
| | المبحث الثاني : |
| ١٥ | بيان المراد من أصول التفسير باعتباره مركباً اضافياً |
| | المبحث الثالث : |
| ١٦ | معنى التأويل والتفسير وهل بينهما فرق ؟ |
| ١٦ | دخول التحريف الى الاسلام من قبل التأويل |
| ١٧ | التأويل له معان ثلاثة . . . |
| ٢٠ | ورود لفظ التأويل في القرآن الكريم |
| | الفرق بين التأويل والتفسير |
| ٢٦ - ٢٢ | وأختلاف العلماء في ذلك |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|--------------|---|
| الفصل الثانى | |
| ٢٧ | فى أصول التفسير عند الصحابة والتابعين المبحث الأول : حرص النبى صلى الله عليه وسلم على حفظ القرآن الكريم وفهمه وتبليغه . . . |
| ٢٨ | |
| ٢٩ | ما يدل من الآثار على ذلك |
| ٣٠ | فهمه صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم قيامه صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة |
| ٣١ - ٣٢ | وبيان القرآن للناس المبحث الثانى : أصول التفسير عند الصحابة ومن اشتهر منهم |
| ٣٣ | بتفسير القرآن الكريم . . |
| ٣٥ | أمثلة فى رجوع الصحابة الى الأشعار العربية رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم |
| ٣٦ | فىما أشكل عليهم من تفسير القرآن الكريم الأمثلة والوقائع التى تثبت رجوع الصحابة رضوان الله عليهم الى نبيهم صلى الله عليه وسلم فى بيان القرآن الكريم |
| ٣٧ | |
| ٣٨ | مميزات التفسير فى عهد الصحابة |
| ٣٩ | بداية تدوين القواعد العربية |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ٤١ | أشهر المفسرين من الصحابة |
| ٤٢ | مكانة عبد الله بن مسعود وابن عباس في تفسير القرآن |
| ٤٣ | طرق التفسير الصحيحة عن ابن عباس |
| ٤٤ | أوهى الطرق عنه |
| ٤٥ | أبى بن كعب ومكانته في التفسير |
| ٤٦ | أصح الطرق عنه في التفسير |
| | المبحث الثالث : |
| ٤٧ | أصول التفسير عند التابعين |
| ٤٧ | أشهر علماء التابعين في علم التفسير |
| | الفصل الثالث |
| ٤٩ | أصول التفسير في عصر التدوين |
| | المبحث الأول : |
| ٥١ | في بداية تدوين العلوم الإسلامية |
| | جمع العلماء بين الأحاديث الناهية عن كتابة غير |
| ٥١ | القرآن والأحاديث الدالة على الجواز |
| ٥٣ | تدوين الحديث النبوي كان بيد الامام الزهري |
| ٥٤ | ظهور الفتن كان سببا في ظهور علم الرجال |
| | المبحث الثاني : |
| ٥٥ | تدوين على التفسير |
| ٥٥ | مدونوا التفاسير المسندة مع تراجم موجزة لهم |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| | ابن جرير في التفسير أول من جمع بين |
| ٥٨ | التفسير بالرواية والدراية |
| ٥٩ | اعتبار ابن جرير بوضع أسس علم أصول التفسير |
| ٦٠ | تفاسير علماء اللغة |
| ٦١ | طائفة من المفسرين صنفوا تفاسير محدوفة الأسانيد |
| | طائفة أخرى برعوا في شيء من العلوم فغلبت |
| ٦٢ | صناعتهم على تفاسيرهم |
| ٦٣ | تفسير أهل البدع للقرآن |
| | المبحث الثالث : |
| ٦٥ | التفسير الموضوعي وظهور الاسم الاصطلاحي |
| ٦٦ | جمع أنواع علوم القرآن |
| ٦٨ | ظهور الاسم الاصطلاحي - علوم القرآن - |
| | المبحث الرابع : |
| ٧١ | في الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير |
| ٧٦ | مقدمات تفسير النيسابوري |
| | الباب الثاني |
| | في مذاهب المفسرين في أصول التفسير |
| ٧٩ | تمهيد : |
| ٨٠ | تعريف المأثور |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| | البحث الأول : |
| ٨٥ | العموم والخصوص |
| ٨٥ | تعريف العموم و صيغه : |
| ٨٧ | تعريف الخاص والتخصيص : |
| ٨٧ | تنقسم المخصصات الى متصلة ومنفصلة |
| ٨٩ | المخصصات المنفصلة |
| | البحث الثاني : |
| ٩٠ | المجمل والمبين |
| ٩٠ | تعريف المجمل |
| ٩١ | وقوع الاجمال في القرآن الكريم |
| ٩٢ | حمل المجمل على المبين |
| ٩٣ | أسباب الاجمال في القرآن |
| ٩٣ | من أسباب الاجمال الاشتراك في اللفظة |
| ٩٤ | قد يكون سبب الاجمال ناشئا عن التركيب |
| ٩٥ | قد يكون سبب الاجمال غرابية في اللفظ . |
| ٩٦ | قد يكون سبب الاجمال بسبب اختلاف مرجع الضمير |
| ٩٧ | قد يكون منشأ الاجمال بسبب جهالة في صفة |
| | قد يكون سبب الاجمال اخراج اللفظ في عرف |
| ٩٨ | الشرع عما وضع له |
| ٩٩ | قد يكون منشأ التقديم والتأخير |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ١٠٠ | حكم المجمل والسرفى اجمال النسي |
| ١٠١ | المبين والبيان المبحث الثالث : |
| ١٠٢ | فى المطلق والمقيد |
| ١٠٢ | تعريف المطلق والمقيد |
| ١٠٣ | الأمثلة فى حمل المطلق على المقيد |
| | اذا ورد تفسير القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم |
| ١٠٦ | فلا يجوز العدول عنه . . . |
| ١٠٧ | تقسيم المطلق والمقيد منها أن يتحد الحكم والسبب |
| ١٠٨ | ومنها أن يتحد الحكم ويختلف السبب المبحث الرابع : |
| | تفسير القرآن بالرأى المذموم |
| ١٩٣ | وما ورد فيه من الوعيد الشديد |
| ١٩٤ | تفسير الرأى المذموم عند العلماء |
| ١٩٦ | الرأى المذموم نوعان |
| ١٩٨ | تفاسير السلف خالية عن الرأى المذموم |
| | الرأى المذموم يستعمله أهل البدع والضلال |
| | فى تفسير القرآن الكريم |
| ٢٠٢ | الآراء والأخطاء فى الرأى من القاء الشيطان |

(فهرس المواضيع)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|--------------|--|
| ٢٠٣ | تعريف الروافض وأهم فرقهم |
| ٢٠٤ | أهم عقائد الامامية الاثنى عشرية |
| ٢٠٧ | أهم عقائد الاسماعيلية |
| ٢٠٨ | ألقاب الباطنية وأسماءهم |
| ٢٠٩ | تأويلاتهم وتحريفاتهم للنصوص |
| ٢١١ | تعريف المعتزلة وخلاصة مذاهبهم |
| | تلاعبهم بالنصوص وفق أهوائهم |
| | تعريف الخوارج وأهم أصولهم التي خالفوا فيها |
| ٢١٣ | أهل السنة |
| ٢١٤ | تعريف الجهمية وأهم مقالاتهم |
| ٢١٥ | تعريف القدرية وأهم مبادئهم |
| ٢١٥ | تعريف المرجئة وأهم مبادئهم |
| ٢١٦ | تعريف المتصوفة |
| ٢١٧ | كلام الصوفية في القرآن ليسر بتفسير |
| ٢١٩ | خلاصة البحث |
| الباب الثالث | |
| ٢٢٠ | أصول التفسير عند شيخ الاسلام |
| ٢٢١ | ترجمة شيخ الاسلام |
| ٢٢١ | شيوخه وطلبه للعلم |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ٢٢٤ | صفاته الخلقية |
| ٢٢٤ | تفوقه في العلم واعتراف معاصريه ومن بعدهم بذلك |
| ٢٣٣ | زهده وورعه وتعبدده |
| ٢٣٧ | شجاعته |
| ٢٣٩ | جهوده الاصلاحية |
| | ما تطرق الى الاسلام . أصوله وفروعه |
| ٢٤٠ | من علوم اجنبية عنه |
| ٢٤١ | التعصب المذهبي في فروع الشريعة |
| | مخبري جهوده الاصلاحية هي ارجاع الاسلام الى |
| | عهد الاول وتنقيته عما شابه ، وتطرق اليه |
| ٢٤٢ | من الافكار الاجنبية |
| ٢٤٣ | منهج شيخ الاسلام محدث ، وواضح |
| ٢٤٤ | ماآخذة على اهل الكلام |
| ٢٤٦ | أسلوب الفلاسفة واتباعهم |
| ٢٤٧ | تقديمهم العقل على النقل ورد شيخ الاسلام عليهم |
| ٢٤٨ | تفضيلهم الخلف على السلف ، ورد شيخ الاسلام عليهم |
| ٢٥٢ | شيخ الاسلام مع المتصوفة |
| ٢٥٣ | صفات اولياء الشيطان |
| ٢٥٤ | دين الاسلام مبني على اصلين |
| ٢٥٥ | شمول دعوته التجديدية على جميع نواحي الاسلام |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| | الفصل الثانى : |
| ٢٥٦ | أصول التفسير عند شيخ الاسلام رحمه الله |
| ٢٥٧ | موجز للأصول التى يعتمد عليها شيخ الاسلام ابن تيمية |
| | تفصيل الاصول التى يعتمد عليها شيخ الاسلام |
| ٢٥٩ | ابن تيمية رحمه الله |
| | قاعدة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم بين |
| ٢٥٩ | لأصحابه معانى القرآن |
| ٢٦٢ | النزاع بين السلف فى تفسير القرآن قليل |
| | التابعون تلقوا تفسير القرآن عن الصحابة |
| ٢٦٣ | رضى الله عنهم |
| | الصحابة تعلموا تفسير القرآن مع تلاوته |
| ٢٦٤ | من النبى صلى الله عليه وسلم |
| | انكار شيخ الاسلام على أهل الكلام فى تفضيلهم |
| ٢٦٧ | طريقة الخلف على طريقة السلف |
| ٢٦٩ | شيخ الاسلام يلتزم منهج السلف ويعول عليه |
| | المبحث الثالث : |
| ٢٧١ | مراتب أصول التفسير عند شيخ الاسلام ابن تيمية |
| ٢٧١ | تفسير القرآن بالقرآن |
| ٢٧٢ | تفسير القرآن بالسنة |
| ٢٧٣ | تفسير القرآن بأقوال الصحابة |

(فهرس الموضوعات)

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| تفسير القرآن بأقوال التابعين | ٢٧٧ |
| هل يكون قول التابعى حجة فى التفسير أم لا ؟ | ٢٧٩ |
| لفظة القرآن والسنة | ٢٨٠ |
| عموم لفظة العرب | ٢٨٢ |
| اشكال والجواب عليه | ٢٨٣ |
| تفسير القرآن بالرأى المحمود | ٢٨٩ |

المبحث الرابع :

بيان ما يمتاز به منهج السلف

عند شيخ الاسلام

٢٩١

الباب الرابع

فى المقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية

وغيره من المفسرين

٣١٠

تمهيد :

٣١١

شيخ الاسلام مع علماء التفسير بالمأثور

٣٠٢

تطابق بين منهج علماء التفسير بالمأثور

وبين منهج شيخ الاسلام ابن تيمية

٣٠٢

ما يمتاز به تفسير السلف من البساطة والوضوح

٣٠٣

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------------------------|--|
| ٣٠٤ | سبب اطناب شيخ الاسلام في مناقشة الفرق |
| ٣٠٥ | تطور خطوات التفسير ونشأة الفرق والاصطلاحات |
| ٣٠٧ | لم ينزل كتاب الله ليفسره مناهج الفلاسفة |
| المبحث الثانى : | |
| شيخ الاسلام مع امام المفسرين | |
| ٣٠٩ | ابن جرير الطبرى |
| ٣٠٩ | ترجمة ابن جرير |
| | تطابق بين منهج ابن جرير ومنهج شيخ الاسلام |
| ٣١٠ | ابن تيمية رحمه الله |
| | الامام ابن جرير في مقدمة علماء السلف الذين |
| ٣١١ | يجعل شيخ الاسلام ابن تيمية قدوته في التفسير |
| ٣١١ | أقسام التفسير عند الامام الطبرى |
| ٣١٣ | أثر ابن عباس في تقسيم التفسير |
| ٣١٣ | شيخ الاسلام يورد هذا الأثر في التقسيم |
| | التوفيق بين الآثار الواردة في النهي عن التفسير |
| ٣١٤ | عند شيخ الاسلام والآثار الدالة على الجواز |
| | كلام الطبرى في تقرير أن النبى صلى الله عليه وسلم |
| ٣٢٠ | بين معانى القرآن الكريم |
| | شيخ الاسلام ابن تيمية كان له القدح المعلى في تقرير |
| ٣٢٠ | هذه المسئلة |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ٣٢٢ | تحريم الاعتماد على اللراى المجرى فى التفسير |
| ٣٢٤ | موقف ابن جرير من نقد الأسانيد |
| | الامام ابن جرير كان يكتفى بذكر الحديث |
| ٣٢٦ | مع سندة بدون تعليق فى الغالب |
| ٣٢٧ | أمثلة من نقد ابن جرير للأسانيد |
| ٣٣٠ | منهج الطبرى فى مبهمات القرآن |
| ٣٣٣ | نقد الأسانيد عند شيخ الاسلام ابن تيمية |
| ٣٣٣ | مكانة أهل الحديث عند شيخ الاسلام |
| ٣٣٨ | قاعدة فى المراسيل والمنقطعات فى كتب التفسير |
| ٣٤٢ | الاسرائيليات |
| ٣٤٣ | أقسام الاسرائيليات |
| ٣٤٤ | اشتملت الآية الكريمة على الأدب فى الاسرائيليات |
| | المبحث الثالث : |
| | مقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية |
| ٣٤٦ | وسين الثعلبى |
| ٣٤٦ | ترجمة الثعلبى |
| ٣٤٧ | تفسير الثعلبى - الكشف والبيان - ومكان وجوده |
| ٣٤٨ | تعظيم الثعلبى للاسناد |
| ٣٤٩ | منهج الثعلبى فى التفسير |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ٣٢٢ | تحريم الاعتماد على اللراى المجرى فى التفسير |
| ٣٢٤ | موقف ابن جرير من نقد الأسانيد |
| | الامام ابن جرير كان يكتفى بذكر الحديث |
| ٣٢٦ | مع سنده بدون تعليق فى الغالب |
| ٣٢٧ | أمثلة من نقد ابن جرير للأسانيد |
| ٣٣٠ | منهج الطبرى فى مبهمات القرآن |
| ٣٣٣ | نقد الأسانيد عند شيخ الاسلام ابن تيمية |
| ٣٣٣ | مكانة أهل الحديث عند شيخ الاسلام |
| ٣٣٨ | قاعدة فى المراسيل والمنقطعات فى كتب التفسير |
| ٣٤٢ | الاسرائيليات |
| ٣٤٣ | أقسام الاسرائيليات |
| ٣٤٤ | اشتملت الآية الكريمة على الأدب فى الاسرائيليات |
| | المبحث الثالث : |
| | مقارنة بين شيخ الاسلام ابن تيمية |
| ٣٤٦ | وبين الثعلبى |
| ٣٤٦ | ترجمة الثعلبى |
| ٣٤٧ | تفسير الثعلبى - الكشف والبيان - ومكان وجوده |
| ٣٤٨ | تعظيم الثعلبى للاسناد |
| ٣٤٩ | منهج الثعلبى فى التفسير |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ٣٥٠ | أقسام المفسرين عند الثعلبي |
| ٣٥٣ | اجمال ما في مقدمة الثعلبي |
| ٣٥٥ | تقييم العلماء لمكانة الثعلبي في التفسير |
| ٣٥٧ | منهج شيخ الاسلام ابن تيمية في التفسير |
| ٣٥٧ | شيخ الاسلام يحيى بن علي التفسير المأثور |
| | مقدرة شيخ الاسلام علي تمحيير الروايات |
| ٣٥٩ | وتمييز صحيحها من سقيمها |
| | رد شيخ الاسلام علي الحديث الموضوع |
| ٣٦١ | الذي وضعته الشيعة |
| ٣٦٢ | ذكر قاعدة يعرف بها الحديث الموضوع |
| ٣٦٤ | الاستدلال علي وضع الحديث بأدلة منفصلة |
| | أبو نعيم وأمثاله ممن صنفوا في الفضائل |
| | يذكرون كلما سمعوا في الباب من الصحيح |
| ٣٦٥ | والضعيف والموضوع |
| ٣٦٧ | الأصل في النقل أن يرجع فيه الي أئمة النقل وعلمائه |
| ٣٦٨ | شيخ الاسلام من نقاد الحديث وصيارفة الرجال |
| | منهج شيخ الاسلام في نقد الروايات هو عكس |
| ٣٦٩ | منهج الثعلبي |
| | قصة غدیر خم كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٣٧٠ | من حجة الوداع |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|----------------------------------|---|
| ٣٧١ | سورة سأل سائل نزلت بمكة قبل العجزة باتفاق الثعلبي كان واسع الاطلاع ولكنه ما كان يميز |
| ٣٧٣ | بين الصحيح والضعيف والموضوع |
| ٣٧٤ | مضمون تفسير الثعلبي بخلاف مدعاه |
| ٣٧٥ | توسع الثعلبي في الاسرائيليات |
| ٣٧٨ | اخطت شيخ الاسلام خطة جيدة في الاسرائيليات عدم د راية المفسرين بالسنة يوقعهم في |
| ٣٨٠ | أخطاء فاحشة |
| ٣٨١ | الثعلبي جماع للأقوال والمذاهب |
| ٣٨٢ | شيخ الاسلام ابن تيمية محصى مناقش |
| الفصل الثانى : | |
| فى المقارنة بين منهج شيخ الاسلام | |
| ٣٨٣ | ابن تيمية وبين فخر الدين الرازى |
| ٣٨٤ | تعريف الرازى |
| ٣٩١ | مؤلفات الرازى |
| ٣٩١ | وفاته |
| المبحث الثانى : | |
| ٣٩٣ | بين منهج السلف والخلف |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ٣٩٤ | تعريف السلف والخلف |
| ٣٩٥ | منهج السلف |
| ٤٠٢ | منهج أهل الكلام |
| ٤٠٥ | تحذير علماء السلف عن الاشتغال بعلم الكلام |
| ٤٠٨ | أهل الكلام ليسوا من علماء الشرع |
| | المبحث الثالث : |
| | في المقارنة بين منهج الرازي في |
| ٤١٠ | التفسير وبين منهج شيخ الاسلام |
| | تمهيد : |
| ٤١٠ | |
| ٤١١ | منهج الامام الرازي في التفسير |
| | دعامة المنهج الرازي في التفسير هي تقديم |
| ٤١٢ | العقل على النقل |
| ٤١٤ | الرازي مولع بالاستنباطات والاستطرادات |
| ٤١٥ | منهج شيخ الاسلام في التفسير |
| ٤١٥ | دعامة هذا المنهج هي الاتباع - اتباع الكتاب والسنة |
| | فهم الكتاب متوقف على السنة . . . |
| ٤١٧ | والسنة متوقفة على صحة الاسناد |
| ٤١٨ | ثناء شيخ الاسلام على أهل الحديث |

(فهرس الموضوعات)

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---|
| ٤٢٠ | مراتب التفسير عند شيخ الاسلام |
| ٤٢٠ | تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة |
| ٤٢١ | تفسير القرآن بأقوال الصحابة |
| ٤٢٤ | تفسير القرآن بأقوال التابعين |
| ٤٢٦ | مقدار ما فسر شيخ الاسلام من القرآن |
| ٤٢٩ - ٤٣١ | الخاتمة |
| ٤٣٢ | المصادر والمراجع |
| ٤٥٠ | فهرس الموضوعات |